خَواطِر مُسْلِم فِي المَسْألة الجِنْسِيّة

مُحَمّد جَلال كِشْك

بأمر القضاء

الطبعة الثالثة
رجب ١٤١٢هـ / يناير ١٩٩٢م
مكتبة التراث الإسلامي
عابدين – القاهرة

قبل أنْ تبدأ....

عزيزي القارئ،،،،،
تم نقل هذا الكتاب بكل أمانة،،،
وإن كنا لا نوافق الكاتب في ما ورد في هذا الكتاب بالنسبة إلي تصريحاته في مواضع كثيرة بتحريف الكتاب المقدس بعهديه، وإستناده علي مرجعين (الجنس فى التاريخ ، المسيحية واللواط) في تشويه معتقدات الكنيسة في الزواج، وإيهام القارئ بأنَّ الإسلام هو من عرّف المسيحية، والمسيحيين بالعذراء القديسة مريم ، وما تطرق إليه من شرح في اللذة الجنسية والشذوذ الجنسي ومحاولته تشويه التعاليم المسيحية ورأي الكنيسة في الزواج...
وللأسف أنَّ رأي لجنة مجمع البحوث الإسلامية لم تنوّه في تقريرها عن الكتاب، ولو بإشارة واحدة، إلي التعّرض لمعتقدات الأديان الأخري لتكون مرشدًا ومعلمًا للمواطنين في قبول الآخر، كإنسان، مهما إختلفت ديانته أو معتقداته.

****

وسوف نقدم لسيادتكم، في وقت قريب، كتاب " الجنس ومفهومه الإنساني" لكوستي بندلي.الذي يقول أنَّ الجنس ليس حاجة بيولوجية بحتة، وهو إذن، لا يهدف إلي إزالة توتر عضوي فقط، إنّ وصال وجماع مع الآخر، يزيل العزلة التي يشكو منها الإنسان.وأن تحرير الجنس في المجون المعاصر ما هو إلا عبودية أقصي من عبودية الصمت والجهل والخوف... وكيف لا يكون ذلك حين يبطل الشخص الآخر ويصير التركيز علي اللذة الجنسية والتهالك عليها كمية وتفننًا، لا نوعًا وعاطفة. وهنا يدبّ السأم والفراغ...إنّ الحب لا يبطل العلاقة الجنسية، ولكنه وحده يجعل منها وصالاً لا احتكاكًا خارجيًا بين عزلتين متقابلتين... وما العفة سوي الحرص علي أن يحتفظ هذا اللقاء بمرماه الاتحادي... فالعفة ليست سلبية، بالمفهوم التقليدي الموروث، الخوف من الجنس، النرجسية، الكبت بجميع معانيه وأبعاده. فما هذه إلا عفة زائفة...
إن الجنس سعي إلي المطلق عن طريق الحب الذي فيه يتبلور الجنس ويتسامي...علي أنّ المطلق لا يُدرك بالحب الذي يستقطبه... لذلك لا يقترن الحب بالسعادة، بل بالكآبة والحنين أيضًا. وهنا يجئ دور الله. فهو المشتهي بالحقيقة وإليه تسعي في آخر المطاف حركة الجنس عند الإنسان...
وبإيصالنا إلي الله ينهي المؤلف رحلته البهيجة الهانئة في مجاهل الجنس وآفاقه الرائعة...
وهي رحلة فريدة في نوعها، علي الأقل في تراث اللغة العربية...

جَلد عَميرة وعَامرة.......
الملاعبة دونَ المواقعة....
الزّنا......................
الشذوذ الجنسيّ...........
غلمَان مُخلّدون...........

هَذا كتاب

محمد جلال كشك

الكاتب المصري المعروف

يُقدّم هذه المرّة دراسة هي الأولى من نوعها في موضوعها، وصراحتها، واستنادها إلي الأدلّة الشرعيّة، والوقائع التاريخيّة، وحقائق العالم المعاصر.

وإذا كان المؤلّف قد اشتهر بمؤلّفاته السياسيّة والتاريخيّة المميّزة، فإنَّه في هذا الكتاب يخوض تحدّيًا لم يسبقه إليه باحث باللغة العربية. وذلك من خلال عرض مفهومه كمسلم لكافة قضايا الجنس، في محاولة لاكتشاف القوانين الحضاريّة التي تتحكّم في السلوك والأخلاقيات، مع التركيز على دراسة ظاهرة انتشار الشذوذ الجنسي في مرحلة انهيار الحضارة الإسلاميّة. ومقارنة ذلك بما حدث في الحضارات الغربيّة... ومنهاجه في ذلك البحث هو ما لخّصته الناقدة اللبنانيّة الأستاذة هالة العوري في تعليقها علي الطبعة الأولى بقولها:" إن الأستاذ محمد جلال كشك يعمل على تفهّم الحكم الإسلاميّ، بصدد العلاقات الجنسيّة، في صورته الفطريّة الأولى... بهدف العودة – على حدّ قوله – إلى دين الفطرة والبعد عن تديّن أهل الحرفة ".

وهو في هذا الكتاب يطرح قضايا قديمة ولكن بصيغةٍ جديدةٍ، كما يطرح لأوّل مرّة تساؤلات جديدة تمامًا ويقترح لها حلولاً مثيرة في جدّتها وبساطتها. وقد لا نتّفق مع كلّ ما يطرحه ولكنّه بالتأكيد جديرٌ بالتأمّل والمناقشة.

وكانت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد صُودرت ثم أفرج عنها القضاء بناء على تقرير اللجنة التي شُكّلت من مجمع البحوث الإسلاميّة، وقد أضيف نصّ التقرير ومنطوق الحكم إلى هذه الطبعة المنقّحة.

إنها معالجة صريحة متميّزة، لقضيّة الجنس بكافة أشكاله، ممارسةً وميولاً...

الناشر

الفهرس

الإهـداء

" قالوا أيأتي أحدنا شهوته فيُثاب عليها؟

قال نعم..." الحديث....

صلوات الله عليه وسلم.

مقدمة الطبعة الثالثة

إذا أراد الله نشر فضيلة طُويت أتاح لها لسان حقود حسود ممعود وهذا ما حدث في كتابي هذا فقد حرصت عندما أصدرته، على أنْ أتحمّل مسئوليته كاملة، فسميته خواطر مسلم، وكما قلت في مقدّمة الطبعة الأولى، لم أنسبه لرأي الإسلام، ولا حتى إدّعيت الاجتهاد فيه... وإنما قلت هى خواطري كمسلم فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت طلبنا المغفرة، وتعلّمنا ممن ينصح ويُرشد.

ولو مضى الأمر كما فكرنا ولم تعترض الكتاب مشاكل، لبقت فى نفس الكثير من القراء بعض الشكوك والظنون حول ما وصلنا إليه من تحليلات وأفكار، خاصّة وأنا لا من رجال الدين، ولا من فقهاء الإسلام.

ولكن العبد فى تفكير والرب فى تدبير، فقد أهديت النسخة الأولى من الكتاب

لصحفي يكبرني فى السن، كثير القراءة، قليل الابتكار... أغْدَقت عليه الأوضاع فأسْرَفَت بنصف زينة الحياة الدنيا، ولكنه حُرم القناعة، ورضا النفس، يحسد الناس علي العلم والمعرفة، ولو أخلص النية لكان من أبرز مثقفي جيله. أذهله ما بالكتاب من فتوح فكرية، وإلمام بتطوّر التاريخ والفكر لبعض قوانين انبعاث الحضارات وانهيارها، وما غفر لنا أننا لم نصفق في الأسواق، ولا نافقنا الحكام فجعلنا الحمار ينطق بفلسفة سقراط، ولا أضعنا عمرنا في الكتابة الرخيصة التى تغرر بالقاريء ولا تثقفه، حسدنا علي الجهد والمشقة، والغربة في الخارج والداخل، والحيف والظلم اللذين نزلا بنا... فوشي بالكتاب إلى السلطات التي صادرته وقدّمتنا للمحكمة... وكانت إرادة الله! فقد قررت المحكمة بجلسة ١٩٨٤/٧/٢٢ ندب رئيس المجمع لقراءة الكتاب وإبداء الرأي فيه... واستغرقت دراسة اللجنة ما يقرب من عام، كنت قد أصدرت خلالها طبعة ثانية من الكتاب في أوربا سميّتها، الطبعة الحرة.

وصدر قرار لجنة مجمع البحوث الإسلامية ببراءة الكتاب، وخلوّه من أي تعارض مع الدين الحنيف لا نصًا ولا تأويلاً... وهكذا كان الظنّ فى الأزهر ورجاله الكرام، وبناء على تقرير اللجنة أصدرت المحكمة أمرها بالإفراج عن الكتاب فورًا وانصاعت السلطة التنفيذية... وباء الواشي بالعار والخيبة.

ولاشك أنَّ هذا الذي حدث من استفتاء ثمّ حكم القضاء، قد أخرص ألسنة سوء ودّت لو نهشت، فكان حظّها أن تسممت هي بعض لسانها، كما أزال الشك من نفوسٍ مؤمنة، كانت بحاجة لطمئنة قلبها.

ونزل الكتاب في أسواق مصر في أسوأ طباعة! ومع ذلك فقد نفذت طبعتاه القاهريّة والأوربيّة، وكتب إليّ الكثير يشكرون ويقولون أنَّهم حرصوا علي أنْ تقرأه بناتهم وبنوهم... وقد اشتري مثقّف عربيّ مائة نسخة ليوزّعها علي مشايخ بلده. بينما استمرّ البعض في الكيد والتنبيط والتزوير الفاجر، دون أنْ يجرؤ واحد علي

مهاجمة أو نقد الكتاب صراحة أو كتابة. ولو فعل أحدهم لجعلته نكالاً لمن خلفه! حتى الذى استغلّ مركزه كأستاذ في إحدى الكليات فهاجم الكتاب بين تلاميذه دون أنْ يعرف حتى اسمه فقال إنه كتاب خواطر مسلم في الثقافة الجنسية. وجهله بعنوان الكتاب يكشف جهله بمضمونه. أو قل تزويره لاسم الكتاب ينبيء بمدى صدقه في عرض موضوعه، ولو كان كتابه يبيع نسخة واحدة خارج نطاق أسرى امتحاناته... لرددّت عليه.

وقد عتب البعض لما كتبته عن ابن حزم وراحوا يشيدون به، وأنا أعلم منهم بقدره رحمة الله عليه كان عالمًا وفقيهًا موسوعي الثقافة. ولكنه كان أيضًا إفراز عصره وكان غفر الله له، صادقًا في تسجيل أمراض هذا العصر. التى سبّبت هذه الأعجوبة النادرة. أعني زوال أمة وحضارة بعد ٨٠٠ سنة من استقرارها، وعلي يد الأكثر تخلفًا... ما تفسيركم إلا ما قلته أنا؟. بل إنني أزعم أنَّ ما قلته هو التفسير الوحيد الذي برأ الإسلام مما ارتكب المنتسبون إليه. الذين تسبّبوا في هزيمته بفسق مترفيها... وتطهر الكفار فحق على حضارتنا الدمار.... .

وقد يحاول خناس وسواس أنْ يُثير بعض القول حول دراستي الجديدة عن غلمان الجنّة. ولكن ليتمعّن القاريء فيما كتبناه. وليذكر قول الإمام " أحمد الراغب " عن لذّات الجنة " إذا اختلفت الشهوات لم يبعد أن تختلف المعطيات واللذات. والقدرة واسعة والطاقة البشرية عن الإحاطة بعجائب القدرة قاصرة، والرحمة الإلهية ألقت بواسطة النبوة لكافة الخلق القدر الذي احتملته أفهامهم فيجب التصديق بما أفهموه والاقرار بما وراء منتهى الفهم "(١)... ثم أطرح السؤال الذي واجهت به كاتب الوشاية الأولي... هل الغضب من إثباتنا التحريم في الدنيا أم من ظننا المثوبة في الآخرة؟! ... علي أيّة حال لم يستطع أحد أنْ يُعارض ما ذهبنا إليه صراحة حتى اليوم!

(١) عن الإمام الراغب ص ١٣٠ الإسلام والجنس.

وقد فوجيء البعض باكتشافنا - أي والله أقول اكتشافى - أنَّ الرجم ليس في القرآن نعم فوجىء هذا البعض وكأنَّه يسمع بذلك لأوّل مرّة وكلهم هرعوا يصرخون ... نعم ولكنها ثابتة بالسنّة وأنت تريد إلغاءها لأنها لم ترد فى القرآن!! ... حقًا يكاد المريب يقول خذونى ... لقد دعوناكم لتأمل حكمة الله فى نسخ آية الرجم ومحوها من كتابه، سبحانه وتعالي.

وقد يبدو غريبًا، للبعض أن يكون شيوخنا أكثر فهمًا وتفهمًا وأرحب صدرًا وأوسع أفقًا من المتفرنجين، ولكن لا غرابة، فالمتفقه في الإسلام هو دائمًا أبدًا المؤمن بحرية الفكر الأقدر على استشفاف التفوق الحضاري الذي جاء به الإسلام!! ... أنه الدين الذي لم يضع قيدًا على الفكر، ولا إكتفي بإقرار حق الخطأ بل كافأ المفكر الحرّ أو المجتهد حتى على الخطأ. فتحية لشيوخ الأزهر وللقضاء.

وقد قالت: الأستاذة اللبنانية هالة العوري في مقدمة ترجمة كتاب الإسلام والجنس للدكتور عبد الوهاب بوحديبه أنَّ كتابه هو المبادرة البكر ثم قالت: " وقد طُرح فى العربية بعد ذلك كتاب باسم " خواطر مسلم فى المسألة الجنسية " للأستاذ محمد جلال كشك، وبين الكتابين دائرة متشابهات واسعة ودائرة فروق ضيقة، ويمكن تلخيص دائرة المتشابهات بأنِّ الكتابين يصدران عن فكر حر وسعة أفق فى الإطلاع وخروج عن التقليد في الفهم. وأمّا دائرة الفروق فترجع إلي اختلاف زاوية المعالجة لكلا الكاتبين. فالدكتور عبد الوهاب بوحديبه يتلمّس الرؤية القرآنية والسلوك النبويّ في المسألة موضع البحث ثم يمضي متابعًا ما حلّ بهذه الرؤية وبذلك السلوك علي أرض الواقع، علي حين أنَّ الأستاذ محمد جلال كشك يعمل علي تفهّم الحكم الإسلامي بصدد العلاقة الجنسية في صورته الفطرية الأولي... وكلا الكاتبين يهدف إلي، علي حدّ قول الأستاذ كشك، بالعودة إلي دين الفطرة والبعد عن تديّن أهل الحرفة..".(١).

(١) الاسلام والجنس / عبد الوهاب بوحديبه / ترجمة واعداد هالة العورى ص ٩.

ولي ملاحظة ونقطة نظام ثم تعليق ...

إذا كان كتاب الدكتور بوحديبه ظهر قبل كتابى باللغة الفرنسية فأحبّ أنْ أشير إلي أنني لا أقرأ الفرنسية، من ثم لم تتحْ لي فرصة قراءته. وكتابي هو البكر باللغة العربية.

نقطة النظام أنَّ كتابي يختلف في منهجه ومعالجته وهدفه اختلافًا جوهريًا عن كتاب الدكتور ... فأنا أهلت التراب علي فكر التخلف عندما سلطت عليه نور الفكر الإسلامي في جوهره النقي البسيط الشامخ، وكان همّي طرح التفسير الحضاري للسلوك الجنسي، وأظن أنني مبتدع في ذلك غير متبع. أما هو فقد غرق في وحل التخلف إلي عنقه يستخرج العجائب والعقارب. مثل اعتماده علي الفتاوي الهنديّة التي جمعت من فقهنا كل متخلف، أنظر استشهاده بالإستبراء والإستنجاء ص ٧٩ لإضحاك الغرب وإدخال السرور علي الأستاذ الفرنسي. وإنْ كان الدكتور لايُعادي الإسلام، إلا أنَّه متأثر بدراسته الفرنسيّة وما طرحه المستشرقون من مضحكات التفاسير، مُسممّ بالفرويديّة السوقيّة التى لو قرأها سيجموند فرويد نفسه لتبرّأ منها ... لا وجه للشبه بين منهجي وبين استخراجاته الجنسيّة من كلّ شيء، بما يعني السقوط مرّة أخري في التفسير الذي يجعل الإنسان مُجرّد جهاز جنسي ... فالغُسل الذي أُمِرْنَا به بعد الجماع والذي فسّره الشيخ حسن البنا قبل خمسين سنة، بأنه للتنشيط ... يراه هو " الغُسل يحتوي على مغزي ميتافيزيقي " ص ٩٢، وهو يرفض تفسير ابن خلدون الذي استوعب الفكر الإسلامي في ذروة تفوقه، ومن ثمّ قال أنَّ الانتعاش الذي يعقب الحمّام هو بتأثير الحرارة علي التوازن الفسيولوجي (المقدمة ٨٦)، أمّا صاحبنا الذي فسد بالدراسات النفسيّة السوقيّة فهو يرفض ذلك ويجعله يرجع إلي الإحساس بالسعادة النفسيّة المطلقة التي تستردّ من خلال الحلم الكلي الذي يزدهر في الحمام ذلك المكان الذي يُمكن فيه ترويض كل شيء " ص ٢٤٠.

حبظلم!.

طب وحمام البيت ؟! واللى ما راحوش حمّام السوق ولم يمرّوا بالتجربة التى خصّص لها فصلاً كاملاً ... الذين لم يروا نساء في طفولتهم بالحمام ولا رجالاً فى شبابهم ... لماذا ينتعشون بعد الحمام؟ هل كان عبد الوهاب أو مستمعوه يذهبون للحمامات ويمارسون الحلم الكلي عندما غنّي لهم : طاوعني وخدلك حمام؟. وهو الذي بدأ بالاستشهاد بالأغنية في تحليل مضحك، حول اهتمام العرب بالأرداف، وكأن مارلين مونرو وبيرجيت باردو، كانتا تعرضان صورة بالأشعة للهيكل العظمى، مكتفيتان بالفن الرفيع أو أنهما كانتا تهزان أردافهما للعرب فقط ؟!.

وهو يسفّ عندما يحلل قضية الأرداف فيتساءل، " ما هى المشاعر التي ألهبتها إيماءات الصلاة " ص ٢٧٥، ومن الأرداف ينقلنا إلي تحليل اهتمام العربي بإخراج الريح من أسفل وأعلي ويصرعنا بتحليل يقول: " بل الواقع أنَّ الإنسان العربي يعمد إلى إثارة الريح وذلك بحرصه علي تناول المشروبات الغازية وسترات المغنسيوم، وأحيانًا يتغنّي بسحرها: " ما اشربش الشاي اشرب غازوزة أنا " ... حيث ترمز قوة فقايع المياه الغازية إلى خصوبة الرجل مما يثير الخيال ويدفع إلي التحرّر عبر الفهم ... ولا يملك المرء سوي الإعجاب بالإحلال الرمزي من الأسفل إلي الأعلي ومن الحالة السائلة إلى تلك الهوائية ... فالمياه الغازية هي المشروب المُسْلم الموازي للنبيذ في الغرب، فهو ماء الشباب المنعش المؤدّي للتجشؤ والتحرّر بأسلوب أكثر براءة من الخمر، ولكنه ليس خاويًا من الممارسة التعويضية، فالميول الإستعراضية والصوت الرنان والاسترسال فى اللامبالاة والاضطراب الجنسي كلها لا تفتقر إلي المغزي الجنسي " ص ٢٨١.

كل هذا يحدث لنا عندما " نطرّي على قلبنا بإزازة كازوزة " بعد أكلة عدس أو طعام مغربىّ حارّ غارق في التوابل ؟! الظاهر إن أمريكا أسلمت لأنها تمتلك شركتين للمياه الغازية في العالم ... بل الإسلام ينتشر مع مصانع الكوكاكولا التى تفتح في روسيا والصين!!!!.

الظاهر أنَّه لايعرف أنَّ مؤلفة الأغنية سيدة وليس رجلاً خصوبته فقافيع غازية!!!، بل يكفي إدراك الفارق بين منهاجي ومنطقه في المقارنة بين استنتاجه واستنتاجاتي من حديث سوق الصور في الجنة.

ولا أدري من أين أتي بمقولة أنَّ " لعنة الله تلحق أيضًا هؤلاء الذين يمارسون الإستمناء ... إنَّها أساليب محرفة تعني في جوهرها رفض الإنسان لنوعه". ص٦٠.

هذه مجرد نقطة نظام فلست أريد مناقشة الكتاب.

والتعليق هو:
أنه في ظروف لبنان استطاعت مثقفة، دون أدني معرفة شخصية، أنْ تحصل علي كتابي وتدرسه وتستقصي مضمونه وتتناوله بهذه الملاحظة وهي تترجم كتابًا في ذات الموضوع فتأبى أمانتها العلميّة وشرفها الثقافي إلا أن تشير إليه وتثبت حق مؤلفه. بينما لم تكتب عنه كلمة نقد واحدة من العصابة التي استولت علي المنابر الإعلامية في مصر وجثموا علي صدر الثقافة حتي كتموا أنفاسها! ثم يغضبون لأنَّ واحدًا قال مصر لم يعدْ فيها ثقافة، لم يبقَ بها إلا سعاد حسني ... قتلتم الإبداع وعصفتم بالثقافة – علي الأقل في جيلكم - يوم خنتم أمانة النقد، وقد كانت مصر تتزعّم العالم العربي، يوم كان فيها نقاد يسعون إلي دراسة وتقييم كل ما يستحق النشر ... أما الآن فهم لا يقرأون إلا ما يُهدي لهم ولا ينقدون إلا للتدمير إنْ ظنوا أنَّ بهم قدرة علي ذلك، أو لمصلحة شخصية كالتقرب إلي المؤلف. وتأمل ثم ابصق في احتقار، لتزاحمهم علي الكتابة، إذا ما أصدر مسئول أمّي أو رئيس مجلس إدارة مؤسستهم، كتابًا في مستوى شرشر، تراهم يتبادرون لمدحه، كالمحبظتية. لا يخجلون، لا يستحون وهم يقولون للعاتبين ... ماذا نفعل أكل العيش عايز كده! وبعضهم يمارس شعار شيلني واشيلك أو أنقدني وأنقدك. أو يبتز دور النشر فينقد كتبها مقابل نشر كتاب له!! الناقد الفني يفرض نفسه علي المسلسلات والسينما. والناقد الأدبيّ يفرض مؤلفاته علي دور النشر!

يسيطر عليهم حقد أسود ورعب من الكفاءة، وفزع من الغريب عن المافيا، ورغبة في خنق كل الأصوات وخاصة النابغة.

تحية للمثقفة اللبنانية والعار لتجّار الكلمة الذين حالوا دون تجمع المثقفين اللبنانيين في مصر. ولطالما تبنتهم لبنان واتسع صدر مثقفيها لهم... .

عد يا لبنان لتكشف الزيف الذي حجب وجه مصر المشرق.

ديسمبر١٩٩١

القاهرة – المعادي

خطبة الكتاب

هذا بحث سيقول القاريء المحب، ما كان أغناه عنه، لماذا لم يقل مثلما قال أبو حنيفة، عندما دعوه للقضاء لعله ينصر مظلومًا أو يُقرّ حقًا، فاعتذر قائلاً: " إذا سقط السابح في المحيط .. فما عساه يسبح ..؟.

سيتساءل القاريء المحب: لماذا ألقينا بأنفسنا في المحيط نخوض عبابه أو نخاطر بأنفسنا في مجال شديد الحساسية، يتحرّج الناس فيه من السماع، فضلاً عن القول: ويحي! بل الإسهاب في القول ...؟. وسيقول المتربّص؟ هذا هو الباحث عن حتفه بظلفه ... اشحذوا السكاكين فقد وقع الثور ... .

ولكن شكرًا لأحبائي ... وللآخرين موتوا بغيظم .. فليس علي مسلم من حرج إنْ فكّر أو شكّ وقد علمنا أنه ليس فى الدين من حرج، ولا في العلم ... ونحن - كما قلنا في أول كتاب إسلامي لنا - ننتمي لدين يحرّض علي التفكير والاجتهاد، فهو يكافيء المجتهد المخطيء ... ولا يكتفي بعدم معاقبته ... ديننا تخطّى حتى ما وصل إليه فلاسفة الحرية، في تعريفها بأنَّها حق الخطأ! إذ أنَّه يُكافيء علي الخطأ كما ورد في حديث للمجتهد إن أصاب أجران وإن أخطأ أجر. ولمن أراد أن يحاسبنا، فليحتكم للقرآن والسنة والسلوك الإسلامي ... فقد إلتزمنا وبذلنا غاية

الجهد في استباط الأدلة من هذه المصادر الشرعية ... وما قصدنا إلا مرضاة الله، وخدمة المسلمين. وما عدا ذلك فلست أبالي ... .

المسألة الجنسية تشغل حيزًا لا يُستهان به من تفكير الإنسان، ونشاطه، وتتحكّم إلي حدٍّ ما في تصرفاته بل ومواقفه ... وإذا كان من الخطأ النظر للإنسان كظاهرة جنسية فقط كما يفعل تجار الجنس وفلاسفة الغرب، فإنَّه لخطأ أكبر أنْ يُنظر للجنس كظاهرة عارضة أو عيب أو دنس لا يجوز الاهتمام به! فليس هذا من ديننا ولا من حضارتنا كما سيرى القاريء ... والمسألة الجنسية تشغل بال الشباب، ومع ذلك فهي من المحرّمات يحوم حولها الكتّاب، ولا يقتربون منها، وبالذات الإسلاميّين منهم! تاركين لأعداء الإسلام، وأعداء حضارتنا، الفرصة لينشروا مفاهيمهم، ويزرعوا سمومهم في عقول وقلوب الشباب المسلم، الذي لم يعدْ يعيش لا بسلوك إسلامي، ولا يوجّهه فكر إسلامي... .

وإذا كانت الآراء التى طرحتها هنا في موضع العادة السرية، والجنس بغير الجماع، والزنا، تُعدّ جريمة، إلا أنَّ ما طرحته في باب الشذوذ الجنسي يُعتبر جديدًا بالإضافة إلى جزء صغير في موضوع الزنا، وهو القول بأنَّ الرجم سنَّة، وليس فى القرآن. وأنَّ لله سبحانه وتعالى حكمة في نسخ آية الرجم، يجب أنْ نتدبّرها لا أنْ نُخفي رؤوسنا وراء واقعة أنَّ النبي رجم ... فلماذا يُقرّر الله الرجم في القرآن ثم ينسخه، ويأمر رسوله بحذف الآية تمامًا فلا تبقي ولا حتي فى صدور الرجال ... وما كان لما نسخه الله أنْ يقي أو أنْ يتلوه الرجال ... .

أقول باستثناء هذه الخاطرة في موضوع الزنا، فإنَّ البحث يتركّز في موضوع الشذوذ الجنسي الذي طرحته في إطار المواجهة الحضارية الأبدية بين الشرق والغرب ... .

وهذه المواجهة هى شغلي الشاغل. فأنا أنظر للإسلام كفلسفة وهوية وشخصية لحضارتنا الشرقية، والكلمة الأخيرة في مواجهة هذه الحضارة مع أوروبا أو الغرب .. فمنذ الصراع الفارسي - الإغريقي بدأ الصراع بين شرق وجنوب البحر

الأبيض من ناحية وغرب وشمال هذا البحر، ثم بدأت الدائرة تتسع، وتمدّ كل جبهة خطوطها وراءها ومن حولها ... إلي أنْ جاء الإسلام وانتصر الشرق علي الغرب سبعة قرون أو ثمانية، ليعود الغرب فيكرّ علي الشرة كرّة ما زلنا نعيش فى آثارها ...

وقد عالجتُ موضع الشذوذ الجنسي في إطار هذه المواجهة، لأنني توصّلت إلي رأي يخالفني فيه كثير من الباحثين، وهو أنَّ هذه الظاهرة، عندما تخرج من الإطار الفردي لتصبح " فاحشة " علي مستوي المجتمع، إنّما يحدث ذلك في مرحلة الأفول الحضاري، بعكس مرحلة التحرّر أو النهوض الحضاري حيث تصبح أبشع جريمة. ووضّحنا الأسباب، وأكّدنا أنَّه لا يُمكن أنْ ينهض مجتمع ويتحرّر وهذه الفاحشة شائعة فيه، كما لا يُمكن أنْ تنجو حضارة منها عندما تنتصر وتدخل مرحلة فسق مترفيها .. وتتبعت أطوار انتقال هذه الفاحشة بين الشرق والغرب من الإغريق إلي سقوط الأندلس تقريبًا ... .

ومن ناحية أخري فقد توصّلت إلى رأي حول غـُلمان الجنّة أو ولدانها، وهو أنهم للاستمتاع الجنسي لمن عفَّ وتطهّر في الدنيا .. .

ونحن علي استعداد للمناقشة والمراجعة والتصويب لمن جاء بأدلة مناقضة، تستند إلي القرآن والسنّة، والتصوّر والممارسة من جانب السلف الصالح .. أو حقائق التاريخ والعلم المتّفق عليها. أمّا من جاء بالسبّ والقذف والأحجار .. فقد نكيل له الكيل مرتين وقد نقول : سلامًا .. .

بقي أنْ نقول وقد تحدّثنا عن أجر المخطئ، أنني كنت بغرور الشباب وجهله، قد استشهدت بهذا الحديث في أوّل كتاب لي في الإسلاميات. فقلت في المقدّمة: حسبي أجر المجتهد المخطئ ..! وفاتني روعة التعبير الإسلامي ودقته إذ حدّد هذا الأجر " للمجتهد " ولم يقل " للمسلم إنْ فكّر أو شرّع فأخطأ أجر .. "، بل قال للمجتهد، لأنَّ الاجتهاد هو عمل " المجتهد " ومن ثم فممارسته لعمله يستحق عليها المكافأة، شرط أن يكون " مجتهدًا " ...

ومواصفات المجتهد معروفة، وحاشا لله أنْ ندعي توافرها فينا، فأنا لا أحسن إعراب آية في القرآن. فكيف أكون مجتهدًا، ولكنه غرور الشباب ونسأل الله المغفرة. كذلك كنت قد كتبت على أول كتاب عبارة " مفاهيم إسلامية "، ففرضت على الإسلام آرائي أو مفاهيمي .. وقد تجنّبت ذلك كله اليوم، فلست أزعم أنّها رأي الإسلام في المسألة الجنسية! .. ولا أنّها اجتهادات، فما أنا مجتهد، ولا هي مفاهيم إسلامية، إنّما هي خواطر مسلم، تفكير مسلم بصوتٍ عالٍ، دعوة للتفكير .. مذكرات تحضيرية يستعين بها " المجتهد " إنْ شاء الله في تشريع الأحكام .. اعتبروها مجرّد أسئلة مطروحة عند أعتاب المجتهدين، والأئمة، والمنشغلين بالعمل الإسلامي .. .

وبعد ... فقد بلغتُ من العمر عتيًا واشتعل الرأس شيبًا، وخِفت من انحرافات الموالي، ولم يبقَ ما أخشاه ولا من أرجوه سوي الواحد القهّار .. نسأله المغفرة والعفو ..

محمد جلال كشك

رجب ١٤٠٤ / إبريل ١٩٨٤
٣ب بهجت علي – الزمالك.

اللذة للذة

تنبع أهمية المسألة الجنسية من كونها تعكس - من ناحية – مفاهيم وأخلاقيات الحضارة .. التصور العام لهدف الوجود الإنساني، والعلاقات بين طرفي هذه المعادلة الإنسانية، ولذلك نركز فى هذه الدراسة علي الفارق الجوهري أو الكيفي بين النظرة الإسلامية للجنس. ونظرة - المسيحية – الغربية(١). فكلتا النظرتين تمثل موقفًا حضاريًا متكاملاً ومتعارضًا. كذلك ركزنا علي دور المسألة الجنسيّة في المواجهة الحضاريّة، وخاصة في القسم الخاص باللواط.

والمسألة الجنسية أيضًا علي الصعيد الفردي، تشغل جانبًا شديد الأهمية من حياة الإنسان، كما تحكم نظرته للإنسان الآخر أو الجنس الآخر، أو كما يقول الماركسيون إنَّ كل حاجيات الإنسان تشبع بعلاقة مع الطبيعة، إلا الحاجة الجنسية فهي تشبع بعلاقة مع إنسان آخر .. ومن ثمّ فهي تخضع لقوانين وقيم مختلفة، ولها نتائج بالغة الخطورة والأهمية علي سلامة العلاقات الاجتماعية.

دين الفطرة وتدين أهل الحرفة:

وقد أوضحنا منذ ١٦سنة رأيًا في موقف الإسلام من المسألة الجنسية، وكيف

(١) أوضحنا في المقدمة أنّ هذا البحث يدور فى إطار المواجهة بين الشرق والغرب، ومن ثم فالحديث هنا يتعلق بالمسيحية الأوروبية - الأمريكية فهى الحضارة المضادة التي يواجهها المسلمون والمسيحيون الشرقيون كطرف واحد، كما سنوضح.

أنَّه فعلاً دين الفطرة الذي وضع الغريزة الجنسيّة في مكانها الطبيعي ضمن الاحتياجات المشروعة والصحية والضرورية واللذيذة للإنسان، الذي لا يُمكن أنْ يتحوّل إلي مجرّد ظاهرة جنسيّة يحصر اهتمامه في هذه الناحية، ولا يُمكن أيضًا تحويله إلي " ملاك " بزع الغريزة الجنسيّة منه .. وقلنا أنَّ الفكر الإسلامي لايعاني أيّة عقدة جنسيّة، بل يعتبر اللذة الجنسية من النعم التي منّ الله بها علينا، ويميل إلي أخذ أمورها ببساطة متناهية. وقبل أن نشرح هذا بالتفصيل، نودّ أن نوضّح نقطة هنا هي الرغبة الطبيعية من قبل " رجال الدين المحترفين " - مثل أصحاب أيّة حرفة أو متخصصين - ميلهم لتعقيد المهنة وتصعيب الاختصاص. ولذلك نجد الإسلام، بسيطًا واضحًا سهلاً في بدايته، عندما لم يكن هناك فئة مخصوصة تحتكر تفسير النصوص وإصدار الفتاوي ...

تأمل هذه القصة التي تُروى عن عمرو بن العاص، وكان قائدًا علي سريّة لرسول الله (ص)، فاحتلم(١) وكانت الليلة باردة، فخاف علي نفسه من البرد، فلم يغتسل وصلّي .. فبلغ الخبر رسول الله، فما زاد علي أنْ ابتسم وهو يقول له: " صليت وأنت جُنُب ؟! ". ولم يُعلق!!

ثم تأمل فتاوي الفقهاء بعد ذلك في شروط الغُسل. وكيف يجب أن يصل الماء إلى جذور الشعر، وضرورة أن ينقل المغتسل قدميه من حيث كان واقفًا ليكمّل غسل قدميه، ترى الفارق بين دين الفطرة وتديّن أهل الحرفة .. .

والله سبحانه وتعالي يقول" وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَاغَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ "(الشوري٣٧) ويقول " الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ "(النجم٣٢).

---

(١) الاحتلام هو حلم جنسي يراه النائم وينتهي بالانزال أو القذف ويوجب الغسل مثل الجماع. ولا معصية فيه ولا إثم ولا أية أضرار صحية بل هو من حكمة الطبيعة لتصريف المني المتجمّع.

ويقول " وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً. إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً " (الفرقان ٦٧-٧٠).

وعرف المسلمون أنَّ الشرك بالله إثمٌ عظيمٌ، وكذلك قتل النفس، والزنا. وقال الرسول وهو يُعدّد الكبائر:
" وإن تزني بحليلة جارك ".

ولكن المحترفين لا يرضيهم هذا، لابدّ أنْ يبحثوا ما هي الكبائر .. وجدوا سبع كبائر .. " الشرك والسحر وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" وجعلوه حديثًا ومصدره أبو هريرة بالطبع!

وهو كما تري يختلف عن التحديد الذي ورد في الآية التي أشرنا إليها، وإنْ كان قد حصر ما نهي الله عنه في مواضع متفرقة من القرآن ....

إلاَّ أنَّه تجدر الملاحظة أنَّ هذا " الحديث " قد قدّم السحر علي قتل النفس! ولم يذكر الزنا .. بل قذف المحصنات.

وما كانت السبع موبقات بكافية عند المحترفين، بل جعلوها سبعين لتشمل علي قدم المساواة مع الشرك بالله، لعب الشطرنج! (أنظر شمس الدين الذهبي. كتاب الكبائر) ومن الطريف أنَّ المؤلف نفسه نقل عن المنذري في الترغيب: " وقد ورد ذكر الشطرنج في أحاديث، لا أعلم عن كثير منها إسنادًا صحيحًا ولا حسنًا والله أعلم ".

فهذه الأحاديث التي لا سند صحيح لها ولا حسن، تحوّلت إلى فتاوي وحرّمت الشطرنج(١) علي الناس ..، وكذلك التصوير في اللباس والجدران. أي اتهام كل المسلمين الآن بارتكاب الكبائر!!.

(١) أنظر كيف يعتبر المؤرخون، الشطرنج، هدية العرب المتنورين لأوروبا وكيف كان فردريك ملك صقلية وتلميذ الحضارة العربية يشجعه. ولويس القديس المتخلف يُحرّمه. وكيف لمّا تخلفنا حرمناه أيضًا!.

وكذلك الذي لا يتحرّر من البول وإسبال الأزار، والعبد إذا هرب!
" قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى " (الإسراء١١٠).
فيأبي المحترفون إلا أنْ يُعدّدوا له تسعة وتسعين اِسمًا. بل ويتفرغون للبحث عن " اسم أعظم " سري!! تأثرًا باليهود:
وتأمّل عمر رضي الله عنه يأتيه الرجل ببلحة يستفتيه:
" وجدت هذه يا أمير المؤمنين .. ماذا أفعل بها ..؟ فيرد عمر علي الفور؟ بضربة عصا علي ظهر المنافق ويقول: " كلها .. يا بارد الورع.! ".
هذا هو الإسلام...

ولكن تخيّل لو جاء بارد الورع هذا ببلحته إلي بارد الفقه يستفتيه وتخيّل السيناريو الآتي الذي يُمكن أن يدور بينهما .. تعرف الفارق بين دين الفطرة وتديّن الحرفة ...

وسنحتاج لتفهم هذا الفارق خلال دراستنا للجنس والجرائم الجنسية .. وسنجد أنَّ دين الفطرة وصل في الموقف منها إلي كمال الكمال: استبشع الفاحشة وعظم إثمها وتوعدّ مرتكبها، بقدر ما تتضمنه من عدوان علي إنسانية مرتكبها، ومن عدوان علي حقوق الآخرين وسلامة العلاقات الاجتماعية، وسلامة المجتمع، ولكنه في نفس الوقت لم يقم من الدولة مقصلة ولا جلادًا ينقب عن الخاطئين، ويشمت في خطيتهم ويلتذ بمعاقبتهم. بل إنّ الدولة الإسلامية، أكثر ألمًا بتنفيذ حدّ من حدود الله في جرائم الجنس، من مرتكبيه - كما سنري - كذلك يجب التخلي أو التحرّر من المفاهيم الغربية التي انتقلت إلينا مع تأثيرات الحضارة المنتصرة، مما جعلنا نتخلي عن الانفتاح والتحرر ونتبني النظرة المتزمتة التي تري

في الجنس نجاسة وإثمًا. فالمفهوم الإسلامي للجنس يختلف جذريًا عن مفهوم الحضارة الغربية المسيحية، ولابد من دراسة دقيقة لكلا المفهومين. حتي يمكن تقييم الأخلاقيات والممارسات التي بنيت علي كل منهما .. سواء في التشريعات الجنسية، أو في المسلكية الجنسية، أو في مركز المرأة الإجتماعي والإنساني ..

والحق أنَّ الجنس في مفهوم الحضارة الغربية، حالة شاذة، قلقة، مزعجة، " مقرف " كما سمّاه القديس أوغسطين " قذر " " يهبط بمستوى الإنسان " أو " مخجل " كما وصفه تورتليان. أو كما تقول مؤلفة الجنس في التاريخ: كان هناك شعور عام بين آباء الكنيسة بأنَّ الله (سبحانه وتعالى) كان يجب أنْ يخلق طريقة أفضل لحل مشكلة التناسل!!!، ولكن أوغسطين لما عكف علي دراسة المشكلة، وهو الذي كانت شهواته تملأ صومعته بفتيات راقصات عاريات، من صنع خياله بالطبع؟؟؟؟، اهتدي إلي أنَّها ليست غلطة الله بل غلطة آدم وحواء..

" فالرجل والمرأة اللذان خلقهما الله كان مخلوقين عاقلين يسيطران تمامًا علي الجسد ولم تكن هناك أيّة شهوة ولا حاجة لمقاومة الشهوة، فالجنس في جنة عدن - إذا كان قد وجد - فقد كان جنسًا باردًا رفيع المستوى .. بدون شهوة، ولا نشوة. مجرد استخدام ميكانيكي للأجهزة التي أنتجها الخالق لكي تحقق التناسل بتروٍ واستعبار (ربما مثل تلقيح أطفال الإنابيب ..). ولكن عندما أخطأ آدم وحواء، بدآ يحسّان بشعور أناني جديد وهو الشهوة، ولا يسيطران عليها، وأول ما أحسّا هو الشعور بالخجل لعريهما .. وفسّر أوغسطين ذلك بأنّ أوّل ردّ فعل للمعصية كان نشاط أجهزتهم التناسلية، وعجزهما عن السيطرة علي تلك الظاهرة الجديدة، هو ما جعلهما يستخدمان ورق الجنة لستر هذه الأجهزة "(١).

فالجنس قبل الخطية، إمّا أنَّه لم يُوجد، أو كان بلا لذّة .. واللذّة جاءت بعد الخطية .. .

قال سانت أوغسطين: " أعلى درجات المسيحيّة هي العزوبية. ولكن الإنجيل

---

(١) الجنس في التاريخ.

شجّع التكاثر. ولذا فالجماع لا بأس به، ولكن اللذّة التي جاءت مع طرد آدم من الجنة هي شرّ ".

وقد استند آباء الكنيسة إلي أنَّ المسيح لم يهتم بالجنس. وتعليقاته في هذا الموضوع نادرة، " خاصّة بالنسبة لملاحظاته العديدة عن الثروة وشهوة التملّك وإشارات الجنس في كلام المسيح قصد بها هدف آخر مثل الحديث عن " زنا القلب " أي التأكيد علي أنَّ الأعمال بالنيّات، ولو أنَه أكدّ علي عدم إمكانية فسخ رباط الزوجية إلاَّ أنَّ الفكرة الشائعة عنه أنَّه أيّد العزوبية وبالطبع حجة الكاتبة التي نقلنا عنها هذا الكلام هي حياة المسيح ذاته، فهو وفقًا للتاريخ الرسميّ للكنيسة لم يتزوج. ولكن في بعض الدراسات للمفهوم الإسلامي للمسيح تنسب له الزواج والإنحاب؟؟؟؟!!!!!..." عبده ورسوله " وتضيف الكاتبة أنَّه رفض إدانة الزنا، ولم يفرض عقوبة ضد الجنس بين غير المتزوجين. ونعتقد أنّها كانت ستكون في موقف أسلم لو اكتفت بالقول بأنَّه لم يهتم بموضوع الجنس ولا ما يتفرّع عنه، والأصحّ أنَّه رفض رجم الزانية، وليس إدانة الزنا!!! لأنَّه أكّد في أكثر من موضع تمسّكه بالوصايا العشر لليهود، ومن بينها " عدم الزنا " ولم يقل إنَّ الزانية لا تُرجم، ولكنه قال إنَّ " الخطاة لا يُرجمون " فالسلطة التي تدين وتنفذ يجب أنْ تكون طاهرة.(١)

وتتطرّق مؤلفة (كتاب الجنس في التاريخ) فتكرّر ما يقوله الملاحدة اليوم، وهو أنَّ المسيح كانت علاقاته كلها مع الرجال، وأنَّه كان يحب سانت جون، إذا ما صدقنا رواية سانت جون الذي أكّد هذه الحقيقة في أكثر من موضع" (ص١١٥)

قد استقصى مؤلف الجنس والشذوذ الجنسي Karlen: Sexuality & Homosexuality

---

(١) أنظر كتاب المؤلّف: خواطر مسلم في الجهاد والأقليات والأناجيل.

استقصى جذور هذه الفرية المنّحطة فقال. إنَّها وردت لأول مرة في " قائمة اتهام الكاتب المسرحيّ " كريستوفر مارلو " وقد أتّهم " مارلو " بأنَّه لوطي، خائن" (ص٢١).

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ... ومعاذ الله!

وإذا كانت الكاتبة تقصد المعاشرة والاختلاط فقط كانت هناك أكثر من امرأة تحيط بالمسيح، وإنْ لم تصل طبعًا إلى نسبة أو مستوى مساهمة المرأة في ظهور الإسلام وحياة الرسول .. أمّا إذا كانت تقصد الخبرة الجنسية.. فالصورة الكنسية – فعلاً – تنفي هذه الخبرة تمامًا، وهو ما أصبح حقيقة مطلوبة ومتفقًا عليها في الرئيس الأعلي للكنيسة التي تشرّع للناس السلوك الجنسي والحياة الزوجية والعائلية دون أية خبرة عملية من البابا وكبار الكرادلة...

هل الجنس ثمرة خطيئة؟:

وقد اختلف " ترتوليان " مع " توماس الأكويني " حول الاتصال الجنسي، فرأي " ترتوليان " أنَّ الجنس هو ثمرة خطيئة حواء وآدم. وأنَّ الجنس البشري كان سيتكاثر في الجنة بأسلوب طاهر غير جنسي (ربما بالانقسام مثل الأميبا). أما " توماس الأكويني " فيتلطف بنا، ويُقرّر أنّ الاتصال الجنسي كان من بداية الخليقة، هو السبيل إلي التكاثر، إلاّ أنّه في الجنّة لم يكنْ ممتزجًا باللذة الجنسيّة، التي اقترنت به بعد أنْ هبط آدم من الجنّة، (ربما كعقوبة). أو أنّ اللذة الجنسيّة لا تليق بأهل الجنّة!

وهذه الفلسفة صادفت رواجًا وقناعة، كما قلنا(١)، كردّ فعل للحياة الجنسيّة المبتذلة للرومان والتي ما زالت تثير التقزز في إنسان القرن العشرين. ممّا دفع عددًا من آباء الكنيسة الأوائل إلي خصي [وإن كان الخصي يمنع من تولّي وظيفة رئيسية في الكنيسة] أنفسهم، واستقر في الضمير الغربي كراهية الجنس، والشعور بخطأ " اللذة " في ممارسته كضرورة للتكاثر. واستمر هذا الشعور إلى النصف الأوّل من القرن العشرين .. ففضلاً عن رفض أي تفكير في اللذة الجنسيّة كهدف في حدّ ذاته مشروع وجميل. والإصرار علي هدف واحد

(١) أنظر فصل اللواط.

للجنس وهو الإنجاب، وفي وضع واحد، أجمع فقهاء الكنيسة جميعًا وكلهم غير محصنين، علي شرعية وضع واحد " طبيعي " للجماع - وهو علوّ الرجل للمرأة المستلقية علي ظهرها - وما عداه غير طبيعي ومُحرّم لأنه تشبّه من الإنسان بالحيوان ويُشتبه في أنّه يُسبب منع الحمل، ويتنافي بذلك مع الهدف من الزواج. ولذا فأي جنس لا يؤدّي إلي الإنجاب حتي ولو كان مع الزوجة جريمة تعادل القتل وتكفيرها من ٣ إلي ١٥ سنة " ؟؟؟(١).

وحتي عام ١٩٧٦ أصدر الفاتيكان بيانًا حول بعض الأسئلة عن أخلاقيات الجنس جاء فيه: " إنَّ الاستخدام المتعمد للطاقة الجنسية خارج العلاقات الزوجية الطبيعية يتعارض أساسًا مع هدف الغريزة ".

ويتفق رأي السيدة " راي تناهيل " مع رأينا إذ تقول: " يبدو أنَّ الكنيسة اعتبرت المرأة الرّومانيّة النموذج المضاد. لكل ما يجب أنْ تكون عليه المرأة المسيحيّة "، ولذا اعتبرت تجمّل المرأة من المحرمات، أمّا الجمال الطبيعي، فهو مكروه ويُستحسن إهماله وطمسه حتّي لا يظهر حيث أنَّه خطر علي كل من ينظر إليه"(٢).

حتي النظافة كانت مكروهة، فالذي اغتسل في المسيح لا يحتاج إلي استحمام(٣).

" كان الطاعون أكثر فتكًا في المسيحيين منه في المسلمين واليهود، لأنَّ النظافة

---

(١) في القرن السادس عشر ألف الشيخ النفراري كتاب " الحدائق العبقة " لباى تونس لتنشيطه جنسيًا وسجل في كتابه ١١ وضعًا عربيًا للجماع وأضاف إليها ٢٥ وضعًا مقتبسًا من الثقافة الهندية. وقبل ذلك ذاع وشاع كتاب " رجوع الشيخ إلى صباه " وفيه أكثر من أربعين وضعًا للجماع. وقد اكتشف منذ سنوات كتاب " منابع اللذة " لمؤلف يمني طبيب في القرن السادس الهجري وفيه ما شئت. ومن القرن السابع الميلادي أبيح للمسلمين كافة الأوضاع.
(٢) ص ١٣٦ الجنس في التاريخ والنص عن ترتوليان.
(٣) Darlington pp. 300

لم تكن من عقيدة المسيحيّين فكما قال سان جيروم " الذي اغتسل في دم المسيح لا يحتاج إلي تنظيف " وتعلّق المؤلفة " ولكن يبدو أنَّ نظافة الروح لم تفدْ كثيرًا في مقاومة البراغيث التي تنقل الطاعون ".

ولا بأس من وقفة هنا عند قصة هذا الطاعون الذي فاجأ المسلمين في الشام، فجر خروجهم للعالم، وفي مطلع حضارتهم، وقبل أنْ يكتسبوا ولا حتي يطلعوا علي علوم الآخرين، ولكنهم استطاعوا تطبيق أوّل حجر صحي في تاريخ البشرية! فلا جدال في أنَّ الإجراء الذي اتخذه المسلمون الأوائل في مواجهة طاعون مواس في العقد الرابع من القرن السابع الميلادي، بالإضافة إلي عنصر النظافة الذي أشارت " راي تناهيل " قد أدّى إلي حصر الوباء. وهو لم يكن فقط أحسن إجراء ممكن وقتها، بل كان الإجراء المتفق تمامًا مع علوم القرن العشرين!!!..، باستثناء الأمصال والمبيدات الحديثة الاكتشاف. وقد توصّل المسلمون إلي فكرة الحجر الصحي قبل العلم الحديث من مفهومهم الحضاري المتقدم ومن النصّ النبوي المعجز!!!.

فقد تردّد عمر في دخول الشام بسبب المرض. وقال أحدهم؟؟؟: " أفرار من قضاء الله " ودّ عمر الذي تتمثل فيه النظريّة الإسلاميّة أصدق تمثيل، ودّ لو علاه بالعصا لولا مكانته، فاكتفى عمر بأربع كلمات تلخّص فلسفة الإسلام الناهض في قضية القضاء والقدر، تلك القضية التي تخطت فيها أجيال المترفين وخاض ضبابها المستشرقون إلي عيونهم. قال تلميذ النبوّة ورفيق الرسول ومهندس حضارتنا: " نعم فرار من قضاء الله إلي قضاء الله ".

ثم تدعّم اجتهاد عمر بحديث عن رسول الله ما كان قد سمع به وهو: " إذا ظهر الطاعون بأرض وكنتم فيها فلا تخرجوا منها، وإن كنتم خارجها فلا تدخلوها ".

وستحتاج البشرية إلى إثنى عشر قرنًا حتى تصل إلي هذا النظام المُحكم في حصار المرض أو الحجر الصحي .. والمُهم أنَّه في تفاصيل القصّة لم نسمعْ أحدًا ذكر تفسيرًا ميتافيزيقيًا لظهور المرض، بل الروايات عديدة عن اختيار أنسب

الأماكن من الناحية الصحية لمنع الأوبئة عن " من بطرفك من المسلمين " أما في القسطنطينية أعظم وأرقى مدينة في العالم المسيحي وقتها .. " فقد اعتبرت الطاعون نقمة بسبب اللواطة " ولم تتخذ بالطبع أية إجراءات صحية، وظلّ الحريق هو الحلّ الإلهي!

ولعله مما يثير الإنتباه أنَّ المسلمين مع تدهور حضارتهم، تخلّوا عن هذا الحديث الصريح المتفوق، وعن موقف عمر بن الخطاب وإجماع الصحابة في عصره على تجنّب العدوى. وتشبّث فقهاء التخلف بحديث " لا عدوي " ليسدّوا الطريق علي تقدّم الطبّ الذي كان ممكنًا في ظل التأمّل الواعي لحديث الرسول في حصر الاختلاط في حالة الطاعون ومثل قوله " لكل داء دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلاَّ الموت " وقال: " تداوي عباد الله فإنَّ الله خلق الداء والدواء"؟؟؟؟؟؟.

نعود لموقف الغرب فنجدهم قد إتفقوا أيضًا علي أنَّ إظهار " اللذة " أثناء الجماع الشرعي مكروه. مثل التعبير بحركات واضحة أو بالصوت عند الاستمتاع .. ورحم الله عائشة بنت طلحة التي نخرت نخرة أثناء وطء زوجها لها فنفر مائة من إبل الصدقة لم تجتمع حتى اليوم!!!! .. .

وقالت إمرأة كوفيّة دخلت علي عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون؛ فسمعت زفيرًا ونخيرًا لم يُسمع قط مثله ثم خرجت وجبينها يتفصّد عرقًا فقلت لها: ما ظننت أنَّ حرّة تفعل مثل هذا.. فقالت إن الخيل العتاق تشرب بالصفير ". (ص ١٣٣ ج ٧ العقد الفريد).

ويقال أنَّ من أسباب التفرقة العنصرية في أمريكا أنَّ البيض كانوا يسمعون نشوة المرأة السوداء مع زوجها، وهي القادمة من حضارة غير مسيحية، سواء الإفريقية، أو دين الفطرة الذي ثبت أنَّه كان دين الغالبية من العبيد الذين اختطفوا وبيعوا في العالم الجديد. فاستقر في عقلية البيض أنَّ السود متفوقون جنسيًا، وليس أنَّهم أكثر تجاوبًا مع مشاعرهم وأكثر صدقًا في التعبير عن هذه المشاعر .. وأن

المــرأة البيضــاء إذا حُــرّرت مــن عــقدة الشعــور بــإثم الجــنس وخطيئــة اللـذّة، أقـدر علـي مجـارات السـوداء والصـفراء .. حتـي مـع الرجـل الأبـيض .. فالناس سواء من ناحية الجسد ولكن التكوين النفسي هو الذي يختلف.. .

وســيجد القــاريء فــي موضــع آخــر أنَّ إظهــار اللــذّة وزيــادة الاســتمتاع بــالقول أو الفعــل مطلــوب ومســموح بــه دينيًــا، ســواء بالحــديث عــن " الملاعــبة " أو مباشــرة، بحـديث النهـي عـن أنْ يُـذيع الرجـل مـا يكـون بـين المرأة وزوجها من قول أو فعل أثناء الجماع!! .. .

ولأنَّ العــزوبيّة هــي الأصـل، والـزواج هـو الحـلّ الأفضـل مـن الزنـا لمـن لا يطيـق، أو مجـرّد ضـرورة للتكـاثر.. فقـد قـال سـان بـول: " إنَّ العــزوبيّة مسلك أكثـر مسيحيّة مـن الـزواج لأنـها لا تفـرض أيـة مسئوليات ولا مشاغـل تشغل عن عبادة الربّ "[١].

ومنـذ القـرن السـابع إلـي القـرن الثـاني عـشر كـان فقهـاء الكنيسـة يبحثـون طبيعـة الـزواج، وهـل هـو عـقد أخلاقـي أم " عــقد نكـاح " وأخيـرًا توصّـلوا إلـي أنَّـه الإتفـاق ولـيس النكـاح هـو الـذي يُقـيم الـزواج وأنَّ عــقد الـزواج يُعــطي حــقّ النكــاح ولكــن لا يوجبــه "[٢] " وهكـذا رفضـت الكنيسـة إعـتبار الجــنس جــزءًا لا يتجــزّأ مــن الــزواج "[٣]. ونصــح بعــض المجتهــدين بالامتنــاع عـن الجـنس يـوم الخمـيس بمناسـبة ذكـري اعـتقال المسـيح، ويـوم الجمعـة ذكـري موتـه، والسـبت تـوقيرًا للعـذراء مـريم، والأحـد [٤] إحيـاءً لـذكري بعـث المسـيح بعـد موتـه، والإثنـين احتفـاء بـذكري صعـوده... فهـو مباح الثلاثاء والأربعاء إلا إذا صادفا صيامًا أو عيدًا. كذلك يُمتنع

(١) رسائل إلي قورنه إصحاح ٩،٧.

(٢) وعندنا يتم النكاح، ويُمكن فسخه إذا عجز أو امتنع أحد الطرفين عن النكاح

(٣) الجنس في التاريخ ص ١٣٤.

(٤) كـان الـروّاد الأمريكيـون يرفضـون تعميـد الوليـد الـذي يُولـد يـوم الأحـد لاعتقـادهم أنَّـه لابـد قـد حملت به أمه في يوم الأحد وهو يوم لا يجوز فيه النكاح وعندنا نكاح ليلة الجمعة مستحب.

عن الجنس بين الزوجين في الأربعين يومًا السابقة علي الفصح والعنصرة وعيد الميلاد والأيام السابقة علي التناول "(١).

وإلي نهاية القرن الحادي عشر كان يُسمح للمتزوج أنْ ينخرط في سلك الكهنوت، ولكن لايسمح لمن انخرط فعلاً بالزواج، وفي نهاية القرن الذي شهد مولد الحروب الصليبية " تقوّى مركز الباباوية، أصدر البابا جريجوري السابع قرارًا بتحريم زواج رجال الدين". " وفي عام ١٩٧٨ أصدر أسقف كانتبرى قرارًا بفصل مائتي أسقف متزوج عن زوجاتهم خلال الأسابيع الثلاثة التي استغرقها انعقاد مؤتمر " لامبث " الدولي. وهكذا أسكن الأساقفة في جامعة كنت، واحتجزت زوجاتهم على بُعد ميل "(٢) وقد حُرّم الطلاق في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر مع اشتداد قبضة الكنيسة. وقال بولس: " من يزوج ابنته يفعل حسنًا، ولكن من لا يزوّجها يفعل أحسن، ومن الخير أنْ يظل الرجل أعزب إلا إنْ خاف الوقوع فى الخطيئة ".

هذا هو الموقف المسيحي الذي ما زال يحكم العقلية الغربية والسلوك الغربي من الجنس واللذة الجنسية... شعور بالإثم، والانحطاط أو الخطأ .. نعم هذا التصوّر الذي يحكم السلوك الغربي، حتى يومنا هذا وفي ذروة الإباحيّة الجنسيّة، والاندفاع إلي اللذة بكل ضروبها .. ذلك أنَّ " الانحلال " علي أوسع نطاق، إنّما يعكس نفس الإحساس بالإثم، لأنَّ السلوك الإنساني، إزاء ما يؤمر بأنَّه آثم، يتخذ أحد أسلوبين، إمّا التطهر بالتعفف عنه .. وإمّا الإغراق فيه، المنبعث من العجز عن مقاومته، وبالتالي التسليم لسيطرته. فالتحلل الجنسي، والتباهي بهذا التحلل، والإصرار علي المجاهرة، كلّها تعكس الإحساس بالإثم، ومحاولة إخفاء صرخات الضمير، بإحداث أكبر قدر ممكن من الضجيج والصخب .. أو محاولة انتزاع اعتراف " السلطة " بمشروعيته.. .

(١) ن. م. ص١٣٥.
(٢) الجنس في التاريخ ص١٣٢.

إظهار اللذة مسموح به دينياً:

فما موقفنا من الجنس واللذة؟!.

يبدأ الله سبحانه وتعالي بأنْ يمنَّ علينا بخلق المرأة: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً " (النساء١) و " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا " (الروم٢١). و " وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا " (الأعراف١٨٩).

والجنس وتشريعاته تحتل مكانًا بارزًا في القرآن والسنّة، ورسول الله وكبار المسلمين من الصحابة والتابعين والفقهاء مارسوا الحياة الزوجيّة والجنسيّة على أكمل وجه. والرسول يأمر بالزواج أساسًا، ويجعل العزوبية استثناء: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (الجماع ومسئوليات الزواج) فليتزوّج، فإنّه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنَّه له وجاء (أي مسكن أو مخفف للشهوة)".

وقد أعلن النبيّ أنَّه: " لا رهبانيّة في الإسلام " ورفض موقف الصحابي الذي قال إنَّه لن يتزوج ليتفرّغ للعبادة (مفهوم بولس) وردّ عليه النبي: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله، إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي " [البخاري ومسلم].

وقال: " مسكين مسكين رجل لا زوجة له، مسكينة مسكينة امرأة لا بعل لها " وقال معاذ: " زوّجوني .. لا ألقي الله تعالي وأنا أعزب "! رضي الله عنه وعنه إنْ كانوا قد زوّجوه.

والمتزوّج عندنا أكمل دينًا (فالزواج نصف الدين) وهو أولي بالصلاة خلفه من الأعزب ... وأولي بتولّى الخلافة أو الإمارة من الأعزب في حالة تساوي الشروط الأخري...

والإمام الحافظ أبو عبدالله بن القيم الجوزية (ولد سنة ٦٩١ وتوفي سنة ٧٥١ هـ) يُحدّد أسباب الإتصال الجنسي، أو لماذا خلق الله الغريزة الجنسيّة فيقول: " يحفظ به الصحة، ويتمّ به اللذة وسرور النفس، ويحصل به مقاصده التي وضع لأجلها - فإنَّ الجماع وُضع في الأصل لثلاثة أمور هي مقاصده الأصليّة:

- حفظ النسل ودوام النوع إلي أن تتكامل العدّة التي قدر الله بروزها إلي هذا العالم.
- إخراج الماء الذي يضرّ إحتباسه واحتقانه، البدن.
- في قضاء الوطر ونيل اللذة، والتمتع بالنعمة. وهذه وحدها هي الفائدة التي في الجنة إذ لا تناسل هناك، ولا احتقان يستفرغه الانزال.

وما زلتُ مُعجبًا بالتحدي الذي ألقيته في كتابي " دراسة في منحل " منذ عشرين سنة، تعليقًا علي هذا التحليل الرائع من فقيه في عصور " التخلف الإسلاميّة " إذ قلت: نتحدّي أي " دكتور " أنْ يضيف سببًا رابعًا للاتصال الجنسي غير التي ذكرها شيخنا منذ سبعة قرون؟! أيُعاب علينا أنْ نتيه علي الدنيا بتفوّق العقليّة الإسلاميّة.. ؟!.

وفضلاً عن الإلمام العلمي بطبيعة الغريزة الجنسيّة وأهدافها، فهناك التفوّق، تحديد اللذة كهدف في حدّ ذاته، بل وجعلها هي الأصل وهي المنتهى، ففي الجنّة، تنعدم الأهداف الأخري، حفظ النوع، والحاجة الفيسيولوجيّة. ولا يبقي إلاَّ اللذة للذة .. ومن هنا استنتجنا أنَّ المفهوم الإسلامي عن الجنس في جنّة عدن الأولي كان للذة وحدها، وبلذة كاملة..

وأحسب أنني مُطالب بأنْ أقف لحظة عند التشابه الموجود في رواية التوراة والقرآن حول اكتشاف آدم وحواء لسوآتهما فأخذا يخصفان عليهما من ورق الجنة .. فقد يبدو أنَّ تفسيرات " ترتوليان " و " الأكويني " قريبة من هذا النص القرآني، ولكن ذلك غير صحيح، فليس في التراث الإسلامي ولا في سلوك

الرسول والصحابة، ما يُعطي أي إيحاء بوجود مثل هذا الفهم عن الجنس، فليس في الإسلام حبّ بين رجل وامرأة بلا جنس، لأنَّ ذلك يُفضي إلي جنس بلا حبّ. وقد رأينا أنَّ شيخنا قد نصّ علي اللذّة كهدفٍ من أهداف خلق الغريزة الجنسية، بل جعلها هي الدائمة، بإنتفاء التناسل، وإفراز الغدد .. ومن ثمّ حقّ لنا القول بأنّ الجنس بين آدم وحواء كان للذّة وحدها.. وتفسير ظهور السوأة، أنَّهما كانا يُمارسان اللذّة بدون أي شعور بالخجل أو الإثم، أو أيّ إحساس بأنَّ الجنس فعل خاص تحيط به رموز خاصة، تميّزه عن سائر المُتع، فلا عيب فيه، ولا مُبرّر للخجل منه، ومع الاعتذار للقديس أغسطين فلابدّ أنَّ أجهزتهما الجنسيّة كانت نشطة، وإلاَّ لاستحال عليهما ممارسة الجنس بلذّة أو بدون لذّة .. وإذا كان آدم قد لاحظ بعد الخطيئة - انتعاظ جهازه فخجل، فماذا لاحظت حواء، أو بالأحري ماذا خجلت منه خشية أنْ يلاحظه الآخرون؟ ونشاط جهاز المرأة التناسلي لا يُمكن ملاحظته من الخارج بسهولة...

فى اعتقادنا أنَّه بعد المعصية، لم تظهر اللذة، فهذه موجودة من قبل، بل ظهر الإحساس بالألم والخجل، ومعرفة ما سيترتّب علي الجنس من الحمل، والميلاد .. والأولاد .. فاللذة كانت موجودة وصافية وبلا تعقيدات، ثمّ أضيفت إليها التعقيدات والمسئوليات، والقلق، والخجل .. فإذا ما حسن سلوكنا في هذه الدنيا، فسنعود للجنة حيث الحالة الأولي ؟ أي الجنس لذّة خالصة بلا حياء ولا ندم ولا توجّس، حتي وإنْ استمرّت الثياب كلون من المتعة، إذّ لا شكّ أنَّ الإنسان أكثر جمالاً وإثارة بالثياب – معظم الناس علي الأقل - وخاصة إذا كانت من ثياب الجنة، سُندس واستبرق .. إلخ.

فعندنا أنّه في البداية كانت المتعة واللذّة مع القيد الوحيد الذي وُضع علي الشجرة، والتحذير من الشيطان. فلمّا حدثت المعصية، كان الخجل والندم والقلق، والعار، والعورة .. وكل التعقيدات التي جاء الإسلام ليُحرّرنا منها. ويعيدنا إلي المفهوم الأوّل .. وبعد المغفرة يذهب هذا كله وتعود اللذّة التي بلا حدود ولا قيود ولا حواجز نفسيّة.. .

أمّا بالمفهوم المسيحي الغربي - فكما رأيّنا - في الأصل كان " التطهّر " فإمّا أنَّ الجنس لم يوجد أصلاً. أو أنَّه كان موجودًا بافتراض تكاثر الناس في الجنّة، ولكن بلا شهوة، ولا متعة، ولا إثارة، ولا لذّة .. فلما كانت الخطيئة كان الشبق والشهوة واللذّة! .. ولذلك فالأطهار هم الذين يمارسون سلوك الجنّة الأوّل، يكبحون الشهوة، ويمتنعون نهائيًا عن الجنس ولذّته .. أو يمارسونه للهدف الذي " جعله الله " وهو التناسل فقط، بلا شهوة أو إشتهاء، أو علي الأقل يتظاهرون بذلك وسيكافأون في الآخرة، بالإعفاء الكامل من الجنس. ومن الطبيعي أن يكون المفهوم المسيحي عن الجنة، أنها متعة للأرواح بلا أجساد. وأن تكون جنة المسلمين حافلة بالمتع الجسديّة .. أمتعنا الله وأمتعكم بجنة المسلمين إنْ شاء الله.

وسنجد أحد مظاهر الدورة الحضاريّة في كتابات الإمام الغزالي، فهو الذي وصل إلي الذروة في معرفة عصره، كان يمثّل في نفس الوقت، نقطة الانحدار التي تبدأ بتبنّى أفكار الحضارة المتخلفة .. فالغزالي زاهد صوفيّ ضد اللذة للذة، بل ضد الزواج يقول " المريد في ابتداء أمره يجب ألا يشغل نفسه بالتزويج فإنَّ ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجرّه إلى الأنس بالزوجة، ومَنْ أنَسَ بغير الله تعالى شُغُل عن الله، فشرط المريد العزبة في الابتداء، فإنْ غلبته الشهوة، فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم .. إلخ "(الإحياء ٣).

وينقل عن الجنيد : " أحبّ للمُريد المُبتديء أنْ لا يشغل قلبه بثلاثٍ وإلا تغيّرت حاله: التكسّب وطلب الحديث والتزويج، وقال أحبّ للصوفي أنْ لا يكتب ولا يقرأ لأنَّه أجمع لهمه، أمّا عن لذّة النكاح فما شغل عن الله فهو محذور "!.

وهو نصّ يُمكن أنْ يُقال في دير أو يُنقل عن قسّ في جيش الصليبيّين الذين كانوا يغزون وطن الغزالي كنذيرٍ مبكّرٍ بغروبِ شمس الحضارة الإسلاميّة. ولو تأمّلت هذا الذي يقوله الغزالي ويستشهد به لوجدته يُلخّص، أو يُوصي بكل ما يحقّق فناء الحضارة الإسلاميّة وهزيمتها .. وتأمّل فلسفة الفناء هذه المشبعة بالفكر المسيحي

وقتها، وفلسفة النهوض والإنبعاث، والتقدّم التي في تعاليم الرسول وأحاديثه.. فالرسول يعد المؤمن بالثواب كلما جامع زوجته، والرسول يقول لا رهبانية في الإسلام .. وما من صحابي إلاَّ وتزوج أكثر من مرّة .. لذا أعطوا البشريّة حضارة جديدة.

قيد في المتعة الحلال

ولا قيد في المتعة الحلال عندنا: " وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ." (المؤمنون٥-٧).

والاتصال الجنسي عندنا يُثاب عليه قال صلوات الله: " وفي بضع أحدكم صدقة " (أي في الجماع) فقالوا: " أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر... قال أرأتيم لو وضعها في حرام، كان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر".

وقد ذهبنا إلي أنَّ تعدّد زوجاته عليه الصلاة والسلام، كانت لإزالة هذا المفهوم الذي روّجته الكنيسة عن كراهية الزواج، وخاصة الزواج من المطلقة أو الأرملة، ولذلك كانت كلّ زوجاته إلا واحدة، سبق لهن الزواج؟؟؟؟؟؟؟؟...

وكما قلنا فإنّ الجنس عنصر أساسيّ في الزواج، بل وتتم به شرعيّة الزواج، وقال ابن القيّم الجوزيّة: " والمودّة بين الزوجين والمحبّة بعد الجماع أعظم ممّا كانت قبله، والسبب أنَّ شهوة القلب ممتزجة بلذة العين، فإذا رأت العين، اشتهي القلب، فإذا باشر الجسمُ الجسمَ اجتمعت شهوة القلب ولذة العين، ولذة المباشرة ... وفيه كمال اللذة، وكمال الإحسان إلي الحبيب، وحصول الأجر، وثواب الصدقة، وفرح النفس، فإنْ صادف ذلك وجهًا حسنًا، وخلقًا دمثًا، وعشقًا وافرًا، ورغبة تامة، واحتسابًا للثواب، فتلك اللذة التي لا يعادلها شيء، ولا سيّما إذا وافقت كمالها، فإنَّها لا تكتمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة، فتلتذ العين بالنظر إلي المحبوب، والأذن بسماع كلامه، والأنف بشمّ

رائحته، والفم بتقبيله، واليد بلمسه، وتعكف كل جارحه علي ما تطلبه من لذتها، وتقابلها من المحبوب ".

قارن هذا الإبداع في التنعّم بما أحلّ الله، وما يحققه الجنس مع الحبّ، قارن هذا بما يقوله الغزالى، في كراهية الجماع، بل وكراهيته الأشد للجماع بين المتحابين قال: " إنَّ العشق هو غاية الجهل " وتفسيره يعكس الكراهية المسيحيّة للجنس واللذة والحبّ إذ قال: " العشق هو غاية الجهل بما وضع له الوقاع، وهو مجاوزة فى البهيميّة لحدّ البهائم، لأن المتعشّق ليس يقتنع بإراقة شهوة الوقاع، وهي أقبح الشهوات وأجدرها أنْ يستحي منه، حتي اعتقد أنَّ الشهوة لا تقضي إلا من محل واحد، والبهيمة تقضي الشهوة أين إتفق فتكتفي به، وهذا لا يكتفي إلا بشخصٍ واحد مُعيّن، حتى يزداد به ذلاً إلي ذلّ وعبودية إلي عبودية ".

كيف هوي الفكر الإسلامي إلى هذا الحدّ وعند من .. فيلسوف مثل الغزالي .. وأين هذا من حديث ابن القيّم، ووصفه للجماع بين المتحابين واعتباره قمّة النعيم والنعمة من الله.. وأنت تري أنَّ شيخنا لا يُحَرِّم عضواً من لذّته، بل ويُقرّر: " ومما ينبغى تقديمه على الجماع، ملاعبة المرأة وتقبيلها ومصّ لسانها ". وعن جابر بن عبد الله قال: " نهى رسول الله – ص – عن المواقعة قبل الملاعبة ".

وهي أمور لم تكتشفها أوروبّا المسيحيّة إلاّ بعد شيخنا بسبعمائة سنة ؟! وما زال الجدل علي أشُدّه في الكنيسة حول مشروعية الجنس الجاف بل حتي مطلع هذا القرن كانت الزوجة الأمريكية التقيّة تتحرّج من القبلة بشهوة مع زوجها! ودعك من مصّ اللسان، أو ما هو ألذ للزوجين! وقد أشرنا في غير هذا الموضع إلي جواز الإستمناء، بل وأنْ تساعد الزوجة زوجها على الإستمناء. وقد حُرّم علينا الوطء في فترة الحيض، ولكن الجنس دون الوطء في أيام الحيض، ليس فقط من المباح، بل أذهب إلي أنَّه سُنّة، فقد كان عليه الصلاة والسلام: " يأمر عائشة أن تأتزر ويباشرها ". فى أيام الحيض.

وعندنا يُمنع الجنس أثناء الصيام ولكن الله سبحانه وتعالى ينبهّنا إلي أنَّه مباح

في ليلة الصيام من غروب الشمس إلي طلوع الفجر. قوّاك الله ياأخي - لما علمه العزيز الحكيم من الضيق الذي كان يعانيه المسلمون، ولم يطلب منهم أكثر من الإمتناع عن الجماع وهم " عاكفون في المساجد " وهو طلب جد معقول ومنطقي.. قال عزّ وجلّ:
" أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ" (البقرة١٨٧).

وقد طلبت زوجة " رفاعة القرظي " الطلاق لصغر عضو زوجها، فحكم لها بذلك. والزوجة لا يجوز لها أنْ تمتنع عن تلبية رغبة الزوج قال رسول الله : " والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلي فراشها فتأبى عليه، إلاَّ كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتي يرضي عنها ". وإذا كان لا يمكن إثبات امتناع الرجل عن قصد .. فإنَّ الشرع قرّر لا ضرر ولا ضرار، واعتبر من الضرر عدم إشباع الحاجة الجنسيّة للزوجة ومن ثمَّ لها حق الطلاق سواء كان امتناع الزوج عن عجز أو كراهية أو عن رغبة في الإيذاء والازعاج.

وإذا كان " الجماع " يجب أنْ تسبقه الملاعبة، فإنَّ مفهوم النصّ والشرح في حديث " الإفضاء " أنَّ التعبير عن الشعور خلال الجماع مباح.. .

قال رسول الله: " إنَّ من شرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة. الرجل يفضي إلي امرأته وتفضي إليه ثم يفشي سرّها ".

وشرح الحديث الإمام النووي (٦٣١ هـ) فقال: " وفي هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمر الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك، وما يجري من المرأة من قول أو فعل أو نحوه ".

ولا يُمكن أنْ يجتمع في تراثنا، كل هذا الغزل إذا كان الجنس مكروهًا في ديننا، أو الحبّ مريبًا. بل العكس، إنَّ النظرة المتحرّرة للجنس جعلت المسلمين يرون في العشق علاقة نبيلة شريفة، لا يتغنّي بها فقط، بل اعتبروا أنّ الجمع بين العاشقين فضيلة، ومثوبة، يسعي لها أجلاء الصحابة، رضي الله عنهم .. .

مرّ أبو بكر الصديق، رضي الله عنه - في خلافته - بطريق من طرق المدينة فإذا جارية تطحن وهو تقول:

وهويته من قبل قطع تمائمي   متمايسًا مثل القضيب الناعم
وكأن نور البدر سنّة وجهه   ينمى ويصعد في ذؤابة هاشم

فدقَّ عليها الباب، فخرجت إليه، فقال: " ويلك! أحرّة أنت أم مملوكة ؟ فقالت : بل مملوكة يا خليفة رسول الله . قال: فمن هويت؟ .. فبكت ثم قالت: بحق الله ألا انصرفت عني .. فقال: لا أريم أو تعلميني فقالت:

وأنا التى ليت الغرام بقلبها   فبكت لحبّ محمد بن القاسم

فصار إلي المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه، وبعث بها إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب.. .

وجاءت جارية لعثمان بن عفان تستعدي على رجل من الأنصار، فقال لها عثمان: ما قصتك؟ .. فقالت: يا أمير المؤمنين كُلفت بابن أخيه، فما أنفكّ أراعيه. فقال له عثمان: إمّا أنْ تهبها لابن أخيك، أو أعطيك ثمنها من مالي.

فقال: أشهدك يا أمير المؤمنين أنَّها له.

وأتي عليّ بن أبي طالب بغلامٍ من العرب وجدوه في دار قوم بالليل، فقال له: ما قصتك؟ فقال: لست بسارق ولكن أصدقك:

تعَلَّقْتُ في دار الرباحيّ خَوْدَةٌ   يذلّ لها من حُسْنِها الشمسُ والبدرُ
لها في بناتِ الرومِ حُسْنٌ ومنصبٌ   إذا افتخرت بالحُسن صدّقها الفجر
فلما طرقت الدار من حَرِّ مهجةٍ   أتيت وفيها من توقدها جمرُ
تبادر أهل الدار لى ثم صيَّحوا   هو اللص محتومًا له القتل والأسر

فلمّا سمع " عليّ " شِعْرَه رَقَّ لَه، وقال للمُهلّب بن رباح: اسمح له بها ونعوّضك عنها.

واشترى معاوية بن أبي سفيان جارية من البحرين، فأعجب بها إعجابًا شديدًا فسمعها يومًا تنشد أبياتًا منها:

وفارقته كالغصنِ يهتزُّ في الثرى   طريرًا وسيمًا بعدما طُرّ شاربُه

فسألها فقالت: هو ابن عمّي .. فردّها إليه وفي قلبه منه.

ودخلت عزة يومًا على أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز فسألتها: يا عزة ما قول كثير:

قضي كل دين فوقّي غريمه   وعزة ممطولٌ مُعنَّي غريمها...

ما كان هذا الدين ؟.. فقالت عزة: كنت قد وعدته بقبلة، فتحرّجت منها.

فقالت أم البنين: أنجزيها وعليّ إثمها .. إلخ(١).

لست أريد أنْ أطيل .. وحسبُك أنْ تعلمي أيتها المسلمة .. أنَّه ما من أمّة قد عشقت كما عشقنا، وما من أمّة قد أقبلت على الحياة كما أقبلنا، لم نصدف عنها صدوف العاجز الكاره لها.. ولا انتحرنا بإدمانها .. وستبقى ليالينا في دمشق وبغداد والقاهرة والحمراء وقرطبة .. حلم البشرية كلها، وليلة الغرام للمرأة، فقد عاشت فيها أروع وأمتع الحب، يحوطها حنان الرجل وإعزازه .. وتنعم فيها، لأوّل مرة، بالمساواة الكاملة كإنسانة، وبالمكانة الساميّة كحبيبة القلب .. وما من أمّة في تراثها عشر ما فى تراثنا من غزل بالمرأة ووله بها.. .

وفي اعتقادي أنَّ الرجل الذي يستمتع بالجنس بلا عجز ولا عقدة إثم .. لا يمكن أن يحتقر المرأة .. .

فليس في الفكر الإسلامي، من سبب لاحتقار المرأة أو الاعتقاد بثانوية مركزها، بل ويمكنني أنْ أضيف هنا عنصرًا أخلاقيًا لنشوء الانطباع عن ثانويّة مركز المرأة واستغلال الرجل لها .. ذلك أنَّ الطبيعة اهتمت بلذة الرجل لإنجاز عملية الإخصاب، ولم تهتم أو قل لم تعلقها على استكمال المرأة شهوتها .. فالمعروف أنَّ الإخصاب لا يتمّ إلاَّ إذا أفرغ الرجل أو أنزل منيه بالقذف، أي يستكمل شهوته تمامًا، بعكس المرأة التي تؤدي مطلب الطبيعة بنجاح، أي يتمّ الإخصاب والحمل دون أنْ تُفرغ أي دون أن تبلغ ذروة استمتاعها بوصول منحني التوتر الجنسي إلى قمته ثم استرخائه، بل تتم العملية كما قلنا بقذف الرجل في رحمها، ولو كان اغتصابًا، وعلي كرهٍ وبغضٍ منها، بل يمكن القول أنَّ اهتمام الطبيعة بالجانب الجنسي يتلاشى فور قذف الرجل وتحقيق الهدف بإفراغ الحيوانات المنوية، في المكان المطلوب لتبدأ مرحلة أخري من مراحل حفظ النوع .. بينما تؤكد غالبية الدراسات أنَّ المرأة في هذه اللحظة بالذات تكون في قمة الاشتهاء والتشبث

---

(١) غلبت عاطفة أم البنين على تقواها .. وبقية القصة : فاعتقت أم البنين بكلمتها هذه أربعين رقبة وكانت إذا ذكرتها بكت وقالت: ليتني خرست ولم أتكلم بها.

بالرجل، وانسحابه قبل أنْ تبلغ غايتها يدمّر أعصابها ويصفع شعورها ويهين كرامتها إذ تتشبث به وهو كارهٍ منصرف عنها وأقبح صور هذه الحالة هو ما نراه في أنثي الكلب إذ تطبق علي عضو الذكر حتي تنال بغيتها .. .

كذلك يمكن القول بأنَّ الرجل لا يمكن اغتصابه أو إجباره حرفيًا علي مزاولة الجنس، إذ لابد أنْ يتحقق من جانبه الانتصاب؛ وهذا يعني توفر حدّ أدنى مهما يكن حجمه ومبرّره؛ من الشهوة والإرادة، بينما يُمكن أنْ تتمّ العمليّة الجنسيّة والخصاب دون رغبة من المرأة ودون شهوةٍ منها بل رغم أنفها في بعض الأحيان وهو ما يُصنّف بالاغتصاب. وأيضًا بعض حالات الدعارة المحترفة .. وهذا من شأنه أنْ تبدو المرأة في مركز ثانويّ، مركز المغتصب أو " الشيء الجنسي " الذي يستخدمه الرجل لإشباع شهوته وتستخدمه الطبيعة لإستمناء الرجل دون اهتمام بعاطفتها أو إرادتها أو حتى إشباع شهوتها فهى أداة جنسية وليست شريكة متساوية في العملية الجنسية. فالذين يقصرون هدف الجماع علي التناسل هم الذين وضعوا الأساس في " تشييء " المرأة أي جعلها شيئًا يستخدمه الرجل أو الطبيعة لإنجاز المطلوب. وسنري أنَّ الإسلام قاوم ذلك ومنعه.

وصحيح أنَّ المرأة لم تستسلم لهذا الوضع ولا واقعيًا كان الجنس عملية خاسرة بالنسبة لها؛ بل ويمكن القول أنَّ الشعور بفداحة الغبن إذا لم تصل إلي ذروة الاستمتاع مثل الرجل؛ لم يتضح بشكلٍ حادٍ إلا حديثًا جدًا؛ بل كان إهمال إشباعها حافزًا لطلبها المزيد من الجنس: وتطوير عملية الانتقاء الطبيعي لتحقيق التلاقى؛ وأكثر من ذلك نحن نذهب إلي القول بأنَّ المرأة كانت تحقق الإشباع في غالب الأحوال؛ حتى ولو لم يكن ذلك ضروريًا من وجهة نظر الطبيعة المستغرقة في تحقيق الإخصاب وحده. إلا أنَّ المرأة تعلّمت بغريزتها أو من خبرتها كيف تضاعف من جهدها لتلحق بالرجل فتصل إلي ذروة منحنى استمتاعها معه أو حتى قبل أن يفرغ هو .. خاصة وأنَّ المرأة تستطيع أنْ تتحمل الرجل للحظات بعد أنْ تفرغ؛ بعكس الرجل الذي ينحدر منحني شهوته رأسيًا فور القذف. كذلك استطاعت المرأة إقناع الرجل أنَّ صبره عليها حتى تصل هي أيضًا إلي ذروة الشهوة؛ يُضاعف من لذته ويرفع حرارة الممارسة الجنسيّة؛ ويبرز رجولته ويبرز اعتزازهما

معًا بهذه الرجولة .. وتري الرجل من عامة مُصرّ يفخر لا بعدد المرات التي جامع فيها المرأة في ليلته بل بعدد المرات التي استطاع أنْ يستفرغها.

ولكن المرأة لم تنسَ أبدًا؛ أنَّ عليها أنْ تلهث لكي تلحق بالرجل؛ وأنْ تكشف بصورة صارخة استمتاعها وحرصها بل استعطافها له لكي يضاعف من جهده ويطيل صبره ليكون كوصف صباح لفريد شوقي في الأغنية العجيبة : " عليه صبر وطولة بال .. وعليه قوه تهد جبال "! كما لا يفوت المرأة أنَّها في أغلب الأحيان تبذل جهدًا أكثر مما يحتاجه أو يبذله الرجل لتصل إلى ما يصل إليه .. ثم لا يخفي تأثير الوضع الذي جري عليه الجماع " الرسمي " وهو افتراش أو علو الرجل للمرأة؛ حيث يطرحها تحته كأنَّها فريسة يلتهمها الوحش الأقوى؛ أو شيء مُلقى أسفله؛ وهو وضع يخلق – علي الأقل خلال تلك اللحظات البالغة الأهميّة والمكثفة الزمن – شعورًا بأنَّ الرجل " يعلوها " وأنَّها لا تصل إلي لذتها إلا بقبول علّوه هذا والاستسلام له. ويمكن أنْ أضيف عنصرًا آخر هو اللغة ففي سائر اللغات يعني فعل الجماع الفعل بالمرأة فهي المفعول به مما جعل أنصار حريّة المرأة في الغرب في تطرفهم المعتاد يصرّون علي تغيير اللغة ويجعلون الفعل صالحًا للاستخدام علي الوجهين فتكون المرأة فاعلاً ومفعولاً به وكذلك الرجل .. فهي تجامع الرجل وتطأه .. .

وقد ساعدت الفلسفة البولسيّة وما تفرغ عنها في الفكر الغربي علي تأكيد إحساس المرأة بانحطاط مكانتها من خلال التركيز علي أنَّ هدف الجنس الوحيد هو حفظ النوع؛ وهو يتحقق - كما رأينا - دون اهتمام بمشاعر المرأة أو رغبتها. كذلك كرهت الكنيسة الغربية تعبير المرأة عن استمتاعها، وباستثناء مرحلة المراهقة والكبت الطويل: لا يمكن للمرأة أنْ تصل إلي الاستمتاع إذا ماحرصت علي كبت انفعالها حتى لا يصدر عنها قول أو حركة تدل علي اللذة أو

الاستمتاع . . كما نصّت تعاليم الآباء علي أنَّ وضع افتراش المرأة هو الوضع الطبيعي والشرعي .. .

" كانت محاكم التفتش تسأل المتهم في غرب المكسيك سنة ١٦٩٧: هل حاولت أنْ تطء امرأة وهى راكعة كالحيوان علي أربعة أقدام؟!".

ومن ثم فنحن لا نملك إلا أنْ نفتح أعيننا دهشة أمام وعي الإسلام بكل هذه العوامل وحرصه علي معالجتها اقتلاعًا لما يُسمّي أو يروّج عن انحطاط مركز المرأة. ولم تكن معالجة الإسلام بإلغاء الطبيعة فليس ذلك في وسع الإنسان ولا من رسالات الأديان؛ وأيضًا لم يقفز الإسلام إلى التطرّف المضاد مكتفيًا بإعلان مساواة المرأة ولو علي مستوى الشعارات أو حتى أمام القانون انتصارًا علي الرجل! بل شرّع ما يمكن من السيطرة علي قوانين الطبيعة وتطوير آثارها بما يكفل سعادة المرأة والرجل معًا وتخلصهما من أية شعور بالاستغلال من طرف لطرف .. فقد حرص الإسلام علي تحقيق اكتفاء المرأة أو بلوغها شهوتها في الجماع مع زوجها ابتداء من النهي عن الجماع قبل الملاعبة؛ بل ذهب بعضهم إلي أنَّ الملاعبة فرض بنصّ القرآن تفسيرًا لقوله تعالي : " نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ " (البقرة٢٢٣). فقالوا إن التقديم هو الملاعبة: والملاعبة كما شرحنا تثير المرأة وتسهّل بلوغها مأربها خلال الجماع الذي يعقب هذه الملاعبة .. ونهي الرسول عن أنْ يقع الرجل علي امرأته كما تفعل البهائم .. والبهائم بالطبع لا تهتم علي الإطلاق بمزاج أنثاها ولا إشباع هذا المزاج وتذكّر مثال الكلب .. كذلك أباح الإسلام كافة أوضاع الجماع بلا تحديد ولا فرض لوضع شرعي .. ومن ثمّ فقد يعلو الرجل المرأة أو قد تعلوه هي فلا إحساس بمركز أسفل .. .

وهناك أحاديث تتحدث عن قذف المرأة ماء مثل ما يفعل الرجل وقول الفقهاء أنَّ الغُسل لايتوجّب عليها إلاَّ إذا أنزلت .. وبصرف النظر عن التفسيرات العلميّة في ذلك الوقت فإنَّ الحديث عن إنزال المرأة وجعله شرطًا للإخصاب وللجنابة؛ يُعطي المرأة الحق في المطالبة بحقوقها الشرعيّة ويحث الرجل علي الاهتمام بتلبيتها، وما أظنّ أنَّ رجلاً مسلمًا يسعد برؤية امرأته تقوم من جماعه فتتوضأ وتصلي لأنَّه لم يستطع أنْ يوجب عليها غُسلاً![١]

(١) إذا كانت لا تأخذ برأى الجمهور فى وجوب الغسل إذا التقى الختانان.

الموقف من المرأة

وإنْ كان هذا خارج موضوع البحث نوعًا ما إلاَّ أنَّه لا بأس من الإشارة هنا، إلي ارتباط الموقف من الجنس بالموقف من المرأة .. فإيمان المسيحيّة الغربية ينقص المرأة، وأنَّها كانت السبب في طرد آدم، وظهور الجنس أو اللذّة، كان له تأثيره المزدوج علي انحطاط مركز المرأة في التصورّ الكنسيّ، وعلي كراهية الجنس الذي يُلجيء الرجل إلي الركوع بين رجلي المرأة ..!

وقد ورثت الكنيسة انتقاص مكانة المرأة من الحضارتين الإغريقيّة والرومانيّة، وأضافت إليه تفسير " الخطيئة الأولي " وفقًا لرواية التوراة.

" وفي أثينا لم تكنْ للنساء من حقوق سياسية أو قانونية أكثر من العبيد، وكنَّ يلحقن بأقرب ذكر، ولاتأكل مع زوجها إلاَّ نادرًا، ويستحيل إذا كان عنده ضيوف، ولا تخرج من البيت إلاَّ نادرًا ". وفي كتابات الإغريق أنَّ المرأة غير موثوق بها، وغير عاقلة وشهوانيّة منحطة. " وكان زنا الزوج بلا عقوبة، ولكن الزوجة تُعاقب إذا زنت ".

(١) راجع كتاب الجنس فى التاريخ وقد نقلت المؤلفة رواية بلوتراك عن زوجة أحد الحكام الإغريق الذي عرف من أصحابه أنَّ رائحة فمه كريهة، فرجع غاضبًا إلي بيته وسأل زوجته .. لماذا لم تخبره فردّت عليه ببراءة: كنت أظن أنَّ كل الرجال كذلك! وهذا يذكرنا بنكتة مصرية معروفة، ولا سبيل لذكرها!

" وفي القانون الروماني كانت تابعة للرجل، تنتقل هي وأملاكها إلي ملكية الزوج ". في مجلس الشيوخ الروماني: " المرأة حيوان لا لجام له ". وكان القانون الروماني يُلزم الأب بتربية كل الأولاد الذكور، والبنت الأولي فقط، أمّا بقية البنات فيُلقين في العراء عند عمود مخصّص لذلك، يمُتْن أو يلتقطهنَّ مديرو بيوت الدعارة.. .

وقال بولس الرسول، المؤسّس الحقيقي؟؟؟ للكنيسة الكاثوليكية: " المرأة خلقت لينتفع بها الرجل، ولذلك يجب أن تخضع له في كل شئ. ويجب ألاَّ تعلّم في الكنيسة فقد شاء المسيح ألاَّ يجعل أي إمرأة، ولا حتّي العذراء مريم من الحواريّين، وقد حافظت الكنيسة علي تقليد الذكورة باستمرار، فالقسيس يجب أنْ يكون شبيهًا بالمسيح، وإذا ما قامت امرأة بالقداس سيكون من الصعب رؤية صورة المسيح فيها". وهذا رأي الفاتيكان في عام ١٩٧٧ أنَّ الكنيسة الكاثوليكية لا تعتبر نفسها مخوّلة برسم قسّيسات. بل والرأي الذي أعلنه البابا أخيرًا في الثمانينيات في أثناء زيارته للولايات المتحدة(١).

وقال بولس: " يجب أن تمارس المرأة الصمت والطاعة لكل ما تؤمر به، فهي ابنة حواء التي أغوت آدم بالتعدّي ". وقال كلمنت بابا الإسكندرية: " إن المرأة مساوية للرجل في كل شيء. ولكن الرجل أفضل منها في كل شيء ".

وفكرة الخطيئة الأولي، تحمّل المرأة مسئولية شقاء الجنس البشري، فهي التي غرّر بها الشيطان، وهي التي تولّت إغراء الرجل فكانت الخطيئة الأولي التي رزح تحتها البشر.. وطردوا من الجنة حيث لا شقاء ولا متاعب .. ولا جنس في رأي ترتوليان: " فلو كان أدم لم يعص ربّه، لعاش طاهرًا حصورًا، ولتكاثر النوع الإنساني بطرق غير هذه الطرق البهيميّة ".

والعهد القديم صريح وواضح في تحميل حواء مسئولية هذه الخطيئة الفادحة:

---

(١) مجلة التايم – فبراير ١٩٧٧/٢/٧.

" فرأت المرأة أنَّ الشجرة جيدة للأكل، وأنَّها بهجة للعيون، وأنَّ الشجرة شهيّة للنظر، وأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل ". ولمّا سأل ربّ التوراة آدمها هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألاَّ تأكل منها، وشي آدم التوراة بزوجته: المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة ". وفي العهد الجديد " إنَّ آدم لم يغو، ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدّي ".

أمّا الإسلام، فالآيات التي أشارت إلي حديث الشجرة، تحمّل المسئوليّة للطرفين بلا تخصيص، إلاَّ في آية واحدة، ينفرد فيها آدم بالمسئولية، وتلقي الكلمات التي غفر بها لآدم وزوجه.

" فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ".(البقرة٣٦).

" فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ".(الأعراف١٥٢).

" فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى. فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى " (طه١٢٠و١٢١).

فلا خطيئة لحواء عندنا، بل إنَّ هذه المعصية قد انتهت بغفران الله لهما.. . إنَّه لغفور رحيم.. .

ثم إنَّ الخطايا في ديننا لا تُورّث. وربنا الغفور الرحيم لا يُطارد الجنس البشري بمعصية آدم وحواء .. .

ومن ثمّ فلا حقد علي حواء، ولا عقوبة أبديّة لبناتها .. بل هنَّ نور حياتنا وحبّات قلوبنا، وكمال ديننا، والجنّة تحت أقدامهنَّ.

علمنا أوروبا المسيحية احترام المرأة:

وقد أجمعت الدراسات الحديثة علي أنَّ الحضارة الإسلاميّة هي التي علّمت أوروبا المسيحية احترام المرأة، والنظر إليها كإنسانة بل كأجمل نعم هذا الوجود، بالنسبة للرجل علمناهم " حبّ " المرأة والغزل المهذب فيها، وأيضًا نحن الذين

علمناهم حبّ " مريم " العذراء واحترامها؟؟؟؟؟؟ .. وإنْ كانوا قد فعلوا ذلك علي طريقتهم .. .

تقول مؤرخة الجنس:
" كل الذين جاءوا إلي العالم الإسلامى، ولو حتى إلي أسبانيا وصقلية فقط، عادوا بسلب لم يحسوا به ولكنه كان أثمن من كل ما حققوه أو سلبوه، وهو نظرة جديدة للحياة من الاحتكاك بحضارة أكثر تقدمًا ورقيًا مما كان بوسع نبلاء الغرب تخيله .. حفنة من الأفكار والإنطباعات والوعي والتصور ولكنها كانت كافية لجعلهم أكثر انسجامًا مع التغيرات التي كانت قد بدأت فعلاً في أوروبا " وقد سافر إلي أسبانيا أو فلسطين نصف فرسان فرنسا خلال الثلاثين عامًا التي تلت عام ١٠٩٧ (بداية الحروب الصليبية).

ولكن التأثير لم يقتصر علي هؤلاء الذين ذهبوا، ولا كان الصورة الأنقي، فالذين بقوا في أوروبا أو " القاعدون " سواء لأنهم أصغر أو أكبر من سن القتال - أو أعجز أو أحكم وأعقل من المشاركة في المغامرة الاستعمارية .. كان هؤلاء " القاعدون " يتذوّقون تجربة مثيرة بشكل آخر خلال أعمال المسلمين ومؤلفاتهم، عن علم وحكمة المسلمين، وأيضًا مؤلفاتهم عن علم وحكمة العالم الكلاسيكي (أي ثقافة اليونان والرومان ج) هذه المعرفة وصلت مصفّاة نقية عبر أسبانيا المسلمة التي عبرها أيضًا جاءت الآداب التي ستؤثر علي وضع المرأة في أروبا(١).

السيدة مريم هدية المسلمين للعالم المسيحي:

الكنيسة الغربية كانت تنظر للمرأة من خلال صورة حواء المسئولة عن سقوط البشر، فلما حلت " مريم" التي جاءت مع العائدين من الحروب الصليبية تغيّرت النظرة لصالح المرأة، وكان ذلك في القرن الرابع عشر.

فالحق أنَّ الإسلام أهدى " ماريه " أو " مارى " للغرب المسيحي وساهم مساهمة مباشرة في تحرير المرأة الأوروبية، ومن سخرية التاريخ أنَّ هذا تمّ في

(١) الجنس في التاريخ ص٢٤٤.

ذات الوقت الذي كانت المرأة المسلمة تتراجع لتدخل الحريم التركي، المؤلم في تخلفه.

تعتقد " راي تناهيل " أنَّ العرب أخذوا الحجاب عن بيزنطة " حيث كانت المرأة معزولة عن الحياة العامة ومحجّبة، لا يسمح لزوجها برفع الحجاب إلا خلال العقد وللحظة قصيرة يختلي فيها العروسان ".

وسنثبت بتوسّع في دراسة أخرى، تعلّم أوروبا احترام المرأة من العرب، وأنَّه قبل الاحتكاك بالمسلمين والإطلاع على القرآن والموقف الإسلامي من السيدة مريم لم يكنْ لها كبير ذكر في الأناجيل ولا في الكنيسة.. ولكن نعلّق هنا على ما ذكرته مؤرخة الجنس وهو أنَّ الذي علّم أوروبا حبّ " مريم " العذراء هم شعراء التروبادور، أي الذين نقلوا هذا الشعر من الأندلس المسلم، نقول أنَّها كمؤرخة منصفة واسعة الإطلاع كان يجب أنْ تدرك أنَّ حبّ مريم جاء من الفكر الإسلامي، ومن صميم الدين الإسلامي، بعد الاحتكاك العظيم في الحروب الصليبيّة، وإذا كانت بيزنطة قد سبقت الكنيسة الغربية في احترام مريم وتقديسها فلأن بيزنطة جاورت الإسلام أربعة قرون قبل أن تبدأ الحروب الصليبيّة، ولا حاجة للقول بأنَّ أيّة مقارنة بين الإنجيل وأعمال الرسل، وتراث الكنيسة في القرون الأولي، وبين القرآن، حول مريم، تؤكّد أنَّه لا وجود " لمريم " في الفكر المسيحي الأوّل، أو أنَّها كما تقول المؤرّخة ظلّت إلي القرن الثالث عشر: " مُجرّد قدّيسة عادية " أمّا في الإسلام فقد أعلنت منذ القرن السابع " سيدة نساء العالمين " فهي التي اصطفاها الله علي نساء العالمين، هي " البتول " التي أحصنت فرجها ليس لها في الأناجيل الأربعة سفر، ولها في القرآن سورة كاملة. وجاء اسمها في القرآن ٣٤ مرة وفي ١٤ سورة. وذكر " عيسي " في القرآن ٢٥ مرة منها ١٥ منسوبًا إلي أمّه " عيسى بن مريم "، وورد لقب المسيح في القرآن ١١ مرة، منها ثماني مرات " المسيح ابن مريم ". ولم يردْ ذلك ولا مرة في الأناجيل ولكى لا يُقال أنَّ ذلك طبيعي لحرص الأناجيل على تأكيد أنّه ابن الله، نقول أنَّه حتي عندما أراد كتّاب الأناجيل إثبات نسب المسيح الآدمي، لتأكيد أنَّه " ابن داود " نسبوه ليوسف النجار وليس لمريم !!.

مريم عندنا بالنصّ القرآني أفضل من أم نبيّنا عليه الصلاة والسلام وأفضل من

جميع زوجاته وبناته .. وتأمل ذلك الصحابي رضي الله عنه الذي " ثنيت له وسادة ليحدث " فقال: .. خديجة هي خير من ركب الإبل من النساء " ثم تنبّه إلي خطورة المنزلق الذي ساقه إليه لسانه فبادر قائلاً: .. ومريم بنت عمران لم تركب الإبل قط "!.

حسبك هذه الواقعة لتعرف مدى مكانة مريم عليها السلام في نفوس المسلمين وإذا كان المسيحيون تعلموا احترام مريم من المسلمين، فقد شوّهوا الموقف، إذ كرموها باعتبارها أم المسيح أو أم الإله .. أمّا عندنا فمكانة السيدة مريم، وما أكرمها الله به لا يرجع إلي أنَّها ولدت المسيح؟؟؟ .. حاشا لله أنْ تُكرم الأمهات في ديننا بنباهة أو صلاح الأولاد، وإلاَّ كان لآمنة بنت وهب السبق الذي لا يُدرك فقد ولدت خير الخلق، وخاتم الأنبياء والرسل وإمامهم يوم المعراج والإسراء .. وحبيب الله والشفيع إليه .. .

ولكن مريم حازت تلك المكانة لعاملين:

الأول: أنَّها كانت صالحة عابدة قانتة .. مؤمنة صابرة. أحصنت فرجها، وكانت لها معجزاتها التي شاهد زكريا بعضها .. وهو الرزق الذي كان يأتيها من عند الله .. وكلما عجب زكريا من وجود ذلك في غرفتها التي اعتكفت فيها للعبادة، ردّت عليه رد المؤمنة الواثقة: " هو من عند الله "، " إذ الله يرزق من شاء بغير حساب ".

والعامل الثاني: هو أنَّ الله ابتلاها بأقسي امتحان تتعرض له عذراء عابدة، ناسكة زاهدة محصنة عفيفة .. وهو الحمل بدون زواج، ولا والد معروف لحملها .. مما عرضها في زمانها ومحيطها وجيلها لأشنع اتهام، بل مازال اليهود والمشركون يردّدونه إلي اليوم. وقد أبلغها سبحانه وتعالى بذلك، وأدركت هي خطورة ما سيترتب علي هذا الاختيار الإلهي لها .. بل وتمنّت لو كانت قد ماتت قبل هذا وصارت نسيًا منسيًا، لإدراكها الكامل بما سيُقال عنها، وما ستتعرّض له، وأهون ما جوبهت به هو التذكير بأنَّ أمها لم تكُ بغيًا ؟! ومع ذلك آمنت وصبرت وصدّقت ما يستحيل علي كثير من العقول حتى اليوم تصديقه .. .

وقبول مريم ومباركتها وتفضيلها علي نساء العالمين، بعبادتها، سابق علي إبلاغها فضلاً عن حملها للمسيح .. .

" إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {٣٥} فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ {٣٦} فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ {٣٧} " (آل عمران ٣٥-٣٧).

" وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ " (آل عمران ٤٢).

من هنا يحق لنا القول أنَّ " مريم " في المسيحيّة حاليًا، هي هديّة المسلمين للعالم المسيحي. وإذ كانت صورتها أو ممارسات حبّها وتوقيرها، قد اتّخذت صيغة مخالفة للعقيدة الإسلاميّة. بحكم العقليّة الغربيّة، والتطوّر الذي أصاب الفكر المسيحيّ.

تقول مؤلفة .. الجنس في التاريخ:
" حتي مطلع القرن الثاني عشر لم تكن " مريم " أكثر من إحدي القدّيسات في التقويم المسيحي الغربي، ولكن بمُجرّد ما استوردت عبادتها من بيزنطة (وقد شرحنا مصدر ذلك) حتي جذبت عواطف وإعجاب القديس برنارد رجل الكنيسة المشهور الذي كان مسئولاً عن إصلاح نظام الرهبنة، وبنفوذه أنشئت مئات الأديرة

في أوروبا حيث وهب الرهبان أنفسهم فيها " للعذراء " يلبسون الرداء الأبيض تحية لطهارتها، ويضيفون محرابًا خاصًا " للسيدة " في كنائسهم. ولم يكد يحلّ القرن الثالث عشر حتى كان الشعر والشعراء الجوّالون يخلطون بين " السيدة " و " العذراء " بين " الحبّ المقدّس " و " الدنس "، وأصبحت العذراء سيدتنا Our Lady – Notre Dame شخصية ارستوقراطية مميّزة أكثر انسجامًا في بيت الأمراء في قصور الغرب منها في الخان المشهور في بيت لحم. ولكن في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، تحوّلت بتأثير الفرنسيسكان إلى أمّ الفقراء والبؤساء، والعائلة المقدّسة التي لم يكنْ لها مكان في الأناجيل، أخذت مكانها في مجتمع القرن الخامس عشر في روما " ولو أنَّ العامة - الذين لا يرتبط الدين عندهم بالمنطق - كانوا علي استعداد لقبول مريم كعروس المسيح وأمه .. مما أثار مشاكل منطقية في العقيدة، وعند جودفرى أوف إدمونت، أنَّها أيضًا عروس العضوين الآخرين في الثالوث (أي الآب والروح القدس). وقد ظلّت " ماري " شوكة في جنب الفكر الكنسي لمخالفتها لنظرة المسيحيّة عن وضع المرأة، حتي اضطرت في النهاية لإعلانها حالة خاصةً "(١)؟؟؟؟!!!!!..

(١) ص ٢٥٧ وانظر دراسة موسعة لنا عن مريم فى الأناجيل فى كتابنا: " خواطر مسلم عن الجهاد والأقليات والأناجيل ".

لماذا الزنا؟

وقد يبدو من النظرة السطحية أنَّ مفاهيم الكنيسة الغربية أكثر " عفة " أو تخلق مجتمعًا أكثر عفة من المجتمع الإسلامي - ولكن هذا غير صحيح؟؟، لأنها مخالفة للطبيعة. وقد اضطر كبار رجال الكنيسة ذاتهم إلي الاعتراف بالعجز عن " خصي " المؤمنين، ومن ثمّ ترى " قديسًا " مثل توماس الإكوينى، الذي يُعتبر فيلسوف الكنيسة ومجدّدها فكريًا، يُقرّ البغاء كوسيلة لمكافحة اللواط، ويقول إنَّ البغاء مثل " المراحيض " إذا ألغيتها امتلأ المكان بالأقذار .. كذلك إذا ألغيت البغاء، انتشر " اللواط ". وكانت هناك كنيسة للدعارة في " أفنيون " حيث تقضي الفتيات بعض الوقت في الصلاة والواجبات الدينية، ثم يتفرغن بقية النهار والليل لخدمة الزبائن، الذين يشترط فيهم أن يكوونوا مسيحيّين، إذّ لم يكن يُسمح لغير المسيحيّين بالدخول؟؟؟؟!!!.

وقد ظل هذا التقليد متبعًا من الموسات المسيحيات في الخليج إلي عام ١٩٥٦، هذا يذكرنا بقصة الغلام الشهيد وملك قرطبة(١).

وقد أعجب البابا جوليوس الثاني " بكرخانة " أفينون هذه إلى درجة أنَّه في مطلع القرن السادس عشر أسس واحدة مماثلة في روما ذاتها، وأصبحت مارية المجدلية، قدّيسة الموسات "! .

ويمكن أنْ نُدرك مدى انتشار البغاء من حقيقة أنَّ كولومبوس سافر إلى أمريكا عام ١٤٩٣ مع خمسين بحارًا أصيب بعضهم " بالزهرى " في أمريكا، ولكن بعد عودتهم بثمانية عشر شهرًا كان الزهرى منتشرًا في معظم أوروبا!.

وتوماس الأكوينى الذى أباح البغاء هو الذى قيل فيه " لو أمكن تحميل رجل واحد مسئولية تشديد موقف الكنيسة من اللواط، فهو توماس الأكوينى فيلسوف وفقيه القرن الثالث عشر ".

وقد عزل أحد رجال الدين في بريطانيا عام ١٢٧٤ بعد ما أنجب ٦٥ طفلاً غير شرعي(٢).

ولكن استخدام أو إباحة البغاء لم يُقصد به مجرّد تطهير المدينة من قذارات اللوطيين، بل استعين بها علي فرض التقشف في المعاشرة الزوجيّة! فإنّ محاولة الكنيسة التدخل في فراش الزوجيّة، ومقاومة المشاعر الطبيعيّة، أدّت إلي ازدهار البغاء، ففي العصر الفيكتوري فضّل الرجال أو حتي نُصحوا بتفريغ شهواتهم مع الموسات أو العشيقات، ليكون الجنس مع الزوجة رفيعًا مهذبًا باردًا رصينًا! " آمن آباء الكنيسة أنَّ الجنس حتي فى الزواج لا يُسمح به إلاَّ إذا كان الهدف منه هو التناسل فقط، ولو أنَّ الكنيسة الكاثوليكية آمنت بذلك ولونت تلك النظرة، الفكر الكاثوليكى كله، فيما يتعلق بالجنس، إلاَّ أنَّ تأثيره كان محدودًا ولكن من

(١) أنظر فصل اللواط. وهو الغلام المسيحى الذي رفض حب الملك اللوطي المسلم لأنه وثنى.
(٢) المسيحية واللواط ١٣٣-١٤٧.

الغـريب أنَّـه خـلال القـرن التاسـع عـشر تبنّـي البروتسـتانت تعـاليم القـديس أغـسطين أكثـر ممـا فعـل أسـلافهم الكاثوليـك وقـال الـدكتور ألـيس سـتوكمان الأمريكـي عـام ١٨٩٤ " إنَّ أي زوج يطلـب مـن زوجتـه الجمـاع بغـير هـدف الإنجـاب، إنّمـا يحـوّل زوجتـه إلـي مـومس خصوصـية "(١)، " وإذا لـم يكـن رجـال العـصر الفيكتـوري قـد ذهـبوا فـي التطـرّف مـذهب الـدكتور إلاَّ أنّـه كانـت هنـاك قناعـة عامّـة بـأنَّ الرجـال لا يجـوز لهـم إظهـار شـهوتهم الحيوانيّـة مـع زوجـاتهم إلاَّ فـي أضيق الحـدود مرّة فـى الشـهر وهـو الأمثـل، أو مـرّة فـى الأسـبوع إذا كانـت الحالـة حرجـة "(٢). ويُمنـع تمامًـا فـي فتـرة الحمـل أو الحـيض. ولكـن الرجـال وجـدوا مصـرفًا، بـل اعـتقدوا أنَّهـم يخـدمون زوجـاتهم بتصـريف طاقـاتهم فـي الخـارج، وأنَّ اللجـوء إلـى المومسـات يتفـق مـع الـدين. فالقـديس أغـسطين خـلال مناقشـته للجـنس قـال : إنَّـه لـولا خطيئـة المـرأة، والتفاحـة، والحيّـة .. لبقـى الجمـاع بـاردًا وعـملية عـقلية محسـوبة وخالصًـا مـن كـل إثـارة ولـيس إلاَّ بعـد الخطيئـة الأولـي ظهـرت الشهـوة والعاطفـة فـي الموضـوع. وقـد حمـل أطبّـاء القـرن التاسـع عـشر هـذه النظـرة إلـى نتيجتهـا المنطقيـة، ففضـلوا الجـنس مـع المـومس الـذي يـتمّ بـلا حـبّ، عـن الجـنس مـع الزوجـة، فـازدهر البغـاء عـلي نحـو لـم يسـبق لـه مثيـل. ورغـم قلّـة الإحصائيّات. فقد اعترف البوليس بوجود ثلاثين ألف مومس في باريس.

ولكـن المصـادر الرسـميّة تقـدّر الـرقم الحقيقـي بمائـة وعـشرين ألفًـا، ونفـس الخـلاف، فـي لنـدن، فقـد اعـترف البـوليس بوجـود سـبعة آلاف مـومس، بينمـا قـدرهم تقريـر إحـدي الجمعيـات بثمـانين ألـف مـومس. وفـى فيينـا (١٨٢٠) كانـت توجـد بغـي لكـل سـبعة رجـال، وفـى نيويـورك (١٨٣٠) عـشرون ألـف مـومس وفـي الفتـرة مـا بـين (١٨٣٠-١٨٤٠) كانـت تُحـال سـبعة الآف امـرأة معـظمهن مـن البغايـا إلـي العـلاج مـن السـيلان أو الزهـري، وفـي عـام ١٨٦٥ عالجـت ثـلاث مستشـفيات فـي لنـدن، ثلاثـين ألـف حالـة من الرجال والنساء، وفي باريس (١٨٦٠) كان أكثر من ستين

(١) الجنس فى التاريخ
(٢) وقد وعدها الإعرابى " أربعًا في أربع " فى ليلة واحدة هى ليلة المبايعة!.

بالمائة من المومسات اللائي دخلن سجن " سانت لازار " مصابات بمرض سرّي، وخلال ثلاثة شهور فقد الحرس الإمبراطوري عشرين ألف يوم عمل بسبب تردّد رجال الحرس علي المستشفيات للعلاج من الأمراض السريّة. وفي كوبنهاجن في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر كان كل رجل أو امرأة من بين ثلاثة يحمل أو تحمل إصابة بمرض سرّي. وفي أمريكا في عام ١٩١٤ قدّر أحد الخبراء أنَّ نصف الذكور في الشعب الأمريكي مصابون بالسيلان "(١).

وهكذا ترى أنَّ المُنبتّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقي .. وأنَّ التعاليم الإسلاميّة هي التى نظّمت وضبطت الحياة الجنسيّة بما يكفل الإشباع الكامل النظيف والإنساني ... ووضعت العلاقة التي تنتفي معها الحاجة إلي الزنا.. . [تعليق: كان أجدر بالكاتب أنْ يذكر الإحصائيات، إنْ وجدت، عن البغاء والأمراض السريّة بالبلاد الإسلاميّة، في نفس الفترة، حتي يتثنّي للقارئ عقد مقارنة خالية ، بالرغم من أنَّ البغاء كان مقنّن في البلدان الإسلامية حتي بعد الحرب العالمية الأولي. وما زواج المتعة إلا دعارة شرعية تمارس في بلدان إسلاميّة حتي أيامنا هذه.].

فالزواج في الإسلام، وهو المصرف الطبيعي للغريزة الجنسيّة، مطلوب ومأمور به .. وهو أيضًا سهل جدًا، لا يحتاج إلي طقوس خاصّة، ولا إلي رجل ذي صفة خاصة لعقده، بل يستطيع أي رجل وامرأة أن يتزوجا ..إمّا بالشهود أو بالإعلان، أو بهما معًا .. وأجاز أبو حنيفة الزواج بلا ولي وبشهادة فاسقين. ومالك أجازه بلا شهود وإنْ كان الإجماع علي الولي والإعلان أي الإشهار. والمرأة البالغة تختار وليّها، أو بالأحري تعيّنه.

وواضح أنَّ اشتراط الشهود، أو الإعلان أو هما معًا إنّما يحميان حقوق الزوجة والأطفال، فالعادة عند إنكار الزواج، أنْ يأتى هذا الإنكار من جانب الزوج ... ومن النادر جدًا وقوع حالة عكسية، وإنْ وقعت فغالبًا بعد وفاة الزوجة، إثر نزاع علي الميراث. ولكن الشهود والإعلان ليست مراسيم، وكتابة عقد الزواج ليست من نوع الطقوس التى بغيرها لا يتمّ الزواج شرعًا، إنَّه كما رأينا ضمانات قانونية لحماية الشريك الأضعف. ولتحويل الزواج من سلوك ذاتي بين ذكر وأنثي إلي سلوك اجتماعي، بإشهاد المجتمع عليه. ذلك أنَّ القيد الذي يضعه الإسلام علي

---

(١) الجنس فى التاريخ. ويمكن أن يقال الآن أنَّ عشرين مليون أمريكى وأمريكية مصابون

حرية الفرد، هو دائمًا أبدًا لمنع تعسّف الفرد فى استخدام حرّيّته بما يضرّ مصالح الآخرين.

وما دام يستطيع أي فتى وفتاة بلغ بهما الحبّ حالة السعار التي تتحدث عنها " فرانسوا ساجان "... أنْ يستمتعا بها علي سنّة الله ورسوله .. دون انتظار مباركة شخص بعينه ... فلماذا يزني المسلم؟ إلاَّ إنْ كان الزنا يتمّ مع سبق الإصرار عليه.. .

ولا أظنّ أننا سنقف طويلاً عند البغاء، فذلك ليس جنسًا ولا حبًا، ولا حتي آدمية ... وما من أحد يجرؤ علي المطالبة به اليوم أو الدفاع عنه. وإنْ كان تاريخنا لم يخلُ من بعض الرقعاء. طالبوا بإباحته لمنع الكبت والأمراض السريّة! .. منطلقين من نظرية المجاري!.. .

البغاء العام انحطاط للرجل والمرأة ... فلنتركه سريعًا، حتي ولو سمّوه باسم " مشاعيّة النساء " واقترن بما يسمّونه " الشيوعيّة البدائيّة "... فإنَّ تكوين الأسرة هو أوّل الصفات الآدميّة، والملكيّة الفرديّة لا دخل لها فى استمرار الأسرة.

نناقش إذن الزنا الفرديّ ... والمرأة فى الأغلب الأعمّ لا ترفض الزواج بالرجل الذي أسلمته جسدها إلا إنْ كانت تسلّم هذا الجسد وحده، دون قلبها سواء بدافع من الشهوة الحيوانية وحدها، لأنَّ الحيوان يمارس الجنس بلا حبّ(١) بل هناك حيوانات عليا لا يخلو جنسها من حبّ - والجنس بلا حبّ حيوانية، بل سلوك حشري! أو حرصًا علي مكسب غير عاطفيّ ... أو لأنَّها ترى الرجل غير كفءٍ لها، ولكنها تشتهيه ... هذه المرأة تهين نفسها، وتقرّ ذلك في أعماق ضميرها وهى تزني ... لأنَّها تسلّم جسدها لمن لاتحترمه... إذ لو احترمته لتزوجته، ومثل هذه الزانية سُبّة للجنس كله ... أمّا إذا سلّمت المرأة قلبها، فليس أسعد منها ولا أعظم عندها من أن يختارها الرجل الذي امتلك قلبها، ومنحته حبّها، شريكة لحياته، ومكمّلة لدينه، وأمًا لأولادها.

---

(١) والغريب كما رأينا أن الإمام الغزالى امتدح ذلك!.

الغالب إذن أنَّ الرجل هو الذى يحب التملص ... الرجل الذي يمارس الجنس مع المرأة، وهو لايريد أنْ يرتبط بها ولا أنْ يحمل أولادهما اسمه ... هذا الرجل مهما كان فوران عاطفته، يخفى احتقارًا للمرأة .. .

فتحريم الزنا هنا، يعني - ضمن ما يعنيه - تحريم احتقار المرأة.

وحالة أخرى للزنا، هي تلك التي تتم مع اتفاق الطرفين علي استبعاد الزواج وهو في الغالب الزنا بحليلة آخر... وهذا هو الجنس المشوّه، الذى يقوم علي خيانة ثالث ... وعلي إقرار من الطرفين بأنَّها علاقة لا تتجاوز هذه الرعشة المؤقتة مهما أحيطت بالشبق والحنان ... فهى مدمّرة، خاوية، ممتزجة بإحساس وضيع بالخديعة.. خديعة الرجل للمرأة، يقول بلسانه مالا يتجاوزه إلى قلبه .. قلبه الذى يوقن أنَّها علاقة عابرة بلا مسئوليات ... يهمس في أذنها أنَّه مستعد " للموت " في سبيل حبّهما ... وهى علي يقين برفضه " الحياة " في سبيل هذا الحب!.. .

وخيانة المرأة للرجل، تريد أحضانه ولكنها لا تقبل العيش معه سوى لحظات مختلسة، علاقة يغلفها الكذب والشك في واحدة من أصدق اللحظات ... وكيف يصدق الرجل رعشة امرأة وهو يعرف أنَّها تكرّرها مع غيره ... ربّما بعد ساعات، وربما قبل ساعات ... وأنَّى لرجلٍ أنْ يكتشف الزيف في هذأه اللحظات من الصدق ؟! وكيف تصدق المرأة رعشة رجل مطمئن تمام الاطمئنان، أنَّه لا يحمل مسئولية عواطفه، بل يحملها لرجل غيره؟.. .

وماذنب الطفل الضائع بين يقين كاذب، وشك لا يجرؤ حتي علي الشك!.. .

من هنا كان زنا المحصن يستحق الرجم ... وكان حديث الرسول عن ابن مسعود " سألت رسول الله: أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، قال: قلت له إنَّ ذلك لعظيم، ثم أي ؟ قال: ثم أنْ تقتل ولدك مخافة لأنْ يطعم معك، قلت: ثم أي ؟ قال: ثم أن تزانى حليلة جارك ".

نعم! الشرك بالله لا يتفق وقدسية التوحيد، وهو انحطاط بالإنسان عن المرتبة

التي رفعه الله إليها، فلم يجعل له ربًا إلا ربّ العالمين وحده، والزنا بين المتزوجين، شرك بالعاطفة الأنسانية الصادقة، وخيانة للحب وإهدار للجنس .. لأنَّ الزواج عندنا ليس ورقة، إذ لابدّ في الزواج الإسلامى، من الإرادة الواعية في الاختيار الحرّ، فما دامت قد اكتملت الإرادة الواعية وعبّرت المرأة باختيارها الحرّ عن رغبتها فى هذا الزواج، فليس من حقها أنْ تخون ثقة شريكها فى هذا الزواج ... ونفس الشيء للرجل المتزوج.

فإن قيل: إن القلب متقلب، وإنَّ الاختيار قد يخطيء، والإرادة قد تضلّ ... قلنا: إن الدين يُسر لا عُسر ... فإن حق تصويب الخطأ مكفول عندنا ... ماالذى يمنعها من الطلاق وزواج من تحب ؟!!.. .

والإسلام قبل أن يُشرّع رجم الزانية التزوّجة... ألغي القيود التي كانت تعترض زواج المطلقة .. ففى الشرائع الأخري، كان زواج المطلقة زنا! .. ومن ثم كان القرار الذي يتخذ بالزواج يستحيل إلي قيد رهيب علي إرادة الإنسان، رجلاً كان أو إمرأة، لا يستطيع الفكاك منه ... فجاء الإسلام وحررنا من هذا الرق .. ولذا فليس ثمة مبرّر واحد لكي يزني المسلم أو المسلمة ...

والحرية الشخصية عندنا قد اكتملت للرجل والمرأة بحق الحب والزواج ثم بحق الطلاق ... لا بالتفريط أو بالإباحية الجنسية، فليست الإباحية هي مرادفة الحرية ...

فتحريم الزنا فى الإسلام لا يبعث من كراهية الجنس بل من احترام الجنس ... وتنريهه عن العبث، ومن احترام المرأة وتنزيهها عن أن تكون أداة لمتعة الرجل ... وحتى لا ينسب الطفل لغير لحظة الحب التي أنجبته ... وإذا علمت أنَّ الزنا لا يجوز إثباته بالتجسس أو الشبهة، وأنَّ عقوبة الرجم لم تطبّق فى التاريخ الإسلامي إلا علي معترف أو معترفة، وأنَّ هذا الزاني المعترف لو أنكر بعد أنْ أصابته الأحجار، بل لو فرّ هاربًا من لوجب الأحجار وقف تنفيذ الحدّ ... وأنَّه في العصور الوسطى للإسلام، لا لأوروبا، أوشك سلطان المماليك أنْ يواجه ثورة حقيقية

لأنـه رجـم زانيًـا معترفًـا، ولكنـه عـدل عـن اعـترافه فـي آخـر لحظـة! .. أقـول: إذا عـلمت هـذا، إذن لعـرفت أنَّ عـقوبة الزنـا قـد عـبرت فيمـا عـبرت عـنه، عن احتـرام عـميق للمـرأة، وتقـدير عـميق للجـنس ... فمـا مـن شـبهة فـرض، ولـو خيـالى لظـرف، يُجبـر فتـى وفتـاة عـلي الزنـا فـي نظـام الـزواج الإسـلامي، الـذي بلـغ القمـة فـي تحـرره وبسـاطته، وقدسـيته فـي نفـس الوقـت ...

وإذا عـرفنا أنَّ " الخلفـاء والفقهـاء أفتـوا بـأنَّ الرجـل إذا شـرط مبلغًـا مـن المـال أو شـيئًـا ذا قيمـة مقابـل وطء المـرأة، فـلا حـدّ للزنـا ولكنـه زواج، فقـد أعـطاها أجرهـا وهـى قبلـت " والفكـرة أنَّ الـزواج عـرض وقبـول مـن طـرفين لـيس بينهمـا مـانع شـرعي - قـانونى مـن الـزواج. ومـا عـدا ذلـك فهـو طقـوس لا أهمّيّـة لهـا. وهـذا مـا جعلنـا نسـتنتج أنَّ " الزنـا " الـذى يحاربـه الإسـلام ويركـز عـليه هـو الزنـا الـذى يـتم بـين شخصـين يسـتحيل زواجهمـا، وهـذا هـو " الزنـا بحليلـة جـارك " أي بـالمرأة المتزوجـة عـمومًا، وإن كـان الحـديث قـد ورد بصيغة الوصايا العشر.

وقـد حـلا لبعـض المشـكّكين، فتـرة مـن الوقـت، الطعـن فـي الأسـباب التـى أدّت إلـى تحـريم الزنـا. ممـا يطرحـه الـذين يحـاولون " تبريـر " الإسـلام .. فقـالوا عـن اخـتلاط الأنسـاب أنَّـه يمكـن ضـبطه بوسـائل منـع الحمـل، ولمـا اكتشـفت مركبـات السـلفا عـام ١٩٣٥ والبنسـلين عـام ١٩٤١، شـاع اعـتقاد بـأنَّ الإنسـان قـد تخلّـص نهائيًـا مـن الأمـراض السـرية، وسـقطت حجـة الأخلاقيـين والمتـدينين فـي نقـد الزنـا أو العلاقـات الجنسـية غـير المحـدودة. وقـلّ حـرص طـلاب اللـذة الحـرام، حتـى أصـبح يعـالج مـن " السـيلان " كـل عـام فـي الولايـات المتحـدة وحـدها ثلاثـة ملايـين .. وفـى العـالم كلـه مائـة مليون! ولكن من ذا الذى يهتم إنْ هى إلا (كورس بنيسيللين).. .

ولكـن سـرعان مـا تلبّـد الجـو .. فالميكرربـات ككـائن حـي لا تكـف عـن تطـوير مقاومتهـا للمبيـدات. فهـى لا تقـل حرصًـا عـلـي الحيـاة، ولـم يقتصـر الأمـر علـى ظهـور أجيـال مـن ميكـروب السـيلان أو الزهـرى تحتـاج إلـى جرعـات أكبـر، وربمـا مركبـات أقـوى وعـلاج أطـول، بـل تطـوّر ميكـروب عـادي مـن ميكربـات البـرد إلـى أخطـر وأوسـع الأمـراض السـرية انتشـارًا (Herbs) وهـو غـير قابـل للشـفاء حتـى الآن، ولـذلك نسـميه نحـن " الإنفلـونزا الجنسـية " إذ يُقـال إنَّـه مـن فصـيلة ميكـروب الأنفلـونزا .. وهـو ينتقـل بـأي تلامـس جنسـي، مـن الفـم أو الجهـاز التناسـلي، أو حتـى الشـرج .. ويبقـى فـي الجسـد فـلا يخـرج منـه، وسـرعة انتشـاره، وعـدم القـدرة علـى علاجـه، جعلتنـا نختـار لـه تسـمية " الانفلـونزا ". ويُقـدّر عـدد المصـابين بـه فـي الولايـات المتحـدة بعشـرين مليونًـا! وهـو أبـرز آثـار " الثـورة الجنسـية " التـى اجتاحـت أمريكـا فـي السـتينيات، وبعـد انتشـار المضـادات الحيويـة، وحبـوب منـع الحمـل، وشـيوع أو علانيـة الشـذوذ الجنسـي. وتبـادل الزوجـات، والجـنس الجمـاعي ... وقـد أشـرنا إلـي المـرض الآخـر الأشـد خطـورة والـذي لا علاج له، الذى ينتشر بين اللوطيين، وهو الإيدز.

ولا حاجـة لأنْ يـردّ أحـدهم بـأنَّ الطـبَّ سيكتشـف دواء للمرضـين حتـي وإنْ كـان لـم يكتشـفْ دواء للأنفلـونزا رغـم مـرور سـبعين عامًـا علـى فتكهـا بالعـالم فـي حمـي الأنفلـونزا الأسـبانية(١٩١٩). ولكننـا جـد واثقـين أنَّ العلـم سيكتشـف دواء لكـل الأمـراض الموجـودة حاليًـا، فهـذا هـو نـصّ الحـديث النبـوي الشـريف(١) إلا أننـا أيضًـا وبـنفس اليقـين نـؤمن أنَّ الأمـراض سـتطوّر نفسـها، وسـتظهر أجيـال أكثـر قـدرة عـلـي مقاومـة الـدواء - بـل وسـتظهر ميكروبـات وفيروسـات جديـدة، متحوّلـة أو مولـدة تحمـل أمراضًـا وأعراضًـا لـم يسـبق ظهورهـا، ولا دواء لهـا لفتـرة مـن الوقـت ... فمـا دام " البغـاء " أو الزنـا يُمـارس .. أي الاتصـال الجنسـي المفتـوح، غـير المحـدود الأطـراف .. فلابد أنْ تظهر الأمراض السرية.. .

(١) لكل داء دواء وقد ورد في ما سبق.

والأصل في الاستمتاع الجنسي هو الإقبال أو الإشتهاء بلاتحفّظ، والممارسة بلا قلق، ثم الإسترخاء بلا ندم أو خوف .. وهذا لا يتأتى إلا في علاقة شرعية حتّى إذا أمن الطرفان كل القوانين والمفاجآت وكان الزنا مباحًا كما هو الحال في بعض البلدان .. فإن هذا الاستمتاع لا يتحقق إذا كان المستمتعان يبدآن بالشك في نظافة كل منهما، ثم يتخذان الاحتياطات، وينتهيان بالقلق والمبادرة لإزالة الآثار تحسبًا للأخطار .. !! وقد أثبتت الدراسات الأخيرة أنَّه بعد ظهور المرضين الجديدين " الهربس والإيدز " .. هبطت نسبة ممارسة الجنس بشكل حاد في أمريكا .. وتشهد المحاكم الآن دعاوي مرفوعة من " محبين " ضد بعضهم بتهمة " رمتني بدائها وانسلت ".. .

وباختصار إذا كان أبشع الزنا، هو الزنا بين المتزوجين، فإن الزنا عمومًا يحمل شرًا خطيرًا، والجنس يجب أن يكون في دائرة مقفلة(١).

الرجم في الإسلام ولماذا نسخه الله؟:

وقد شرحنا في كتابي " دراسة فى فكر منحل "، رأينا في سبب تشريع عقوبة " الرجم " حيث أثبتنا أنَّ المسلم المحصّن لا يحتاج للزنا إلا إذا كان قد انتوى الغدر والفاحشة ... غير أنّي أحب اليوم أنْ أقول كلمة حول هذه العقوبة ...

وقد سبق منّا القول، أنَّها موجودة في التوراة. وأنَّ الإسلام لم يخترعها، حتي يسمح المبشرون المنافقون لأنفسهم بالحملة علي " وحشية " الإسلام! أو أنهم يرون أنَّ ما كان يليق " دينيًا " في عهد " موسي " لا يليق فى عهد المسيح أو محمد، أو بمعني أكثر دقة، ما كان جزاءً عادلاً فى شريعة موسي يصبح وحشية وتخلفًا فى شريعة محمد؟! هذا موقف من مواقف النفاق الفاجر، فإمّا أن ينتقدوا التوراة ويقولوا أنَّهم اضطرّوا إلي تنقيح قانون إله التوارة لأنَّه متخلّف، وإمّا أنْ يكفّوا ألسنتهم عن نقد الإسلام.

(١) أي تشمل تعدد الزوجات، لأنها ما دامت مغلقة على الرجل الواحد ونسائه فلا سبيل لتفشي الأمراض السريّة. [*تعليق*: ولكن ماذا يحدث في حالة المطلقات؟ ألا يُسهم ذلك في تفشّي الأمراض الجنسية السرية؟] .

وقد كان أول تطبيق للرجم فى المدينة. أو فى تاريخ الإسلام كله. فى حادثة اليهودية التي احتكم أصحابها إلي النبي فحكم فيهم بالتوراة، وكان في ذلك ما فيه من إعلام النبوة، وعدل النبي.. ففيها علم رسول الله بأحكام التوراة وإثبات أنَّ اليهود لايلتزمون بتوراتهم وإلاَّ ما جاءوا إلي الرسول يطلبون حكمًا، وكأنهم يلتمسون مخرجًا من أحكام دينهم. وفيها أيضًا فقه حكم الأقليات غير المسلمة، وفيها العدل بإخضاعهم لشريعتهم.

أمّا المسيح فقد رفض رجم الزانية في حادثة تماثلها، ويبدو أن زانيات اليهود يُمْتَحن بهُنَّ كل نبي! والسبب فى امتناع المسيح، أنَّه لم يجد في متهميها من يرقي إلي مرتبة الشاهد العدل، فقال لهم: " من كان منكم بلا خطيئة فليقذفها بأوّل حجر ". وشهد الله أنَّهم لم يجمعوا خطيئة المعصية مع خطية النفاق. ولذلك امتنعوا عن الرجم.

ورفض المسيح صلوات الله عليه أنْ ينفذ هو الحدّ لأنه كان - كما قلنا - يتجنّب ممارسة السلطة، يتجنب التدخل بأية صورة فيما يتعلق بنظام الحياة في المجتمع أو الدولة.

أمّا الرجم في التشريع الإسلامي، فلا شكّ أنَّه مورس في عهد الرسول في حادثتين. نشأتا بالاعتراف الاختياريّ والإصرار عليه، والروايات مُجْمِعَة علي أنَّ رسول الله كان يتمنّي لو وجد سبيلاً لمنع تنفيذ الحدّ. وتمنّي لو أنَّ أصحاب القضية لم يبلغوا السلطة الإسلاميّة بأنفسهم، فقد حاول الرسول بكافة الطرق والحجج منع تنفيذ الحدّ بالبحث عن شبهات، ولكن المذنب في كل حالة، أصرّ علي الاستشهاد، أو التطهير .. وثابت أنَّ الرسول لم يرجمْ بنفسه، ولا شاهد الرجم. بل عاتب المنفّذين، لأنَّهم استمرّوا في الرجم حتي بعدما حاول المتّهم النجاة بجسده من ألم الضرب، فقد اعتبر ذلك التصرّف منه " عدولاً عن الاعتراف .. "، وعاتب النبي خال ماعز لأنه لم يستر عليه بثوبه أي لم يخفِ خبر زناه عن السلطة!.

كذلك أشرنا إلى القيود التي وضعها الشارع لثبوت التهمة، وهي الأربعة شهود، وهي الأربعة شهود من الرجال - الذين كان يستحل توافرهم قبل ظهور الجنس الجماعي .. وحجتنا أنَّ هذا النِصَاب لم يتوافر قط في تاريخ الدولة الإسلامية عبر ١٤ قرنًا، فلم نسمع عن عقوبة الرجم للزنا ثبتت بالشهود، ومرة أخرى فإنَّ الشاهد الرابع الذى برّأ " المغيرة " وجعل عمر رضي الله عنه يهتف " الله أكبر " إذ ثبت بشهادته براءة المغيرة .. هذا الشاهد " النفى " .. شهد بأنَّه رأى " أقدامًا بادية وأنفاسًا عالية، وأمرًا منكرًا ". واعتبر ذلك غير كافٍ لإثبات الزنا .. إذ لا بد كما هو معروف من إثبات التفاصيل اتلى أشرنا إليها .. .

وشروط الشهادة، واستبعاد شهادة النساء(١)، واشتراط وقوع الشهادة وقت الفعل، وتحت تأثير الانفعال من المنظر، وليس بعد مدّة لكى لا تكون عملية ابتزاز أو ضغينة. ولذلك قال عتمر " أيّما قوم شهدوا علي حد، ولم يشهدوا عند وقوعه، فإنما شهدوا عن ضغن ولا شهادة لهم ".

ثم حضّ المُسْلم علي كتمان الشهادة، أو التستّر علي الفاعلين بعكس جرائم الحقوق حيث يحثّ الدين المُسْلم علي إظهار الحق، ويحثّ المُسْلم علي الشهادة، إلاَّ في جرائم الجنس، فقد طلب من الفاعل أنْ يكتم ذنبه، فلا يُعرّي نفسه للعقوبة بالاعتراف، بل يكتفي بالتوبة بينه وبين الله. ولا يُعلن الأمر ولا حتّي للسلطة فقد قال رسول الله: " من أصاب من هذه القاذورات شيئًا فليستتر بسرّ الله، فإنَّه من يُبد لنا صفحته نُقم عليه كتاب الله".

وقال: " من أصاب من ذلك شيئًا فستره الله عليه فهو إلي الله عز وجل إنْ شاء

---

(١) حكمة منع شهادة المرأة فى جرائم الزنا متعدّدة: منع الثرثرة وانتشار الأقاويل، وأهم من ذلك تجنيب حياء المرأة من مساءلة القاضى والدفاع فى التفاصيل المطلوبة لإثبات صدق الشهادة وإلا تعرضت لعقوبة القذف، ثمّ لا يُخفى ما يثور فى محيطها هى من تساؤل عن كيفية تمكّنها من دقة الرؤية ؟.

غفر له وإنْ شاء عذبه ". وعن الشافعى: " نحن نحب لمن أصاب حدًا، يستتر وأنْ يتقى الله عز وجل ولا يعود لمعصيته ".

ثم طالب الدين الناس بتجنّب الشهادة في هذا اللون من الأفعال الامتناع عن التبليغ عن مرتكبي هذا الفعل، بل وجعل الكتمان أو التستر عملاً صالحًا يكافئه الله عليه: " من ستر علي مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة" حديث. وعن ابن ماجه عن ابن عباس عن رسول الله: " من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته حتى يفضحه في بيته ".

ولا أدرى ما الذى يغرى مسلم بالتبليغ عن واقعة جنسية وهو إنْ اضطرّبت شهادته أو تناقضت مع شهادة واحد من ثلاثة آخرين، تعرّض للجلد والتشهير ورُفضت شهادته بعد ذلك علي جميع مستويات التقاضى. وإنْ ثبُتت شهادته كان ذلك " بشري " له بأنَّ الله سيفضحه فى بيته !!.

لا أظنّ أنَّ أحدًا يفعلها إلاَّ إنْ كان من هواة الشر والشغب والذين يحبّون أنْ تشيع الفاحشة، ولذلك تلمّس عمر بن الخطاب رضى الله عنه براءة " المغيرة " بما توسّمه من صلاح الشاهد، ولابد أنَّه أدرك أنَّ تطوّع هؤلاء بالشهادة يخفى أهدافًا سياسية تتعلق بخلافهم مع المغيرة أو السلطة أكثر ممّا هو غيرة علي الحرمات أو فهمًا للدين.

ثم يأتى حض السلطة علي تلمّس إسقاط العقوبة بكافة الوسائل، ومنها إغراء المتّهم بالانكار أو طرح شبهة كأن، يقول بأنَّ الفعل لم يقع تمامًا .. إلخ... وعن عائشة: " ادرأوا الحدود بالشبهات عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإنَّ السلطان لئن يخطئ العفو خير من أن يخطئ بالعقوبة ".

وهذا ما جعل بعض الفقهاء يقولون: " إنَّ عقوبة الزنا، عقوبة قصد بها الزجر والردع والإرهاب أكثر مما قصد بها التنفيذ والفعل "(١) ومعهم حق فنحن أمام

(١) سيد سابق.

عقوبة لا تتطبق إلاَّ علي " معترف " يتحدّي السلطة ويصر علي اعترافه، ويُطالب بتنفيذ القانون فيه...شخص قرر أنه لا يستحق الحياة، وجاء يستعدي السلطة علي نفسه... ولكني أفضل لو قلنا أنّ العقوبة القاسية قصد بها " التبغيض " وإبراز مدي بشاعة الجُرم، ومدي استنكار الدين له، حتي أنَّ مرتكبه تسقط حرمته، ويسقط حقه في الحياة، فهي أكبر من الحياة، لأننا لو قلنا إنّها عقوبة لم يقصد بها التنفيذ والفعل، استدلالاً من القيود الهائلة التى تُبطل التنفيذ العملي، أو كما قال سيد سابق: " فاشترط المشرّع شروطًا يكاد يكون من المستحيل توافرها ". فإنَّ حكمة الزجر والردع والإرهاب تنتفى، فالعقوبة قصد بها ردع النفس المسلمة وإبراز أنَّ زنا المحصن امتهان للنفس وامتهان للشريك وخيانة وغش لطرف ثالث، فهو جريمة لا تليق بكرامة إنسان حرّ، رجلاً كان أو امرأة .. وهذه هي الفاحشة.

فالمُشرّع يعتبر " إشاعة الفاحشة " أخطر من " الفاحشة " ذاتها، فهو يودّ لو لم تقع " الجريمة " ويودّ أيضًا ألا تنفذ عقوبة .. ولذلك كان التحذير من رمي المحصنات ومن إشاعة الفاحشة أقوي، بل وبداية التشريع.

وهذا عن جرائم الزنا " بتعريفنا " *أمّا ما دون الوطء فيُستحسن التغاضى عنه حتى من قبل السلطة* وبعد إبلاغه إليها وخاصة إذا كان من طرف الفاعل.

قال رجل لرسول الله: " إنِّي عالجت إمرأة من أقصي المدينة فأصبت منها، دون أن أمسّها، فأنا هذا فأقم عليّ ما شئت. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ستر الله عليك لو سترت علي نفسك " (تأمّل!) ولم يردّ النبي – ص – شيئًا فانطلق الرجل فأتبع النبي رجلاً فدعاه فتلا عليه: " وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ " (هود١١٤). فقال له رجل من القوم يارسول الله أله خاصّة أمّ للناس عامّة؟، قال: للناس عامّة (١).

واستدل الشيخ " سيد سابق " من ذلك علي أنَّه:" *إذا كان الاستمتاع بالمرأة الأجنبية فيما دون الفرج فإنَّ ذلك لا يوجب الحدّ المقرّر لعقوبة الزنا وإنْ اقتضي التعزير* ".

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى.

" وسئل علـيّ بن أبى طالب: لي ابنه عم أهواها، وقد كنت نلت منها ؟!" .

فقال: إن كان شيئًا باطنًا (يعني الجماع) فلا .. وإنْ كان شيئًا ظاهرًا (يعني القبلة) فلا بأس!!! .

(حرفيًا من موسوعة فقه عليّ بن أبى طالب عن ابن أبي شيبة).

ولا أظن أنَّ الشباب يتجاوز هذا، فيما يحدث فى العربات، أو أثناء المذاكرة أو حتّى فى دور السينما أو في خلوة مختلسة سريعة بفعل الرغبة وفورة الشباب والعاطفة، والله غفور رحيم.. فإن أتيحت الخلوة " الشرعية" وتأكّدت النيّة والفرصة للطرفين لفعل الوطء. فما من سبب يحول دون إتمام ذلك بالزواج ولو فيما بينهما. والزواج العرفي معروف ومشهور (وإن إتّجه الرأي الآن لكراهيته فلسوء استخدامه، ولما ترتب عليه من مشاكل وإهدار لحقوق المرأة. ثم هو إذا حرمه القانون صار ممنوعًا.) بل وبعض الشيوخ افتوا بزواج المتعة في بلاد الغربة وأنا أميل لرأيهم.

وقبل أن ننتقل لحديث العقوبة، نقول إنَّ الإسلام الصالح لكل زمان ومكان، يُثبت اليوم أنَّ العقوبة لم تكن خيالية، إذ يمكن أنْ يأخذ المشرّع يومًا بقبول الصورة أو الشريط السينمائي وتأكيد أربعة خبراء أنَّ ما جاء به هو فعل الوطء الكامل، كما يجوز إثبات الزنا بالحمل مع إستحالة نسبته للزوج، أو بتحليل دم الطفل .. إلخ ما يمكن أنْ يكتشفه العلم .. .

في عـــقوبة الـزنا:

وعــقوبة الزنــا كمــا قلنــا هــي الــرجم والجلــد، الأولــي بالســنة والثانيــة بالقرآن قال الله تعالي:

" وَاللاَّتِـي يَـأْتِينَ الْفَاحِشَـةَ مِـن نِّسَـآئِكُمْ فَاسْتَشْـهِدُواْ عَـلَيْهِنَّ أَرْبَعـةً مِّـنكُمْ فَـإِن شَـهِدُواْ فَأَمْسِـكُوهُنَّ فِـي الْبُيُـوتِ حَتَّـىَ يَتَوَفَّـاهُنَّ الْمَـوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّـهُ لَهُـنَّ سَبِيلاً " (النساء١٥).

ففـى البدايــة كانــت عــقوبة النســاء هــي تحديــد الإقامــة هــي المنــزل، مــع وقــف المعاشــرة الزوجيــة – عــلي الأرجــح _ ويقــول الشــيخ ســيّد ســابق إنَّ العــقوبة كانــت أوّلاً الإيــذاء " وَاللَّــذَانَ يَأْتِيَانِهَــا مِــنكُمْ فَآذُوهُمَــا فَــإِن تَابَــا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُـواْ عَنْهُمَـا إِنَّ اللّـهَ كَـانَ تَوَّابـاً رَّحِيمـاً " (النساء١٦). ثـم تـدرّج ذلـك إلـي الحـبس فـي البيـوت وذهـب إلـى القـول: أيّ والنسـاء اللاتـى يـأتين الفاحشـة وهـي السـحاق الـذى تفعـله المـرأة مـع المـرأة فاستشـهدوا عـليهن أربعـة مـن رجـالكم فـإنْ شـهدوا فإحبسـوهن فـي البيـوت بـأنْ توضـع المـرأة وحـدها بعـيدة عـمن كانـت تسـاحقها، حتـى تمـوت أو يجعـل الله لهُـنَّ سـبيلاً إلي الخروج بالتوبة و " الزواج المغني عن المساحقة ".

وفى موضع آخر قال إنَّ الآية يُقصد بها اللوطيّون والسحاقيّات، وهذا علي أيّة حال يعني أنَّ اللواط والسحاق إذا كانت قد وردت لهما عقوبة فى القرآن فهي الإيذاء مع إتاحة الفرصة للتوبة والصلاح فلا يُمكن أنْ يصل الإيذاء إلى حدّ القتل كما أفتى البعض إذ ليس بعد القتل توبة ولا إصلاح.

ثم نزلت آية: " الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ " (النور٢).

ويُنسب لرسول الله – ص - قوله عند نزول الآية: " خذوا عني .. خذوا عني .. قد جعل الله لهنَّ سبيلاً: البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ".

وذهب " سيد سابق " إلي أنَّ الله قد جعل لهنَّ بهذه الآية سبيلاً يُخلّصهنَّ من انتظار الوفاة في البيت!!.

والحديث المنسوب لرسول الله يحتاج لتأمّل، إذ لا يمكن أنْ يكون الرجم سبيلاً لخلاص امرأة محددة إقامتها؟! فالحياة أفضل سبيلاً من الموت. والأمل في التوبة أو ثبوت البراءة أكبر مع استمرار الحياة.

أمّا الموت فبئس السبيل. كذلك فإنَّ الرسول لم ينفّذ ما ورد بالحديث فهو صلوات الله عليه لم يجمع الجلد مع الرجم. وإنّما الذى جمع هو علي بن أبى طالب.

أما " سيد سابق " فيُفهم من تعليقه أنَّه يتحدث عن " الجلد " فهو السبيل المخلص من انتظار الوفاة بالبيت.

وقد ثار الشك فى نفوس المسلمين حول مصدر التشريع فى عقوبة الرجم في صدر الإسلام. مما جعل عمر يقول أو يُنسب له القول. فعن ابن عباس قال خطب عمر فقال:

" إنَّ الله بعث محمدًا – ص - بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ورعيناها ورجم رسول الله – ص - ورجمنا. وإنِّي خشيت إنْ طال زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله تعالي فيضلون بترك فريضة أنزلها الله تعالي فالرجم حق علي من زني من الرجال والنساء إذا كان محصنًا وإذا قامت البينة أو كان حمل أو اعتراف. وأيم الله لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله تعالي لكتبتها".

أما الآية المنسوخة، تلك التى يتحدث عنها، قد وردت عن أمامة بن سهل عن خالته العجماء وعن أبي بن كعب: " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة ". وأوّل ما يتبادر إلي خاطري أنَّ هذه ليست آية قرآنية ولا يُمكن أنْ يقبلها من له حسّ قرآني!!!، ولكنّي أقول لكي لا نطعن في شهادة خالته العجماء وأبي بن كعب - وإنْ كنت قد لاحظت أنَّ رواية ابن عباس عن عمر لم تتضمن الآية - أقول إنَّ من إعجازه سبحانه وتعالي أنَّ الآية التى تنسخ تفقد جرسها القرآني أو موسيقاها!!!، وليس ذلك علي الله بعزيز. أمّا خطبة عمر فقد كان يُمكن أنْ نحذفها كليّة، لضعف آخرها، وننوه عن منطق أمير المؤمنين عمر " لولا أن يقال زاد عمر .. إلخ "! ما أبرده من سبب وأسخفه من قول؟؟؟، معاذ الله أنْ يصدر عن أمير المؤمنين. أكلّ ما يمنع عمر من الإضافة للقرآن، وإعادة قيد ما نسخ الله، هو مخافة قول الناس؟؟؟! وأيّ عجب أنْ يقول الناس " زاد عمر " إذا أضاف فعلاً، وإلا فماذا يعني قوله " لكتبتها " إلا الزيادة ؟!.

هذه الفقرة لم تردْ علي لسان عمر ولا ابن عباس، بل هي زيادة مستزيد لا يخشي أنْ يقول الناس عنه " زاد في خطبة عمر "!!!!.

فإذا سلّمنا بجوهر الحكاية فإننا نستخرج منها الآتى:

- الآيـة كانـت موجـودة وهـى التـى تـنصّ عـلي رجـم الزانـي والزانيـة، ولكنهـا نسـخت أي حـُذفت مـن القـرآن، حـذفها الله سـبحانه وتعـالي، وعـلي هـذا إجمـاع المسـلمين .. وإن قالـت أغـلبيتهم بـأنَّ حكمهـا بقـي .. ودلـيلهم فعل رسول الله.
- ونفهـم أيضًـا مـن خطبـة عـمر رضـي الله عـنه، أنَّ مـن حـق المسـلمين، أنْ يقولـوا الـرجم لـم يـرد فـي القـرآن، فمـنْ حقنـا إبطالـه، لأنَّ عـمر بـنصّ الروايـة قـال: " أخشـي إنْ طـال زمـان أنْ يقـول قائـل: مـا نجـد الـرجم فـي كتـاب الله تعـالي فيضـلون بتـرك فريضـة أنزلهـا الله تعـالي .. إلـخ " فرغـم ثبـوت السـنة بـالرجم، إلاَّ أنَّ أميـر المـؤمنين عـمر رأي، فـي عـدم وجـود نـصّ قرآنـي، حجـة يسـتند إليهـا مـن يدعـو لإبطـال العـمل بهـذه السـنة. وهـو قـول شـديد الأهميـة ويحتـاج لتـدبّر. ومـن ثـم حـرص عـلي التأكيـد بأنّهـا " فرض " من الله سبحانه وتعالي ورد في القرآن، وإنْ نُسخ النصّ.
- وقـد ذهـب الخـوارج وبعـض المعتزلـة هـذا المـذهب الـذى خشـاه عـمر بـن الخطـاب فقـالوا بـأنَّ الـرجم غـير واجـب، وحجّـتهم أنَّـه لـم يُـذكر فـي القـرآن. وعـلق سـيّد سـابق عـلي ذلـك بأنَّـه باطـل، وهـو يقصـد طبعًـا أنَّ السـنّة مُلزمـة، ولكـن الروايـة المنسـوبة لعـمر، تشـير إلـي أنَّـه لـم يـذهب هـذا المـذهب، وإلا لاكتفـى بتأكيـد السـنّة، ولـم يخـف أنْ يقـول قائـل بإبطـال الـرجم لأنَّـه لـم يـرد فـي كتـاب الله .. وكـل الـذين يركّـزون اليـوم علـي الآيـة التـي نُسخت ينطلقون من نفس المنطلق.
- ونحـن نتسـاءل عن تفسـير لقـول عـلي بـن أبـى طالـب رضـي الله عـنه: " إجلـدها بكتـاب الله وإرجمهـا بقـول رسـول الله، وفـى روايـة " بسـنّة رسـول الله " وذلك عندما جمع بين الجلد والرجم.

لماذا لم يقلْ علي بن أبي طالب: " وإرجمها بحكم الله "؟!!!.

لمـاذا فـرّق بـين مصـدر التشـريع، فنسـب الجلـد إلـى الكتـاب والـرجم إلـى السنّة؟!!! .

إلا لأنَّ هذا هو الواقع فعلاً، فالرجم لم يردْ في كتاب الله ولا أمر الله به سبحانه وتعالي مباشرة وبصريح اللفظ.. .

وإذا كانت الآية قد نُسخت وبقي حكمها - كما تقول الأغلبية - أكان ذلك يُخفي عن علي بن أبي طالب شيخ الفقهاء وأوّلهم بإجماع الأمّة ؟؟ أو كان يُعجزه التعبير عن هذا المعني وهو سيّد البلاغة ؟! .. ولماذا ندور كالدبور وقد وضّحها أمير المؤمنين بأوضح ما تكون الألفاظ: " الجلد من كتاب الله والرجم سنّة ".. .

ولعل هذا هو ما استند إليه بعض الفقهاء في قولهم إنَّ الرجم هو نسخ للكتاب بالسنّة.

وعقوبة الجارية نصف عقوبة الحرّة قال الله تعالي: " إِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَي الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " (النساء٢٥).

فلو قلنا أنَّ حدّ المحصنات هو الرجم فكيف ينتصف هذا الحدّ ؟ ألا يوقعنا هذا السؤال فى حيرة أمام النصّ الواضح ؟!.

وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن مسعود والحسني والنخعي ومالك والأوزاعي وأبو حنيفة والشافعي رأوا " أنَّ حدّ العبد والأمة خمسون جلده بكرين كانا أو ثيبين ". ألا يعني هذا أنّهم قضوا بنصف العقوبة " ؟!.

وذهب بعضهم إلي جلد الأمة مائة جلدة إذا لم تحصن والاقتصار علي خمسين إذا أحصنت ؟! لكي ينسجم مع حكم الآيتين، الأولي لما ورد بها من تعميم الزاني والزانية فاجلدوهما مائة جلدة. والثانية بالتخصيص! وهو تناقض من أصحاب هذا الرأي إذ تصبح عقوبة الثيب أو المحصنة أقلّ من عقوبة البكر ؟!.

علي أيّة حال، يبقى السؤال: إذا حكمتم بأنَّ نصف العذاب علي المحصنات - خمسين جلدة، فإنَّ المنطق والفهم والحساب يجعل العذاب

الكامل = مائة جلدة وليس الرجم. وسبحان من لا ينطق وحيه عن الهوي.

ويبقى من حقنا أنْ نتساءل، ومن حق الله علينا أنْ نتفكّر: لماذا نسخ الله الآية ؟ .. لماذ نسخ العزيز الحكيم، آية الرجم من القرآن ومحاها محوًا من كتابه الكريم؟ بل محاها من قلوب الناس، فإنْ كان هذا النصّ الركيك، فقد نسخ حرفها وجرسها وبيانها، حتي جاءت غريبة تنكرها أذن المسلم ؟.

لقد أشبع القدماء قضية حدوث النسخ بحثًا .. ألم يحن الوقت لأن نتفكر في سببه؟!.(١)

---

(١) مدرس بإحدى الكليات هاجمنى فى كتابه الذى لا يقرأه بالطبع إلا البؤساء الذين سيمتحنون فيه، وقال إنني " كصحفى " أيجوز أنْ أكتب فى هذه القضايا، وقد أخطأ في اسم كتابي هذا وقال إنني أرمي من وراء ذلك إلي إضعاف الحكم الشرعي تمهيدًا لإلغائه بدعوي أنَّه لم يثبت بالقرآن ". ورغم قلة علمه وسوء أدبه فهو نفسه يحس أنَّ عدم ورود النصّ في القرآن يعطى حجة لإبطاله".

الجنس من الظاهر

فإذا انتقلنا إلى بحث أنواع الجنس الأخري، غير الجماع بين الرجل والمرأة، فإنَّه تجدر الإشارة إلي ما يقوله علماء النفس " عن تطور إحساس الإنسان الجنسي، أو طلبه للذة الجنسية عبر ثلاثة اكتشافات، خلال نضوجه البيولوجى والنفسى وهي:

جسده ...

الجنسية المثلى..... ..

ثم اكتشاف الجنس الآخر...

ونحن لن نخوض فى مناقشة صحّة أو خطأ ذلك، ولا مدى صوابية تعميمه، فهذا أمر خارج نطاق البحث. ولكن نناقش الأفعال الجنسية المحتملة في كلّ حالة، من الحالات الثلاث. وما يمكن أنْ يترتّب عليها من حدود، وما ورد فيها من نصوص، وآراء .. ومن ثم ما الموقف الإسلامي منها ..

جلد عميرة

وأول مرحلة هى - كما قلنا - استحداث اللذة من ذات الجسد، ويتبادر إلي الذهن علي الفور مايسمّيه العرب " جلد عميرة "، وهو معروف لدى الذكر والأنثى، ويطلق عليه العلماء " الإستمناء " والتسمية الشائعة هى " العادة السرّية " وهى تسمية قبيحة ونحب أنْ نحدده بأنَّه: كل حالة قذف يحققها الذكر أو الأنثى

بدون الجماع (الشائع أنَّ الأنثي لا تقذف، والمقصود هنا، هو وصولها إلي منحني النشوة، كما يحدث للذكر ولو دون خروج سائل ملحوظ، وهو ما يميّز الذكر، ولكن منحني الأنثى شديد الوضوح وإن كانت دراسات حديثة تشير إلي وجود قذف عند المرأة، إلاَّ أنَّ هذا ليس المهم. فما نتحدث عنه هو وقوع الاستفراغ .. أو قضاء الشهوة، فإذا تمّ بين الإنسان نفسه، أي بدون اشتراك طرف آخر، فهو هذه العادة السرية، أو الإستمناء أو جلد عميرة .. أمّا الحالات الأخري التي يتم بها القذف أو الاستفراغ بمشاركة الطرف الآخر دون الجماع، فأحكامها متعددة وهي ما تندرج تحت الاصطلاح الإسلامي الجميل " الملاعبة " وبالاصطلاح الغربي الغليظ Oral sex .. الجنس الجاف .. أو الشفهي ..

وأول ما يرد علي الخاطر بالنسبة " لجلد عميرة " أو العادة الجنسية هو سؤال أو بالأحري نكتة لا يفهمها من قست قلوبهم: **إذا كان قد أبيح لنا نكاح ما ملكت اليمين .. لماذا لا ننكح اليمين ذاتها.. ؟!**

لقد حرمت التوارة، جلد عميرة أو " الإستمناء " انطلاقًا من قصة " إينوس " الذى ضنذ بمنيه علي أرملة أخيه التي تزوجها رغمًا عنه بموجب شريعة اليهود، التي تفرض علي الأخ، التزوج من أرملة أخيه، ولكنه كره أن تنجب منه، فكان يهدر منيه علي الأرض بالإستمناء. فالأصل في الاستنكار هو إهدار المني. ولا شك أنَّ الإهدار المتعمّد مستنكر من ناحية نتائجه الإجتماعية والديموغرافية أو الحضارية خاصة الإهدار المتضمن نزعة عصرية، ولكن في حالة المراهقين غير المتزوجين وغير القادرين علي الزواج أو الصوم الدائم، فإنْ الإهدار محتوم، ولعل أكثر صورة طهارة أو بُعدًا عن الشبهات، هي حالة الاستكفاء الذاتي هذه، فلا إهدار، ولا فاحشة، لأنّ الفاحشة لا تتم إلا بالمشاركة أو المجاهرة، أو بهما معًا .. كذلك لو تصوّرنا حالة زوجيّة يتعذر فيها الإخصاب مثل فترة الحيض، أو الحمل، أو مرض الزوجية، أو المفارقة المؤقتة، فإنَّ اللجوء إلي جلد عميرة يُبقي الرجل عند حدود الحرمات، ويجنّب أبا عميرة نفسه ارتكاب معصية قد تفضي إلي جلده هو.

وقد قال الحنابلة عن الإستمناء: " إذا استمني الرجل خوفًا علي نفسه من الزنا، أو خوفًا علي صحّته، ولم تكن له زوجة، أو أمة، ولم يقدر علي الزواج فلا حرج عليه ". وقال الأحناف بوجوب الإستمناء إذا خيف الوقوع في الزنا. وقالوا: " لا بأس به إذا غلبت الشهوة، ولم يكن عنده زوجة أو أمة، واستمني بقصد تسكينها".

وقيل مسّ الرجل ذكره بشماله مباح بإجماع الأمة كلها .. أما الإستمناء فلم يردْ فيه تحريم، وأباحه ابن عباس والحسن وبعض كبار التابعين. وقال الحسن: " كانوا يفعلونه فى المغازى "، وقال مجاهد: " كان من مضى يأمرون شبابهم بالإستمناء .. يستعفون ذلك ".
وحكم المرأة مثل حكم الرجل فيه.

أنظر كيف كان من مضى أكثر تسامحًا، وأكثر فهمًا لروح الإسلام، وأكثر قدرة علي تفهّم احتياجات الإنسان، وكيف يجأر الآن داعية مكبوت من فوق المنابر يحذّر الفتيان من العادة السرية - وهو مصطلح غربي منحدر من الديانة اليهودية - المسيحية - وتأمل أنهم أباحوا ذلك في زمن كان يمكن فيه للمراهق في سن الثالثة عشرة أنْ يمتلك جارية يفرغ معها شهوته، بينما يحرّمونه الآن علي شباب يعيش في أوروبا وأمريكا بلا زوجة ولا جارية حتي مشارف الثلاثين ..

التفخيذ والمصّ

وأذهب إلي القول بأنَّ مساعدة الزوجة لزوجها في التخلّص من التوتر بغير الوطء، تجعل العملية أكثر حلالاً، وأقل شبهة، وأكثر صحية. وإذا كان عليه الصلاة والسلام قد مارس مع زوجاته أو مع عائشة بالتحديد، أنواعًا من الجنس غير الوطء، مثل حديث كان يأمرها أنْ تأتزر إذا جاءها الحيض ثم يباشرها، أي من الخارج، أو كما ورد في إحدى الروايات " كان يفخذ لها ". فهذا دليل صريح علي مشروعية ما يسّمي في الغرب " بالجنس الشفهي "، أي الوصول إلي الإشباع بغير الإيلاج أو الوطء. وما وصل إلينا من سنّته صلوات الله عليه، ما هو إلا المؤشر، أو المبشّر الميسر علي الأمة، فهو ليس أكثر من رمز، ولا يتصور أنْ ترد

الحالات علي سبيل الحصر. وليس لنا أنْ نحرّم مالم يُحرّم علينا، فكل ما يسبق الجماع أو حتى يحل محله مثل التقبيل والمصّ، والتفخيذ، والإستمناء للرجل بواسطة الزوجة، واستفراغ الزوجة أو استنزالها بغير وطئها، كله مباح، ومستحبّ. بل قد نهينا عن المواقعة - أى الجماع - قبل الملاعبة، وقال الرسول للذى أراد الزواج: " فهلا بكر تلاعبها وتلاعبك " ويذهب البعض إلي أنَّ الملاعبة قبل الجماع فرض بنصّ الآية: " نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" (البقرة٢٢٣) والملاعبة وإنْ أفضت غالبًا إلي الجماع، إلاَّ أنَّ ذلك ليس ضربة لازب ولا نتيجة محتومة فى كل مرة، فقد تنتهي الملاعبة بالحرث في البحر، وقد تكون هدفًا في حدّ ذاتها، دفعًا للسأم أو من باب التغيير، أو لزيادة الألفة والمحبة، وبحثًا عن مزيد من المتعة، أو في وقت لا تكون الأرض فيه صالحة لا للبذر ولا للحرث. *فأقبل يا أخى المسلم وأدبر واستمتع كما شئت في حلالك واتق الحيضة والدبر أصلحك الله* ..

الوطء في الدبر

وهذا ينقلنا لحديث الوطء في الدبر، وإنْ كنا من الرأى الذى يستنكره .. إلا أننا نحبّ أنْ نعرض وجهات النظر المختلفة:

وأولها أنَّ إتيان المرأة في دبرها، لم تشرّع له عقوبة، ولا عُرف عن رسول الله أنَّه عاقب أحدًا عليه، واختلف الفقهاء حوله، فمنهم من أباحه، إذ نسب إلي ابن عمر تفسيره لآية: نساؤكم حرث لكم بقوله: " أتدرى يانافع فيم نزلت هذه الآية، قال: لا .. قال في رجل من الأنصار أصاب امرأته في دبرها، فوجد من ذلك وجدًا شديدًا فأنزل الله سبحانه: نساؤكم حرث لكم ".

وقد يتساءل البعض إذا كان ما ذهب إليه المفسّرون الآخرون، من أنَّ " أني شئتم ".. تعني كيف شئتم .. فكيف استنتجوا منها أنَّها تعني " أي وضع ما عدا الدبر " .. والتفاسير التي وردت حول نزول الآية تطرح أسئلة كثيرة .. فهى تدور حول افتراض أنَّ اليهود يحرّمون وطء المرأة من الخلف، أى وجهًا لظهر، وفى حديث عمر: " يا رسول الله ... هلكت .. قال وما أهلكك .. قال حوّلت رحلي البارحة "

فلم يردّ عليه النبي، فأوحي الله بالآية:" نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" (البقرة٢٢٣)

أولاً: اليهود لا يحرّمون وطء المرأة من الخلف، وإنْ كان آباء الكنيسة في زمن متأخر، اعتبروا وضع الاستلقاء علي الظهر، وافتراش الرجل لها، هو الوضع الشرعي، إلا أنَّ الحقيقة المؤكّدة، هي تحريم اليهود لوطء المرأة في الدبر وكذلك المسيحية، والفكرة الأساسية هي كراهية إهدار المني. وكراهية البحث عن اللذة غير مقترنة بالهدف الإلهي، وهو التناسل فى مفهوم الآباء الأوائل، ثم تقديس " الوضع الطبيعي " من احترام الطبيعة عند الفلاسفة المسيحيين .. وعلي سبيل المثال فإنَّ تعبير Sodomy في ولاية فرجينيا الأمريكية يشمل بالتحريم ليس فقط اللواط، بل يشمل أيضًا الجنس الجاف أو الوطء في الدبر بصرف النظر عن جنس الفاعل والمفعول معه. وقد أدان سان أوغسطين الجنس الجاف وكافة أشكال الجماع التي لا تكون فيه المرأة متلقية علي ظهرها، وتحت الرجل، أو التي لا تحقق الإيلاج في فرج الأنثي (اللواط تاريخ ص ٢٦).

إلاَّ أنَّ الاستشهاد باليهود في تفسير الآية والحديث، يعزز الرأى القائل بأنَّ الحديث كان يدور حول الإتيان في الدبر ولا نرجّح القول بأنَّ " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه قصد بقوله " حوّلت رحلي " أنَّه غير وضع الجماع ولكن في نفس الموضع .. فالتعبير " حوّلت رحلي يوحي بتغيير الموضع، وليس فقط الوضع .. والعرب كانوا يستخدمون شتي الأوضاع، حتي أنَّ مسيلمة الكذاب في الشعر المنسوب إليه يُغري " سجاحا " المتنبة بقوله: فإن شئت سنلقاك وإنْ شئت علي أربع ..
وعلي أربع هو الإتيان من الخلف .. وموافقة المرأة في قوله: " وإنْ شئت...".

ولكن يبدو أنَّ المفسّرين استفظعوا نسبة ذلك إلى عمر - حتى قبل التحريم - رغم الرواية التى تقول أنَّه جاء يصرخ: " هلكت يارسول الله ... ".

وسكوت رسول الله لأنَّه لم يجد له من عنده مخرجًا .. أو مايقطع بعدم هلاكه فيبشّره به .. بل انتظر حتى يفصل الله سبحانه وتعالي فى الأمر!!!

أيُعقل أنْ يكون كل هذا التحرّج من أجل وضع خاصّ تمّت به المجامعة الشرعيّة في المحل المعتاد بين زوج وزوجته؟!!!.

ويمكن أيضًا القول بأنَّ أحاديث الوطء في الدبر طعن في معظمها، فحديث أبي هريرة: " ملعون من أتي إمرأة في دبرها " ورد فى إسناده ابن مخلد وهو " لا يُعرف حاله ". وحديث أبي هريرة: " من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنًا فصدقه فقد كفر بما أنزل علي محمد " فى إسناده أبو تميمة وعنه قال البخاري " لا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة ". وقال البزاز: " هذا حديث منكر " وفى إسناده حكيم بن الأثرم، وهو " لا يُحتج به " وحديث خزيمة بن ثابت أنَّ النبي " نهي أن يأتي الرجل امرأته فى دبرها " في إسناده عمر بن أصبخة وهو مجهول.

ولكن ورد في حديث عمرو بن شيب قال النبي عن وطء المرأة في دبرها هو " اللوطيّة الصغري " ولاحظ أنَّ اللوطية الكبري ذاتها لم يُشرّع لها لا في القرآن ولا السنّة حدّ. كذلك حديث: " أقبل وأدبر وإتق الحيضة والدبر " ذكره أحمد والترمذى .. .

وقال صاحب " الفقه علي المذاهب الأربعة ": *اتفقت كلمة علماء المسلمين علي من أتي، امرأته أو أمته في دبرها وترك القبل فلا يًقام عليه حدّ*، حيث لم يردْ من الشارع الحكيم حدّ في هذه الحالات. وذهب الشيخ " سيد سابق " إلي أنَّ الشافعية يرون شبهة في وطء المرأة في الدبر، الشبهة المُبطلة للحدّ (*هذا وليس في القرآن ولا السنّة حدّ لهذا الوطء*) قال الشيخ: " الشافعية يقسّمون الشبهة التى تُبطلّ الحدّ إلي ثلاثة أقسام: شبهة في المحلّ، أي محلّ الفعل، مثل وطء الزوجة الحائض. أو الصائمة أو إتيان الزوجة في دبرها. فالشهبة هنا قائمة في محلّ الفعل المحرّم،

إذ أنَّ المحلّ مملوك للزوج ومن حقّه أنْ يُباشر الزوجة - وإذا لم يكنْ له أن يُباشرها وهى حائض أو صائمة، أو أنْ يأتيها فى الدبر - إلا أنَّ ملك الزوج للمحلّ وحقه عليه يُورث شبهة، وقيام الشبهة يقتضي درء الحدّ، سواء اعتقد الفاعل بحلّ الفعل أو بحرمته، لأنَّ أساس الشهبة ليس الاعتقاد والظنّ، وإنّما أساسها محلّ الفعل - وتسلطّ الفاعل عليه شرعًا " (وهذه الفتوى تنطبق أكثر علي سائر " المحّلات " الأخرى فى جسد المرأة، والتي لم يردْ فيها أي نصّ ج).

وفى رأينا أنَّ النصّ الذى يُستفاد منه التحريم ليس آية " نساؤكم حرث لكم .. ".. وإنما " فأتوهن من حيث أمركم الله ". وإنَّ تجنّب القرآن التحديد الصريح، إلا أنَّ المعني مفهوم .. غير أنَّه لا حدّ علي من فعله لا في القرآن ولا في السنة، بل حتّي إنْ وجد هذا الحدّ من القياس (عند من سمّوه اللوطيّة الصُغرى) فهو مدروء بشُبهة الملكيّة للمحلّ (بين الزوجين طبعًا) وهو علي أيّة حال ممّا يجري بين المرء وزوجه، ما لم يقع فيه الغتصب والإكراه، فلا سبيل لوصوله إلي علم القضاء. وهو فى اعتقادنا فعل غير مستحب، ليس انطلاقًا من مفاهيم التوراة والكنيسة التي لا ترى للجنس سببًا أو مبررًا إلا الإخصاب، *فنحن نذهب إلي أنَّ اللذة الجنسية هدف فى حدّ ذاتها ومباحة شرعًا فى الإسلام بلا أدنى شبهة، ولا تحرّج* .. ولكن هذا الفعل يُعطي المرأة حظًا أقل من المتعة التى تستحقها، والمؤهّلة لها بالجماع الفطري، وقد تكون له مضاعفات جانبية من الناحية العضويّة أو النفسيّة، والعامّة فى مصر يردّدون قولاً بذيئًا ولكنّه يحتوي علي قدرٍ من التجربة الصادقة (١).

الجماع في فترة الحيض:

أمّا عن الحيض فأقول إنَّه يُوجد شبه اتفاق عام بين الجنس البشري علي كراهية الجماع فى فترة الحيض، وربّما تكون من حيل الطبيعة التي تريد تركيز الجماع في فترة الإخصاب، والحيض ليس منها، وربما يتكشف العلم عن ضرر غير واضح الآن، والأخطار التى يحملها الدم تتكشف كل يوم عن أمراض عجيبة، وآخرها هذا الميكروب الذى يسلب الجسم مقاومته فيصبح سهل المنال، لأيّة جرثومة،

(١) وهو قولهم: عايز تغيظها .. الخ ولا حياء فى الدين أو العلم.

تعبث فيه كما شاعت .. أفلا يجوز أنْ يكون ذلك وقاية للرجل مخافة أنْ يكون به خدش بسيط فيتلوّث بهذا الدم المتدفق وينتقل إليه ما قد يكون بدم المرأة من أمراض أو فيرسات كامنة ؟! أو حتى من أجل المرأة التى لا تكون فى أحسن حالاتها فترة الحيض، ولا أظنّ أنَّه يطيب لها حالة الرجل الغارق فى الدم والملطخ به...

ولا أظنّ أنَّ القائلين بشهوة البعض للجماع في فترة الحيض لما يزعمون من حرارة ولزوجة، ولا أظنّهم يقولون ذلك عن صدق أو تجربة ولإنّما عن مكابرة ومعاندة، ولمجرّد شهوة تتحدّي المُحرّمات التي تبدو لهم غير مفهومة الأسباب.

علي أيّة حال، لقد اكتفي القرآن بقوله: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " (البقرة٢٢٢).

فهو لم يصفه بأكثر من أذي ولم يقلْ نجس، أمّا الحضارات الأخري فقد أسرفت في كراهية الحيض، وبالتالي المرأة في الحيض، وتقول " تاناهيل مؤرّخة الجنس " إنَّه حتّي القرن التاسع عشر كان الأطباء الأوروبيون يعتقدون أنَّ لمسة المرأة الحائض تُعفن لحم الخنزير! ".

أما وقد وسّع الله عليكما - يا أخي المسلم، وأختي المسلمة - فى فترة الحيض، بغير الجماع، من أسباب اللذة، فلماذا اللجاجة، وهى فترة أيام ليس إلا.. تستمتعان فيها بريادة آفاق جديدة فى الحلال ؟(١).

(١) لاحظ أنّ الوطء في الدبر، والحيض، قضايا أثيرت من جانب المسلمين بسؤالهم للنبي، وذلك نتيجة احتكاكهم باليهود في المدينة، ورب قائل: لو لم يسألوا ما حُرّمت! ولكن الإيمان يفترض أنَّ السؤال قد طرح بإرادته تعالى.

اللـــواط

الإشـتـهاء الجـنسـي لـنفـس النـوع:

وننتقـل الآن إلـي علاقـة متفـق عـلـي شـذوذها واسـتنكارها، وهـى الجنسـية مـع المثـل، أو الشـذوذ الجنسـي.. أي ممارسـة الجـنس مـع نفـس النـوع، الـذكر مـع الـذكر، وهـو مـا يُعـرف عـندنا بـاللواط، والأنثـي مـع الأنثـي، وتسـمّيه العـرب " المسـاحقة " وهـو فعـل جنسـي مخـالف للصـيغة التـى يـتمّ بها تكاثر الأنواع.

وهـو عـند عـلماء الـنفس، يُوجـد بمُجـرّد الإشـتهاء، ولـيس بالضـرورة إتيـان فعـل مُعَـيّن، ولا حتـي وقـوع الإتصـال أو المصـارحة، إنّمـا مُجـرّد الإشـتهاء الجنسـي لشـخص مـن نفـس النـوع، يعنـي وجـود حالـة شـذوذ جنسي.

ولـم يصـل العـلماء - حتـي اليـوم - إلـي رأي نهـائي فـي أسـباب هـذه الظاهرة، إلاّ أننا نحاول أنْ نحصر مُجْمَل الآراء فى هذه التفاسير:
الـذين يرونهـا ظـاهرة طبيعـية موجـودة فـي كـل إنسـان تنتظـر ظروفًـا خاصّـة لتُعـلن عـن نفسـها، فـإن لـم يُـتحْ لهـا ذلـك ظلـت مكبوتـة فـي اللاوعـي أو قـد تُكبـت بظـروف مانعـة مـن القـانون والتقاليـد فـي المجتمـع، وقـيم الفـرد ومعـتقداته. ولكنهـا موجـودة، ومهمـا كُتمـت تُعـبّر عـن نفسـها بصـيغة مـا، وإنْ صعب علي غير المتخصّص اكتشاف صيغ هذا التعبير.

ودليـل هـؤلاء أنَّـه مـا مـن مجتمـع أو حضـارة أو ثقافـة قـد خلـت مـن تلـك الظاهرة مع اختلاف الظروف وتباين
الأفكـار، سـواء فـى مجتمـع يفـرض الحجـاب علـي المـرأة ويُعـقّد الاتصـال الجنسـي العـادي أو فـي مجتمـع يُبـيح الاخـتلاط الشـديد إلـي حـدّ الإباحيـة بـين الرجـل والمـرأة. ورغـم ذلـك يُوجـد الشـذوذ الجنسـي، بـل لقـد لـوحظ أنَّـه - أي الشـذوذ - ينتشـر مـع الإباحيـة الجنسـية بعـكس مـا كـان متوقعًـا، مـن الـذين نـادوا بـالإختلاط كوسـيلة لمحاربـة الشـذوذ. فـإذ بـه يكشـف عـن انتشـار أوسـع للشواذ.

وقـد أخـذ بهـذا الـرأي - اعتبـار الجـنس الشـاذ ظـاهرة طبيعـية فـي الإنسـان – كـلاً مـن فرويـد، وتقريـر كنسـى الشـهير فـى الولايـات المتحـدة فهمـا يـران أنَّ النـاس يُولـدون ولـديهم الإستعـداد لإشـتهاء الجنسـين، ولكـن العـوامل الإجتماعية تفرض عليهم تفضيل أحد الجنسين.

وهـو نفـس رأى الإغـريق و الرومـان. فقـد اعـتبرها ارسـتوفان: " حاجـة طبيعـية " وقـال اكزينوفـون أنَّهـا " جـزء مـن طبيعـة الإنسـان "، وزعـم وتراك " إنَّ عاشق الجمال ينشده حيثما وجده فى الأنثي والذكر "(١).

وقـد زعـم تقريـر " كينسـي " المشـهور، أنَّ ١٣ % مـن الـذكور البـالغين و ٧% مـن البالغـات هـم مـن الشـواذ أي يفضّـلون نفـس الجـنس. وأن ٤٠% مـن الـذكور البـيض وعـشرين بالمائـة مـن البنـات مـرّوا ومـررن بتجربـة لـواط أو سـحاق، بعـد سـنّ البلـوغ. إلاَّ أنَّ الدارسـين المعاصـرين، وجماعـات الـدفاع عـن حقـوق قـوم لـوط، يشـكّكون فـى هـذه الأرقـام الآن. ويقولـون إنَّ التقريـر نُشـر فـي الأربعـينيات، وكـان المنـاخ العـام ضـد إعـلان هـذا الشـذوذ، لمـا يجـرّه علـيهم مـن متاعـب. ويستشـهدون بمـا جـرى مـن مطـاردة اللـوطيّين فـى الخمسـينيات فتـرة المكارثيـة. وقـالوا أنَّ البعـض لا يـدرى أنَّـه شـاذ، والبعض يرفض أنْ يعترف بشذوذه، ولو بخداع نفسه! والبعض

(١) انظـر: حـوار حـول الحـب ترجمـة هلمـس هولـد، الناشـر: جامعـة كمبـردج بالولايـات المتحـدة عام ١٩٦١ صفحة ٤١٥.

يخشي أنْ يُصرّح حتي ولو كان علي يقين من شذوذه ويُصرّ هؤلاء علي رفع النسبة في الولايات المتحدة إلي حوالي ٣٠%، وهى نفى النسبة المقترحة لغرب أوروبا.

هل هو ظاهرة طبيعية أم سلوك دخيل علي النفس البشرية:

وهناك من يرونها مرحلة في التطوّر الجنسي، فكل إنسان طبيعي، مُكوّن عندهم من شقين، سالب وموجب، أو أنثوي ومذكر، ولكنه بالنمو والنضوج البيولوجي والنفسي، يتغلب فيه أحد العنصرين، ويتراجع أو يضمر العنصر الآخر. ولذا تمرّ مرحلة يشتهي فيها الصبي اللعب مع الصبيان، ويكره البنات، أو يفرّ منهن، ونفس الشيء، بالنسبة للبنات الصغيرات. ثم يجتاز كل منهما هذه المرحلة ليأخذ إتجاهه الجنسي، الصيغة الشائعة، وهي الميل للجنس الآخر. ولكن بعض الحالات يحدث لها ما يُسمّى بالتثبيت، أو التخلف الجنسي، فتظل في المرحلة التي أشرنا إليها، ولا تتطور، وهؤلاء هم من يُسمّون باللوطية والسحاقية أو الشواذ جنسيًا أو قوم لوط أو Gay في المصطلح الغربي الحديث. ولهذا التخلف أو التثبيت أسبابه العديدة عند أهل هذه النظرية فمنهم من يُرجعه إلى خلل في الغدد، ومنهم من يُرجعه إلي ظروف البيئة، أو أحداث خاصة في حياة الفتي أو الفتاة في سن التكوين الجنسي. فمن يرى أنَّه خلل في الغدد، وأمثلتها واضحة فيما نراه من تبدّل ملحوظ في الشخصية المصابة. فهو يحمل اسم ذكر ولكن مظهره العام ومسلكه أنثي، والعكس كذلك. وهذه حالات مرضية تعالج بعمليات تعديل الجنس. ويُجمع العلماء هذا التفسير يتناول قطاعًا شديد الخصوصية، في ظاهرة أكثر شمولاً وتنوعًا. (وهم الذين عرفوا عند العرب بالخنثي).

ويرى العلماء أنَّ نسبة كبيرة جدًا تكاد تكون الأغلبية من اللوطيين والسحاقيات، هم من ذوى الإشتهاء المزدوج Bisexual، أي يمارسنّ الجنس العادي والشاذ معًا، ومعظم مشاهير اللواط، كانوا متزوجين. وليس هناك ما يمنع السحاقية من الزواج والإنجاب بالطبع، إلاَّ إنْ اشتدّ انحرافها، إلي حدّ كراهية الرجال.

وفي الأدب العربي حديث طويل عما يسمونه " نواسي المزاج " نسبة إلي بيت شعر سخيف، منحول إلي أبو نواس " الحسن بن هانىء " والذي يقال فيه علي لسانه أنه بيت ما بين جارية وغلام... إلخ.

وبصرف النظر عن نوعية الممارسة، فإن العلماء يعتبرون الممارس، من اللوطيين واللواطيات إذا كانت نشوته أو نشوتها الحقيقية مع الطرف المماثل، حتي ولو كانت تستمتع أو كان يستمتع أيضًا مع الجنس الآخر .. ولا يأبهون بمن يدعي " أنه سيان " ولا بالحالات النادرة التي يكون فيها الأمر كذلك فعلاً .. .

وهناك من يرى أنها مسلكية دخيلة علي النفس البشرية، يمكن أن تنقرض أو يمكن تفاديها إذا ما أحسنت التربية، ومنعت مسبباتها، وهؤلاء يرون أنَّها مسلك خلقي وأنَّ المجتمع سيبرأ منها إذا ما عزل أو قمع كل شاذ يعرف، فلا تنتقل إلي الجيل الجديد. فهي تعلّم ولا تولد في الإنسان كالتدخين مثلاً .. وهذا رأى جمهرة الأخلاقيين ورجال الدين، وأمير المؤمنين الذي قال: " لولا أنَّ الله ذكر اللواط في القرآن ما ظننت أحدًا يفعله ".

ونقول إنَّ الباحثين لم يجمعوا علي تعليل علمي وإنْ اعترفوا جميعًا بأنَّها ظاهرة وُجدت في كل المجتمعات بنسب متفاوتة من العلنية، وأنّها ظاهرة آخذة في الانتشار في الحضارة الغربية اليوم، إلي الحدّ الذي يجعل المشرّعين وعلماء النفس والاجتماع يميلون إلي إخراجها من دائرة الشذوذ والتجريم إلي الإباحة، لا القانونية فحسب، بل وحتى من ناحية القبول الإجتماعي والأخلاقي. فنسبتها تتجاوز الأربعين بالمائة بين الذكور في بريطانيا وأمريكا، ومعظم الدول الغربية أسقطت عنها العقوبة بين البالغين مع تفاوت في تقدير سن البلوغ ما بين الثامنة عشرة والحادية والعشرين .. ويُلاحظ أنَّ سن الجنس القانونية بين الذكر والأنثي يكون دائمًا أقل، مما يؤكّد أنَّ المشرع حتي في هذه المجتمعات، ما زال ينظر إلي اللواط أو المساحقة، كفعل غير مرغوب فيه، يتمنى شفاء المواطن منه وذلك بتأخير سن السماح به. فهم في بريطانيا يسمحون للفتى بالزواج وأن يكون أبًا

في سن السادسة عشرة، ويعطونه حق الإنتخاب، وخدمة العلم في الجيش الامبراطوري من سن الثامنة عشرة، ولكن لا يُسمح له بالشذوذ إلا في سن الحادية والعشرين، عندما يصبح حالة ميؤسة، ويصبح المنع - في نظرهم – سببًا لمخالفات قانونية ومدخلاً لجرائم أشدّ ضررًا علي المجتمع.

العلاقة بين تلك الظاهرة وأفول الحضارات:

ومن وجهة نظرنا: فهي ظاهرة ترجع إلي هذه الأسباب مجتمعة، وهي تنتشر وتأخذ شكل الفاحشة العامة في مرحلة انهيار الحضارات، أو بمعني أدق في مرحلة ازدهار الحضارة وترفها، واطمئنانها الخارجي، عندما يصل منحني الصعود إلي نقطة القمّة ويبدأ في الانحدار حتي وإن استقر فترة، أو بدا مستقرًا عند القمة.

وهي أيضًا تنتشر أو تبقى منتشرة في المجتمعات التي انهارت حضارتها، وأتيح لها لأسباب غير طبيعية، وسائل الترف، مع فقدان القوة الذاتية، وفقدان الرغبة والقدرة علي الخروج من مرحلة التخلف.

وإذا كنا سنشرح نظريتنا بالتفصيل، إلاَّ أنَّه تجدر الإشارة إلي رفض " جون بوزول " لهذا التفسير الحضاري. فهو يقول إنَّ اللواط موجود في كل العصور والمجتمعات. وأنَّ الفارق هو فقط، في إباحته، أو تحريمه. ويرفض القول بأنَّه يظهر في مرحلة الانهيار. فيقول:" إنه خلال القرنين الأولين من عُمْر الإمبراطورية، عندما كانت روما في قمّة القوّة والنفوذ، انتشرت كتابات الإغريق اللوطيّين ". ونحن لا نقول خلاف ذلك. إنَّ الظاهرة لا تشيع بعد الانهيار. ولا هي من نتائج الانهيار، بل هي من علامات الأفول، ومن أسباب الانهيار. وهي تبدأ في الظهور عندها يصل المنحني - كما قلنا - إلي أعلي نقطة. وقد يبقي المنحني ثابتًا في الظاهر، وتبقي الدولة أو الإمبراطورية، أو الحضارة المعنيّة متربّعة علي القمّة لعدّة قرون، لسبب بسيط، أنَّه لا تُوجد حضارة أخري قادرة علي إزاحتها، أو جاهزة لقلبها. ولكن الحضارة السائدة، تتوقف عن النمو والصعود، ومن ثمَّ تبدأ رحلة الانحدار بظهور عوامل الإنهيار، وممارسات الترف، ويعكف مترفوها علي الفسق فيها، حتي يأتي أمر الله في شكل قوة إنسانية أكثر خشونة وأكثر تقشفًا. وظهورها عند وصول الحضارة إلي ذروة تألقها يخدع الدارس، ويجعله

يظن أنَّها علامة أو حتب سبب التقدم. وهي حقًا قرينة علي التقدم، ولكنها في نفس الوقت مؤشر الإنهيار.

ففي مرحلة الصعود الحضاري، تنتشر القيم التي تحقق القوة، فالعربي، مثلاً، في الأمة الحبلي بالميلاد الحضاري، كان يفخر بأنَّه والد عشرة وأخ لعشرة وعم عشرة، وخال عشرة . . وكانت مقاييس الجمال هى التي تطبق علي الأنثي الولودة القادرة علي حسن تغذية وليدها: كبر الصدر وكبر العُجيزة ... ذلك أنَّ الصعود الحضاري، يتطلب الكثرة العددية، ويغلب مصلحة الأسرة علي حساب الفرد، والمجتمع علي الأسرة.. ومن ثم يندفع الرجال إلي الزواج للتكاثر ومباهاة الأمم.

ولا تري المرأة لها من مهمّة أشرف ولا أسمي من إنجاب وتربية محاربين وبناة، عناصر مباهاة الأمم، ولو كان هذا علي حساب متعتها الفردية، ذلك أنَّ سعادتها القوميّة والحضاريّة تغطي، وتعوّض متاعبها الفردية، بل إنَّ متعتها الفرديّة تتحقق من خلال هذا التفوّق الحضاري . . ولا توجد حضارة صاعدة، مارست تحديد النسل أو أحبّت المرأة العجفاء العاقر، أو استغرقتها المتع واللذات الفردية – أو كما في موضع بحثنا - أباحت اللواط، أو تفشّت فيها هذه الظاهرة .. .

فإذا ما انتصرت الحضارة علي تحدّيها، وحققت أمنها القومي، وبدأت في الاستمتاع بنتائج بنائها الحضاري، تغيّرت المقاييس ونما الشعور الفردي علي حساب المسئولية الجماعية، ويتضخم إحساس الفرد بذاته، وحرصه علي زيادة تمتع هذه الذات .. وتتراجع الرغبة الاستشهادية، أو الاستعداد للتضحية، علي مستوي الجيل الواحد، وعلي مستوي الأجيال، فالجيل الحاضر لا يعنيه ولا يريد التضحية من أجل الجيل القادم.

يسود شعار: أنا ومن بعدي الطوفان، أو ما يتردّد في الغرب الآن " هذه حياتي " وهي " حياة واحدة " فلماذا أضحّي بها من أجل جيل آخر . ..

لا يحبون الادخار، ولا التقتير علي النفس لإعطاء مستوي أعلي من التعليم أو الحياة لأطفالهم إلا في أضيق الحدود، أو إلي الحدّ الذي لا يسبب لهم متاعب أكبر من المتع التي يتطلعون إليها .. ومن خلال إقناعهم بأنَّ الانفاق علي الأولاد " استثمار " جيّد لأموالهم .. بل يتحوّلون إلى كراهية الإنجاب، فيلجأون إلي تحديد الأسرة، وتصبح الأسرة النموذجية التي بها " ولد وبنت " لكي لا ينخفض مستوي معيشتهم، ولكي لا تتبدد حياتهم في تربية الأولاد، وتكفّ الأمهات عن أرضاع أولادهن، لأنَّ الرضاعة تفسد الثوب وجمال الصدر. وتنقلب المقاييس بما يخدم هذه الأهداف، فتصبح المرأة الولود مذمومة، والعائلة الكبيرة الأفراد غير حكيمة، بل حتب مقاييس الجمال تتغيّر فيبدأ الإعجاب بالمرأة النحيفة التي لا تستطيع الحمل إلا بصعوبة، ولا صدر لها لإرضاع ابنها أو " الغلامية القد ".. ثمّ تأتي الخطوة الطبيعية نحو عشق " الغلام " الذي لا ينجب ولا يحمل مسئوليّة عائليّة ولا قوميّة ولا حضاريّة .. أي الفردية في قمتها .. ومن هنا فنحن نراها ظاهرة انقراض حضاري.

ظبي يرق الماء في وجناته ويرق عوده
ويكاد من شبه العذار ي فيه أن تبدو نهوده.

الحسن المهلبى

وكان المخنثون موجودين ومعروفين في الجاهلية، واستمروا لفترة علي زمن رسول الله في المدينة وكانوا يدخلون علي النساء ويقومون بدور الخاطبة .. ثم اختفى حديثهم صدر الإسلام ليظهروا في ظل الدولة الإسلامية الأولي في شكل الفنانين أو المغنيين كما هو الحال الآن في الغرب. فأوّل مغن هو " طويس " كان مخنثًا يحلي يديه ويلبس ملاءة مصقوله ويضرب بالدف. وكما نشاهد الآن في الغرب تنتقل الموضة أو الانحراف من الفنانيين للشباب ويشتهر بها المحترفون ويتغنّي بها الشعراء بل تصبح صفة من صفات الطبقة الحاكمة المترفة وعلامة علي الأرستقراطية يقول الشاعر الفاجر:

بأبي ظبي كلفت به   واضح الخدين والفلج
مرّ بي في ذي خنثٍ   ... ... (١)

وقال أبو سويد:
كان لحبيب بن أوس حمار وحصان وغلام مخنث فإذا نزل أخذ الحمار ينهق والغلام يَمْجُن في كلامه(٢).

وكانت مراوح الخلفاء مكتوب عليها:

أنا في الكف لطيفة   مسكني قصر الخليفة
أنا لا أصلح إلا   لظريف أو ظريفة
أو وصيف حسن القدّ   شبيبه بالوصيفة (٣)

ونحن مرّة أخري نخالف " جون بوزول " الذي رفض القول بأنَّ إباحة الشذوذ تؤدّي إلي انقراض السكان. لأنَّ هذا الرأي - يقول – يعني التسليم بأنَّ لو أبيح الشذوذ لانصرف الجميع وتركوا الجنس الطبيعي!...

ونقول إنَّ الاتهام والدفاع كليهما فيه مبالغة شديدة، فصحيح ستبقي النسبة الكبري تفضّل الجنس الطبيعي، فحتي في سادوم وعامورا احتاج الأمر لغضبة إلهيّة لكي ينقرض السكان. وصحيح أنَّ نسبة كبيرة من الذين يمارسون الشذوذ، إذا استحال عليهم ذلك سيتجهون إلي الجنس المعتاد، ومن ثمّ يتناسلون ولو علي حساب لذتهم الحقيقية.. إلا أنَّ انتشار هذه الظاهرة تكمن فيه رغبة انتحاريّة، رغبة في الإنقراض، كراهية الإستمرار البيولوجي، ومن ثمّ يتمّ تصريف الجنس بلا حرث ولا زراعة، وحتي الزارعين يقلّ إنتاجهم، وفي المجتمعات التي ينتشر فيها اللواط كظاهرة حضارية، تنخفض نسبة تزايد السكان ليس بسبب انصرافهم

(١) العقد الفريد ٧.
(٢) العقد الفريد ٨ ص ١٣٠.
(٣) الأغاني ٧.

للشذوذ، ولكن كمناخ عام. وقد أشارت بعض الدراسات إلي انتشار ظاهرة الشذوذ الجنسي فى مستعمرات القردة إذا ما ازدحمت بسكانها وضاق المكان بالقردة، أو شحّ الطعام أو حتي ساد القلق بين الذكور ..

الحضارات عندما تصل إلي القمة وتبدأ في الإنحدار يكون قد توفر لها الأمن الوطني، أو علي المستوي الجماعي، ولكن ينتشر فيها القلق الفردي. أنظر مثلاً، علو نسبة الإنتحار في بلاد آمنة من الناحية الوطنيّة أمنًا شبه مطلق مثل السويد والولايات المتحدة. وانعدام هذه الظاهرة تقريبًا في اللاجئين الفلسطينيين أو الكمبوديين.

باختصار، إنَّ حضارة صاعدة يُصبح شعارها: الفرد في سبيل المجموع " وزرعوا لنأكل فنزرع ليأكلوا" ومن " كانت بيده فسيلة وقامت عليه الساعة فليزرعها ". أمّا الحضارة الآفلة فشعارها " غد بظهر الغيب واليوم لي " " لا تشغل البال بما في الزمان، ولا بآتي العيش قبل الأوان .. واغنم من الحاضر لذاته .. ".

وفي الحضارات المنهارة فعلاً: " بيت أبوك خرب خذ لك قالب ".

المجتمع المصري الفرعوني وظاهرة اللواط:

فإذا انتقلنا إلي التطبيق، نقول أنَّه لا توجد أيَّة إشارة لا من قريب ولا من بعيد في التاريخ الفرعوني القديم للواط. ولا أزعم أنني قد درست أسباب ذلك، أو أنَّ لدينا ما يكفي من نصوص لإصدار حكم قاطع في هذا الشأن. ويمكن القول أنَّ التاريخ الفرعوني، كان تاريخًا شديد " الرسمية " وأنَّ الكتابة لم تكن ظاهرة عامة أو شائعة، ومن ثم فإنَّ معظم الآثار المكتوبة التي وصلت إلينا تدور أساسًا حول تاريخ الفراعنة ملوك البلاد والآثار، " والأمناء علي تاريخها ". وهؤلاء بالطبع لا يثبتون في تاريخهم إلا ما يعتبرونه مشرفًا، وهذا في حدّ ذاته - إنْ كان مقبولاً كتفسير – يعني – علي الأقل - استنكار الظاهرة، من جانب المجتمع، فهي سوأة تُخفى ولا يتفاخر بها! ولكن يُلاحظ أيضًا أنَّه لا توجد حتي قصص غرام فى تاريخ الفراعنة المكتوب، مثل الإغريق، بل وحتي التوراة .. وكل الفراعنة نراهم فى وضع رب الأسرة المثالي، كالمرشح الأمريكي - بجانب زوجته ويحيط

بهما الأطفال. وقد يُقال: وماذا نتوقع من الصورة الرسمية التي ينشرها البلاط الملكي ؟ ولكن حتي الأساطير الفرعونية عن الآلهة تلتزم بالعفة، فلا شذوذ بين الآلهة ولا مشاعيّة جنسيّة كتلك التي نراها في ديانات اليونان والرومان. فقصة أوزريس التي تعتبر محور الدين الفرعوني في مصر القديمة، هي قصة وفاء زوجة لزوج محبّ، قصة تعتز بها وتحرص علي تدريسها، أيّة مؤسسة أخلاقيّة. كما أضيف، أنَّ جميع تماثيل وصور الآلهة والفراعنة والرجال والنساء العاديين محتشمة، مغطاة بالثياب، ولو علي الأقل حول العورة. بعكس تماثيل ورسومات الإغريق التي تحرص كلها علي إبراز عورة الذكور بالذات، مع أنَّ المناخ كان يفترض العري في مصر الإفريقية، والكساء في أوروبا الأكثر برودة!! كما لا توجد في ملايين الأواني والمزهريات الفرعونية التي عُثر عليها مثل تلك المزهريات التي سجّلت الفعل الجنسي في شتي الأوضاع أو التخيلات، عند الرومان واليونان والهنود وغيرهم. فهناك، إذن، موقف مختلف جذريًا من المسألة الجنسيّة.. .

وقد يكون السبب أن المجتمع المصري ككل لم يمر بمرحلة التفسّخ الحضاري المترف. فعندما وصل إلي قمته، تعرّض للغزو الخارجي والاحتلال والدخول تحت سيطرة حضارات أخري. وهو تفسير ضعيف لا نُصرّ عليه. ثم أنَّ قلة الوثائق المتاحة تجعل طرح تفسير لهذا الرأي، مجرّد تخمين، وقراءه في المجهول، لولا أنَّ لدينا - لحسن الحظ – النصّ القاطع الذي يُبرّيء ساحة الفراعنة، وهو قوله تعالي لقوم لوط: " مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ " (سورة العنكبوت ٢٨) والفراعنة سبقوا قوم لوط في الوجود وهذه براءة من الله.

اللواط من علامات النبل وتميازات التفوق عند الإغريق والرومان:

أمّا الإغريق فقد مارسوه، أو علي وجه الدقة، مارسته الطبقة الحاكمة، وهذه هي التي وصلنا تاريخها، فلم تكن هناك وسائل لنقل الكثير عن سلوك العامة.

ونحن علي يقين من انتشارها بين الخاصة بشكلٍ علني(١) ومقبول. حتي أنَّ الدراسات الحديثة - وربما ببعض المبالغة - لا تكاد تستثني أحدًا من المشاهير أو الفلاسفة أو الآلهة في حضارة الإغريق، من ممارسة الشذوذ الجنسي. وكثير من الألفاظ العلمية المستخدمة حاليًا لوصف أنواع الشذوذ الجنسي مقتبسة من القاموس الإغريقي.

وقال المؤرخون أنَّ إسبرطة اشتهرت بالسحاق، وأثينا باللواط، وكانت هناك بلدة اسمها " لسبوس "، منها اشتقت الكلمة الدارجة الآن في عصرنا هذا " Lesbian " لوصف المرأة السحاقيّة(٢) وكلمة " Catamiti " وتعني لوطيًا سلبيًا مشتقة من اسم شاب إغريقي اغتصبه " زيوس " كبير الآلهة.

تشرفنا!.

---

(١) Christianity, Social Tolerance and Homosexuality. By: John Boswell

وقد بذل مؤلف هذا الكتاب - المذكور أعلاه - جهدًا غير مُبرر لإثبات أنَّ الطبقة الراقية كانت تمارس الشذوذ مع الطبقات الفقيرة أو العامة. ويستشهد " لقد نام الأباطرة مع ممثلين، والملوك مع الجنود، والسناتور مع العبد ". وهذا صحيح ولكنه لا ينقض النظرية التى أخذنا بها والمستمدة من قوله تعالى: " أمرنا مترفيها ففسقوا فيها" فالطبقة الحاكمة أو المترفة هي التي تشرع القيم وتسن الأخلاق للمجتمع، فهي التى تبدأ المجاهرة. ولكن هذا لا يعنى أنَّها تمارس ذلك داخل إطارها وحدها فلو فعلت لما كانت المجاهرة المدمرة، وكانت الفاحشة محدودة، ولكن من عوامل الانهيار التى يتم بها القانون الإلهى، أن تفقد تلك الفئة احترامها ومهابتها لدي العامة وهذا لا يكون إلا بوصول العامة إلي مخادعها، والاطلاع على فضائحها. والعامة بدافع الرغبة في المال والسلطة يستجيب بعض أفرادها لإغراء مضاجعة الطبقة الحاكمة. ولكن اللواط لا يصبح ظاهرة عامة بين العامة إلا فى حالة سادوم وعامورة .. حتى في أوروبا وأمريكا اليوم فإنها أكثر شيوعًا بين المثقفين، والبروليتاري الذي يمارسها يفعل ذلك كمظهر للتحضر وللاندماج في الطبقة المثقفة، التي لا تستطيع الإكتفاء الذاتي، ولا تصبر عليه، بل تحتاج دائمًا إلي دم جديد من الشعب.

(٢) اللواط عند العرب هو ما يكون بين ذكرين من جنس، أمّا المساحقة فلم ترد في القرآن ولا فى قصة لوط لأن الآية صريحة فى وصف جريمتهم إنكم لتأتون " الرجال " شهوة. ولكن اللغة العربية تعنى بالمساحقة ما يكون بين المرأتين من فعل جنسي.

الحب الأفلاطوني:

وكان اللواط من خصائص الطبقة الحاكمة، والآلهة، أو من علامات النُبل، وامتيازات التفوّق. وليست بمفهوم الشذوذ المرضي .. فمعظم النبلاء كانوا يجمعون بين زوجة وغلام معشوق، وإنْ وجدت حالات غلب فيها الشذوذ مثل أفلاطون الذي لم يتزوّج حتي مات في سنّ الثمانين. ووضع نظرية " الحبّ الأفلاطوني "(١)، في حبّ الغلمان(٢)، والغريب أنَّهم كانوا يعلموننا أنَّ الحبّ العذري بدأ عند أفلاطون، وهو كما ترى حبّ الغلمان، أمّا الحبّ العُذري الحقيقيّ فهو حبّ قيس وليلي وجميل وبثينة!!! .. حبّ صحراء نجد!!! .. حبّ رجل لامرأة، ولكنه لا يصل إلي الجنس لأسباب خاصة بهما.

وأفلاطون علي أيّة حال (٤٢٧ ق. م – ٣٤٧ ق. م) تعرّف بسقراط وهو صغير.. وسقراط مشهور باللواط، متهم بلإفساد الشباب. وأعدم عام ٣٩٩ق.م.

وقد دافع أرسطو عن اللوطيّين ووصفهم بأنَّهم يكونون أفضل الرجال عندما يكبرون!.

وقد عبد الإغريق " هرقل " بسبب شجاعته وقوته وفحولته، فقد فضّ بكارة خمسين عذراء في ليلة واحدة، ومع ذلك كانت له علاقة جنسية مع ابن أخ Tolaus ، كما سقط في حبّ هيلاس الجميل ذي الشعر المجعّد المرسل علي جبينه (٢) وكان له عشرون عشيقًا!.

وقد وضع ستارتون دليلاً لمراحل الإثارة في الغلام " إنَّ زهرة غلام في الثانية عشرة مرغوبة، ولكنه أحلي في الثالثة عشرة وأشهي في الرابعة عشرة، ويزداد

---

(١) وقد علق سيسرو على الحب الأفلاطونى للغلمان فقال: " إذا كان مجرد حب عذرى فلماذا لم يحب أحد غلاما قبيحًا أو شيخًا جميلاً (من كتاب الاله المحبوب. قصة هارديان وأنطونيوس بقلم روبستون لامبرت).

(٢) الجنس في التاريخ

سحره أو جاذيته في الخامسة عشرة، أمَّا السادسة عشرة فهي السن المقدّس! ".

وفي تاريخ اليونان إنَّ الديموقراطية فى أثينا، أقامها لوطيان عاشقان ..!

وهناك روايات عديدة عن شذوذ سقراط، وقد أعدم بهذه التهمة ولكن مغامراته مع تلاميذه، بقيت لنا، وعشق هؤلاء التلاميذ له، واضطجاعه علي فراش واحد مع أحد التلاميذ، ومفاجأة بقية الطلبة له، وغيرة الذي كان يعشقه بينهم، إلي حدّ الصياح في وجه أستاذ الفلاسفة " إنك تقلب الدنيا رأسًا علي عقب لتجلس بجانب الفتي الجميل ". وردّ سقراط الهادىء أو البارد دائمًا - كما عرفنا من محاوراته مع زوجته، وإنْ كنا نتعرف الآن علي سبب جديد وأكثر جدّية لخلافاتهما الزوجية!.

رد سقراط: " إنَّ حبّي لهذا الفتي يجلب لي المشاكل فهو لا يسمح لي بأن ألقي نظرة أو لمحة علي غلام جميل فضلاً عن أنْ أكلم أحدًا غيره .. إنَّه يغار علي الفور. وأخشى أنْ يغتصبني هذا الفتي في يوم من الأيام ".

ولم تكن مخاوفه من باب التمنّيات - كما يقولون - بل لقد حاول فعلاً تلميذه " Alcibiades " اغتصاب سقراط في الفراش.

وإنْ كانت معظم الروايات لا تشير صراحة إلي ممارسة فعلية، إلا أنَّ عشق الغلمان كان شائعًا، بل لعله كان من مميزات الطبقة المثقفة!(١).

---

(١) وهذا تفسيرنا للواقعة التى وردت في تاريخ المتنبي، عندما بعث أحد معاونيه يستأجر مومسًا مذكرًا مشهورًا فى عصر المتنبى، واحضره سكرتير المتنبي فعلاً. ولكن الشاعر الكبير - وفقًا للرواية - ترك الغلام في الفراش ينتظره، وظل هو طوال الليل يكتب، ولم يرفع نظره إليه (كما روى الغلام للسكرتير الذي روى القصة للعالم - أنظر كتاب الأستاذ محمود شاكر عن المتنبى). ولا يمكن أنْ نجد تفسيرًا لذلك إلاَّ رغبة المتنبي في أن يُشاع عنه أنه قضى ليلة مع هذا الفاعل المشهور. وقد حدث وشاعت القصة، وأثبتت فى التاريخ. فإذا عرفنا أنَّه كان عصرًا شاع فيه عشق المذكر في الأدب، ولا نكاد نجد بيتًا واحدًا للمتنبى يوحى بذلك. كان لنا الحق في استنتاج أنَّه أراد تأكيد التذوق، والاعتذار عن خلو شعره من هذا الباب، لينسجم قيم عصره. ونستغفر الله من سوء الظن وخطأ الفهم. إنَّه التواب الرحيم .. .

أفلاطون كان عشيق ألكس أوف ديون وخلال ثلاثة أجيال كانت رئاسة الأكاديمية التي أسّسها تنتقل من عاشق إلي عشيقه.

أرسطو كان عاشقًا لتلميذه Hermias الذي خلّده في قصيدة أورفيدس، الكاتب المسرحي كان عاشقًا للشاعر أغاثون، فيداس النحات كان عاشقًا لتلميذه Agoracritus.

ويبدو أنَّها كانت قد تفشّت علي نحو، أثار المثقفين ذاتهم فنجد أرسطو يسخر من انتشارها في الطبقة الحاكمة، وتقبّلهم لها كرمز من رموز النُبل، فيقول أرسطو علي لسان أحد النبلاء يُعاتب صديقًا: " أيصح يا ملعون أنْ يأيك إبني من الملعب، خارجًا لتوه من الحمام، نظيفًا منتعشًا نشطًا، فلا تغازله، لاتقبّله، ولا تحتضنه ولا تلعب في خصيتيه .. وتدّعي مع هذا، أنك أحسن صديق للعائلة ؟! " وإلا حنا مش قد المقام!.

والسخريّة واضحة، والصورة كاريكاتورية، ولكنها تعكس علي الأقل تقبّل هذه الطبقة لذلك السلوك. وإنْ لم تصرّ عليه علنًا كما وضعه أرسطو. الذي زعم أنَّ نسبة الشواذ في عصره تعادل نسبة الطبيعيّين...

وهناك مزهريّات وأواني شراب وصلت إلينا، عليها رسوم اللواط، سواء بالإيلاج أو الملامسة، وما بين ذلك وذاك .. ومعظمها بين رجل وغلام مراهق.

ويقول هانزليخت: " إنَّ فكرة الإغريق عن الجمال مذكّرة تمامًا حتي الفتيات كانت ترسم أو تنحت بملامح غلامية ".

ويؤكد نفس المؤلف: " إنَّ الإغريق كانوا يشجّعون الشذوذ في مرحلة قصيرة في حياة فتيانهم منذ

أنْ يقص شعره في السادسة عشرة، فخلال التدريب فى الجيش حتي يصبح مواطنًا كاملاً. ثم يفترض فيه أنْ يتزوّج ويُنجب، علي أنَّه يفترض أيضًا أنَّه في مرحلة متقدمة يأخذ مراهقًا تحت حمايته ويُكرّر الدورة ".

وقال إنَّ لفظة (Pederasty) بالإنجليزية وهي التي تعني عشق الغلمان مأخوذة من paiderastia وجاءت من pias وتعني ولد، و erastia وتعني عشق. ومعناها حبّ الراشد adult لغلام في سنّ البلوغ ".

ويقول جون ادينجتون: " إنَّ اللواط نشأ في معسكرات الجيش اليوناني " ص ٢٥.

وعند سوفوكليس أنَّ " أوديب " ملعون لأنَّ أباه أحبّ غلامًا. وفي تاريخ الإغريق قتل أكثر من سياسي " علي يد غلمان رفضوا الإستجابة " أو بدافع الغيرة لهجرانهم إلي غلمان أكثر غلمنة ". « وكان الشاعر أغاثون يستقبل ضيوفه وهو في زي النساء وبالمكياج ".

وكما تقول مؤلفة " الجنس فى التاريخ " فإنَّ اللواط وجد في سائر المجتمعات حتي التي توفر فيها المومسات أو الجواري، وملك اليمين. وأنَّ معظم المجتمعات حرّمته أو تجاهلته إلا اليونان، وحضارة المايا في أمريكا الجنوبية، فقد حاولتا تنظيمه. وكان البغاء المذكّر موجودًا في اليونان ويُمكن استئجار الغلمان، بالساعة أو الليلة. ويصل الأمر في بعض الأحيان للقضاء. وقد قضى المشرّع " سولو " بإعدام من يُضبط في مدرسة أطفال تحت سنّ البلوغ. كما حرم ممارسة اللواط بين عبد وغلام ولا حرًا "(١). أو إرغام الفتيان علي البغاء. وزعم أرسطو في كتاب

(١) ولكن العكس كان مسموحا به بالطبع، فقد قبض على رجل في غرفة متزوجة، فنجا من العقوبة بإعلانه أنَّه إنَّما تسلّل من أجل غلام عبد. ويرى " جون بوزول " أنَّ سولون حرّم اللواط على العبيد بإعتباره ترفًا يختص به السادة الإحرار. وفى الأدب العربي فى العصر العباسي، وأواخر الأندلسي نجد تعبير غلام " مؤاجر " وهو الذي يستأجر لفعل الفاحشة نظير أجر. وهو المومس المحترف بلغة العصر الحالي. وفى روما " كان في كل بيت عبد غلام لاستعمال المراهقين من أهل البيت قبل زواجهم " (انظر المسيحية واللواط ص ٧٨).

الجمهوريــة: أنَّ اللــواط نُظّـم فــي جزيـرة كريـت. بواسـطة الدولـة كوسـيلة لتحديـد النسـل. كـذلك عُـرفت السـحاقيات، وشـاع استخدام الآلات التـي تشـبه عــضو الرجـل: " قطعـة مـن الخشـب مغـطاة بالجلـد وتـدهن بزيـت الزيتـون قبل الاستعمال ".

وزعــم أفلاطــون أنَّ " تحــريم اللــواط يرجــع إلــي الشــر فــي قلــوب المشرعــين. والطغــيان مـن الحكــام والخنــوع مــن جانــب المحكــومين. وأن البرابــرة والشعــوب المستعــبدة يعــتبرونها مخجلــة أو عــارًا مثــل الفلسـفة والرياضــة، وهكـــذا كـــان طغاتنـــا إلـــي أنْ حطمهـــم حـــب اريســـتوتيون وهـــارموديوس " - وهمـــا كمـــا أشـــرنا – مؤسّســـا الديموقراطيــة اليونانيــة، كـذلك كتـب Philostratus إلـي غـلام رافـض: " إن رفضـك يثبـت أنـك لسـت مـن أثينـا ولا إسـبرطة، ولابـد أن تكـون مـن بلـد بربـري غـير متحضّـر ".

ولاحــظ أنَّــه مــع اخــتلاف الموقــف، فــإنَّ وجهتــي نظريهمــا تتفقــان مــع تحليلنا، وهو أنها ظاهرة ترف فى مجتمع " متحضر ".

وقـد يُقـال إنَّ شـيوع اللـواط بـين الإغــريق سـبق إمبراطوريـة الإسـكندر، ممـا يـنقض نظريّتنـا عـن الانهيـار الحضـاري. والعــكس هـو الصـحيح، لأنَّ إمبراطوريــة الإســكندر، كانــت المــدّ العــسكري لحضــارة وصــلت ذروتهــا، كانـت تعـبيرًا عـن تفـوّق الحضـارة الإغـريقية، الـذي أنجـز فعـلاً فـي مرحلـة التطهّـر، وقـد زال التفـوّق العـسكري فـور مـوت الإسـكندر، وإن اسـتمرت الحضــارة عـدة قـرون بعـده، وكانـت هـي الحضـارة العالميـة إلـي ظهـور الرومـان. ومـن ثـمّ فـنحن نتحـدث عـن عـملية نشـوء الحضـارة، عـملية الخـروج مـن شـرنقة التخلـف والتبعـيّة الحضـاريّة. هـذه هـي المرحلـة التـي تحتـاج للتطهّـر والـروح الجماعـيّة. ولكـن الحضـارة بعـد أن تجتـاز هـذه المرحلـة، وتبـدأ فـي العـطاء بـل وتبـدو أكثـر تحضّـرًا وإنتاجًـا وثقافـة مـن مرحلـة النشـوء (١). هـذه المرحلـة هـي التـي نعـتبرها مرحلـة الانهيـار الحضاريّ.

---

(١) كان للاسكندر غلامه وقد غرق في النيل واسمه هكتور.

تمامًا كالكائن الحيّ، فهو يصل إلي ذروة نضجه وقوّته في الأربعين مثلاً، ولكن هذه هي بالذات، سنّ الانحدار والاتّجاه نحو الموت (أنظر دراستنا عن المواجهة الحضارية). ونفس الظاهرة سنجدها في حضارة بابل عندما وصلت إلي الذروة وأصبحت لديهم واحدة من عجائب الدنيا، فأباحوا الشذوذ الجنسي بكافة أنواعه. واندثرت حضارتهم.

كما توجد بعض الشواهد علي انتشارها في الحضارة اليابانيّة والصينيّة في عصور الانهيار. فالقسّ البوذيّ في اليابان في القرن العاشر كان يحيط به عدد من الغلمان يطلب منهم " الحبّ والإخلاص " ثمّ تطوّرت بين المحاربين إلي قسم بالإخلاص مدي العمر وفي القرن السابع عشر تحوّلت إلي لواط (الجنس في التاريخ).

وقطع امبراطور الصين " آى تي "، أكمامه لكي لا يجذبها من تحت رأس حبيبه تونغ مين المتوسّد علي ذراع الإمبراطور (١).

وقبل أن ننتقل إلي الرومان نشير بسرعة، إلي الشعب الذي اختار أن يكون خارج التاريخ أو المجري العام للحضارة البشريّة، وإذ كان قد بذل جهدًا صاخبًا في لفت الأنظار إليه، وكان لديه من الكبر ما جعله يدّعي أنَّه هو التاريخ، والبشريّة علي هامشه .. ونعني اليهود.

حرّم اليهود اللواط تحريمًا شديدًا فاق موقف أي حضارة أخري (٢)، فقد نصّت التوراة علي قتل الفاعل والمفعول به ودمّهما عليهما (٣) ونلاحظ أنَّ المجتمع اليهودي " المستقل " ظلّ محاربًا ومتوترًا متوجّسًا طوال تاريخه (بحكم إصراره

---

(١) المسيحية واللواط ص ٢٧.

(٢) مع ان « جون بوز ول » يزعم في كتاب المسيحية والشذوذ الجنسي. أنَّ " التسامح الديني والعنصري" وقبول اللواط في المجتمع، يسيران جنبًا إلي جنب وأنَّ المجتمعات التي تضطهد اليهود هى التى تحرّم اللواطة وتشتد فى قسوتها على اللوطيين والعكس بالعكس، ويعتبر النازية أوضح مثال لذلك ". والملاحظة صحيحة ولكن التفسير يحتاج لوقفة طويلة جدًا ..

(٣) وربما كان هذا هو أساس فتوى بعض الإثمة من المسلمين.

علي عدم الاندماج في محيطه) ومن ثمّ لم يتعرّض لظواهر انحلال الحضارات، بعد اكتمال نموّها. بعكس اليهود في المهجر إذ يضمّون أعلي نسبة من اللواط المُعلن(١)، وتعتبر بعض الدراسات الحديثة، أنَّ التوراة هي مصدر كل المواقف والتشريعات المعاديّة للشذوذ الجنسيّ بسبب قصة سيّدنا لوط مع سكّان مدينة أو مدينتيّ " سادوم وعامورا " وقد اشتق فعل اللواط في اللغة العربيّة من اسم سيّدنا " لوط " رغم معارضته الشديدة لهذا الفعل وكونه هو وحده - في المدينة - الذي لم يمارسه صلوات الله عليه. أما في اللغات الإوروبيّة فإنّ الفعل **Sodom** أي الإتيان في الدُبُر مشتق من اسم مدينة لوط.

ويذهب بعض الكتّاب أنَّ التشدّد اليهوديّ في إدانة اللواطة هو مظهر من مظاهر مقاومة الحضارة الإغريقيّة، وأوضح مصدر لذلك - كما يقول كتاب اللواطة / تاريخ - هي كتابات يهودي مصري هو " فيلو جيودايس".

اللواط عند الرومان:

وسنعود لحديث سيّدنا لوط في الحديث عن المسلمين .. وننتقل الآن إلي الرومان بعد الإغريق جاء الرومان، ويزعم " نورمان كانتون " أنَّ الشذوذ الجنسيّ كان سبب انهيار الامبراطوريّتين الرومانيّة والعربيّة ولا توجد شواهد ولا حتّي تلميحات عن وجود هذه الظاهرة في الأدبيّات الرومانيّة، خلال سنوات تحوّل " روما " من قرية مجهولة إلي عاصمة إمبراطوريّة عالميّة .. سنوات الصراع من أجل البقاء، ومن أجل فرض الذات الرومانيّة علي العالم.

ويقول كانتون : " ولو أنَّ اللواط وُجد في زمن الرومان، ولكن من الواضح من سجّلات التاريخ أنَّه في عصر الجمهوريّين كان يُعاقب عليه بشدّة، وكذلك في نهاية الجمهوريّة وبداية الامبراطوريّة كان يُنظر إليه بعداء أدّي إلي

(١) ولكن يجب دراسة ذلك في إطار نظرة اليهود للجنس مع الأمميين، إذ أنَّ الظروف القاسية التي تعرضوا لها فى ظل المجتمعات الغربية، جعلت " الجنس " إحدى وسائلهم لحفظ النوع اليهودي.

تحريمه خلال تلك الفترة كان اتهام أحد باللواطة يعني نعته بأقبح الصفات:

. (Homosexuality A History by Vern. L. Bullough)

" في عام ٣٠٠ ق.م. أعدم مسئولون وقوّاد كبار في الجيش لأنَّهم حاولوا اللواطة مع مجنّدين أصغر. ولكن بعد مائة سنة ألغيت عقوبة الإعدام – وتحولّت إلي غرامة! ".

" وفى حوالى سنة ٦٩ بعد الميلاد كان يجري إغتصاب الأولاد والمجنّدين الحسني الوجه. بل وكان الجنود يُجْبَرون علي إشباع شهوة الأمباشيّة ".

" وقد استخدمت تهمة اللواطة ضد يوليوس قيصر، واتهموه بأنّه وطأه ملك Birthyrians ".

وقال عنه سيسرو " رجل كلّ زوجة، وامرأة كلّ رجل ".

" ثم تطوّرت من فضيحة تهدّد بدمار سمعة السياسيّ الذي يرتكبها، إلا أنْ أصبحت عذرًا يُبرّىء الساحة، فقد دفع متهم بأنَّه لم يكن يتآمر مع دوميتيان، بل اجتمعا لمجرد ممارسة الحبّ، وقد علق السناتور الذي كان يحقق في المؤامرة : الحق أنَّ شكله مثير "!.

وهكذا فما أنْ أصبحت " روما " سيّدة العالم، والممثلة لحضارة العصر، وتجمّعت فيها ثروات وثقافات وفنون ومهارات العالم، حتي دبّ الترف والانحلال في الطبقة الحاكمة، وظهر اللواط علي أوسع نطاق .. وقد جاء في " انهيار الإمبراطوريّة الرومانيّة " إدوار جبون (طبعة ١٧٨٩) أنّه من بين الخمسة عشر امبراطورًا الأوائل الذين حكموا الإمبراطوريّة الرومانيّة منذ تحولّها إلي إمبراطوريّة. كان واحد منهم فقط هو السويّ المزاج من الناحيّة الجنسيّة، وهذا يعني أنَّ الامبراطوريّة حكمت حوالي ٢٠٠سنة بأباطرة شاذين جنسيًا.

" وأحد الأباطرة أرسل وفودًا من القصر إلي جميع أقطار الإمبراطوريّة يلتمسون

الرجال الذين لهم غرمول كالبغال. وفتح الحمامات العامّة لكي يتجسّس علي هذ النوع من الرجال للعمل في " الخاصّة " الإمبراطوريّة " (ص ٨٠ المسيحية والتسامح).

" وتعلّم نيرون كما تقبّل اللواط من معلمه سيكا الذى كان بدوره لوطيًا " ص١٣٠.

وسنسمع أنَّ كل امبراطور كان له غلام عشيق، وهو نفس ما سينقله التاريخ عن الإمبراطوريّة التاليّة، أو الخلفاء العبّاسيّين والأندلسيّين .. ولا يفوتنا هنا أنْ نسجّل مفارقة بين وضع الأباطرة، والملوك في حضارتنا التي اعتاد الغربيّون تخصيصها بالاستبداد. منذ أنْ اخترع اليونان في حرّبهم مع الفرس تعبير " الاستبداد الشرقيّ " وصوّروا كل حاكم شرقيّ علي أنَّه فرعون أو إله يخضع لمشيئته الشرقيّون لما فطروا عليه من خضوع، ولكن هل فى حضارتنا حاكم مهما كان طغيانه استطاع أنْ يُعلن زواجه من غلام ويُجبر الناس علي تحيّته باعتباره الإمبراطورة ؟! أو هل استطاع طاغية مسلم مهما كان فجوره أنْ يُعلن معشوقه إلهًا ويبني له مدينة ؟! .. إنَّ أحد ملوك الطوائف في الأندلس أخرج جاريته في العرض العسكريّ في زيّ الرجال فأصبح مثلا ..! ".

وبقدر ضخامة الامبراطورية، وطول المدة التي قضتها متربّعة علي قمّة العالم بلا مزاحم، بعد ما حطّمت قوّتها العسكريّة، كل المراكز المنافسة، أو حتّي لتي تحمل خطر التحدي مستقبلاً .. ومع تدفق ثروة لم يسمع بها العالم من قبل، فقد كانت أضخم إمبراطوريّة عرفها التاريخ حتّي وقتها، ووأكثرها دقة وتنظيمًا في نهب الشعوب واستثمارها. بقدر هذه العوامل كلها، كان اتساع الترف وعمق انحلاله، وبشاعة الفاحشة، والتباري في التهتك. فالأمم كالأفراد، أو قل هي مجموعة أفراد، إذا أمّنت الحاجات الأساسيّة، بحثت عن الكماليّات، فإذا تحققت، سعت إلي الترف، والتفنن في اختراع اللذات والكشف عن شهوات ما كانت لتوجد لولا الفراغ والسعة أو: " فما تشتهي إلا أن تشتهي " وسبحان

القائـل : " كَـلا إنَّ الإنسَـانَ لَيَطْغَـى، أن رَّآهُ اسْتَغْـنَى "(سـورة العـلق ٦و٧) .. كـذلك فـإنَّ الطبقـة الحاكمـة، بـل وقطاعـًا كبيـرًا مـن الطبقـة الوسـطي فقـدوا القناعـة بالـدين أو الوثنيّـة الشـائعة وقتهـا. وانحـراف الأبـاطرة، جعـل الشـذوذ تقليعة المجتمع كله.

الشعــراء كـانوا ينظمـون الشعــر فــي جمـال " غـلام الإمبراطـور " لكسـب وده وعـطاياه! وبعـد مـاتزوّج الإمبراطـور Elagabalus بشـابٍ رياضـيّ أصـبح رجـال الـبلاط يحرمـون الـدخول عـلـي أي رجـل إلا إذا كـان مصـطحبًا معـه زوجـه (ولـيس زوجتـه!) ممـا اضـطر بعـضهم إلـي التظـاهر بـالزواج من الرجال لمماشاة التقاليد الإمبراطورية.

أمـا نيـرون فقـد تـزوّج مـرّتين، وفـي كـل مـرة كـان العـروس رجـلاً وفـي احتفـال عـام، وقـد عـومل العـريس الثـاني واسـمه " سـبورس " معاملـة " الإمبراطــورة " رسـميًا. وكــان يحضــر الاحتفــالات الرسـميّة، ويعانقــه الامبراطـور فـي شـبق وبـلا حيـاء وظـل مخلصـًا لـه إلـي الوفـاة. وانطلقـت نكتـة تقول لو أنَّ والد نيرون تزوّج علي طريقة نيرون لكان العالم أكثر سعادة.

أمـا " هارديـان " الـذي عهـده، عهـد " هـدوء وسـلام " قمّـة حبّـه مـع الفتـي الإغـريقي " أنطونيـو " الـذي فقـده أثنـاء عـبورهما نـهـر النيـل فـي أكتـوبر (١٣٠ م) وحـزن عـليه الامبراطـور " الـوفيّ " وخلّـد ذكـراه بعـشرات التماثيـل فـى جميـع أنحـاء الإمبراطوريّـة، والاسـتادات والـدورات الرياضـيّة، وبنـى عـلي إسـمه مدينـة كاملـة عـلي النيـل بـين ممفـيس وطيبـه، حيث غرق ...

ويبـدو أنَّ النيـل هـو مقبـرة غـلمان اليونـان مـن هـذا النـوع، ففيـه أيضـًا غـرق غـلام الإسـكندر. وفـي ١٨٣٧ م غـرق فيـه " غـلام يونـاني جميـل كـان بدوره غلام الرحالة البرنس بوخلرموسكاو ".

ويعـتقد بعـض المـؤرّخين أنَّ سـبب شـيوع قصـة شـذوذ " هارديـان " والهجوم علي غلامه.

ليست قضية اللواط، ولا أنّه تطرّف في حزنه، فأعلن أنَّ غلامه هذا إله! فقد كانت قائمة الآلهة تضمّ أكثر من لوطي ومأبون، بما فيهم كبير الآلهة نفسه الذي إتّخذ لنفسه صاحبة وغلامًا! .. بلّ لأنَّ انطونيو هذا كان آخر " إله " في عالم الوثنيين، قبل انتصار المسيحيّة، ولذلك اهتم المسيحيّون وإلي اليوم بنهش سيرتهما، وقد صدر حديثًا كتاب بعنوان الإله المحبوب يقول أنَّ معشوق الإمبراطور كان علي درجة من الجمال الصارخ الذي ما زال شاغل العالم المتحضّر خلال ألفيّ سنة (!) وكان الغلام يونانيًا اسمه أنطونيوس " ومات في حوالي سن الثامنة عشرة. وقد حزن الامبراطور عليه وبنى له مدينة في مصر وهي أنطونيوبولس. وصنع له ألفيّ تمثال.

وأعتقد أنَّ الحملة الدينية عليه، قد تكون خلف الاتهامات التي انهالت علي الفتي، فالمتدينون رأوا أنَّ إهانة آخر آلهة الوثنيين، عملاً صالحًا يخدم الرب. وكذلك التركيز علي سيرة هذا " المأبون " يفضح ويُخزى الديانة الوثنيّة المنهارة.. .

ولنذكر أنَّ التراث الإسلاميّ، قال أنَّ اللآت والعزي كانا فاسقين، زنيا في الكعبة فسُخطا حجارة. ثم مضت السنون فعبدهما الناس. وكان الرومان الوثنيّون، قد حاولوا الإدعاء بأنَّ أنطونيوس افتدي سيّده بإغراق نفسه في النيل. وقد استمرت حملة الكنيسة علي الفتي، فوصفه الأب جيروم عام ٣٥٠ م بأنَّه " مومس مذكّر " وقال: " وهكذا فإنَّ الإله الجديد أنطونيوس كان عبدًا لشهوات الإمبراطور، غير المشروعة، وأنَّ الذين عبدوه رضوخًا لأمر الإمبراطور كانوا يعرفون أنّه مُجرّد إنسان، بل وليس حتي إنسانًا جيدًا. بل ولا يستحق حتي أنْ يكون رجلاً فضلاً عن إله ".

وحتى سنة ١٨٧٨ كان المتحف البريطاني يرفض إطلاع الجمهور علي أيقونات أنطونيوس .. نظرًا لتعصّب الرأي العام ضد اللواطة ...

وكانت الحكومة تفرض الضرائب علي اللوطيّين المحترفين، وتضمن للغلمان المستخدمين إجازة سنويّة، ويقول " جون بوزول " إنَّ الأباطرة استمروا يحصّلون

هـذه الضـريبة حتـي القـرن السـادس (المـيلادي) بمـا فـي ذلـك الأبـاطرة الـوثنيين والمسـيحيين وأصبح اللـواط ظـاهرة إقتصـادية. ففـى خطـاب كـاتو (القـرن الثـاني قبـل المـيلاد) اشـتكي مـن التضـخم، إذ أصـبح سعـر المـأبون أغلـي من سعر الأرض الزراعيّة!

و " سيسـرو - الحجّـة فـي القـانون الرومـانيّ - رفـع قضـية يُطالـب فيهـا بالاعـتراف بـديون أبيـه عـلـي شـخص كـان يعاشـره معاشـرة الأزواج " و " فـي القـرن الثـاني المـيلاديّ قـدمت شـكوي فـي أحـد المـوظفين الرومـان بأنَّـه يحـابي ولـدًا عــمره ١٧ سـنة وقـد اعــترف الموظــف بالتفصـيل بعلاقتــه الجنسية مع الغلام. ولم يثرْ ذلك أي اعتراض من والد الغلام ".

وعـلـي أيـة حـال، نكتفـي بقـول مؤلـف أصـرح كتـاب عـن الشـذوذ الجنسـي، صـدر حتـي وقتنـا هـذا. " إنَّ الميـول الجنسـيّة لقيـادات المجتمـع الرومـانيّ يسـتحيل نشـرها حتـي فـي القـرن العـشرين " والإمبراطـور الرومـانيّ الوحيـد الـذي حـرّم اللـواط هـو الإمبراطـور فيليـب العـربيّ الأصـل (منتصـف القـرن الثالث).

وكـان أنْ سـقطت رومـا، أو شـقها الأوروبـيّ تحـت ضـربات البرابـرة، وبقي قسمها الشرقيّ في بيزنطة يحاول الاستمرار بالمسيحيّة.

والمسـيحيّة قـد مـرّت بعـدّة أطـوار، ومـن ثـمّ اختلفـت مواقفـه .. فالمسـيحيّة لـم تظهـر كثـورة ولا كفلسـفة لحضـارة وليـدة، ولـم تكـنْ تمثّـل أو تواجـه أي تحـدٍّ حضـاريّ، بـل فـي المرحلـة الأولـي إتخـذت موقـف ردّ الفعـل، ففـي مواجهــة الإغــراء فــي الجـنس المنحــرف والمنحــل فــي الإمبراطوريّــة المنهـارة. ولـد عـند آبـاء الكنيسـة الأوائـل، كراهيـة عـميقة للجـنس بكافـة أشـكاله، حتـي الـزواج الطبيعـي؟؟؟. ولهـذا الموقـف أسـبابه الفكريّـة أيضًـا، إلاَّ أنَّ العنصر الأساسيّ فيه كان رفض حالة الإباحيّة والتهتك الرومانيّ.

قـال بـول عـن الرومـان: حتـى نسـاءهم غـيّروا الطبيعـة إلـي مخالفـة الطبيعة مثل

رجالهم الذين تخلوا عن الاستعمال الطبيعيّ للمرأة، واحترفوا شهوة الرجال مع الرجال " رومان ١ / ٢٧.

وقد ساد هذا التعفف " الفكريّ " الكنسيّ إلي يومنا هذا. ولا نقول السلوك بالطبع، فالحياة دائمًا أقوي .. ولكن ليس بالعفة وحدها تقوم الحضارات، وإن كانت شرطًا أساسيًا لا تقوم بدونه، والعفة غير الإخصاء طبعًا.. بل لابدّ من تصورّ شامل للوجود والتحدّيات المطروحة وامتلاك حلول لها، أو المنهاج القادر علي طرح الحلول، وامتحانها، ورفض ما لا يصلح منها.

ولم تكن المسيحيّة في قرونها السبعة الأولي صالحة ولا مؤهلة للقيام بهذا الدور، لأنَّها كما شرحنا في مكان آخر. دخلت في الدولة الرومانيّة، أو أدخلت الدولة الرومانيّة، في الكنيسة، المهم أنَّ دولتها لم تقم علي أنقاض الدولة الرومانيّة. بل تزاوجت معها، فكان من الطبيعيّ أنْ يحمل الوليد الكبير من خصائص وطباع، وتصوّرات وأمراض الأب الرومانيّ. ولم تشكل المسيحيّة ثورة، بل تسوية، صفقة مع الدولة الرومانيّة، كما سنري في استمراريّة الكثير من مظاهر الانهيار الحضاريّ في المرحلة الأولي من المسيحيّة. ولكن المهمّ هنا، أنَّ المسيحية الرومانيّة، ورثت الحسّ التاريخي بالزوال، وهو الحسّ الذي كان يسيطر علي الإمبراطوريّة الرومانيّة، ويحكم تصرّفات قياداتها. ولذلك بشرّت الكنيسة بزوال العالم، وكانت هذه الفلسفة الأكثر قبولاً من جانب الرومانيّين الذين تعفنوا في الفساد، وفقدوا كل أمل في أي انبعاث حضاريّ. ولم يكنْ أمامهم أي مخرج من خلال المنظور الروماني، أو الدولة الرومانيّة، فقدّمت لهم المسيحيّة الحلّ الوحيد : التبشير بأنَّ هذه هي نهاية العالم، قرب زوال المجتمع أو الجنس البشريّ، ولاحظ أنَّ كل الحضارات اعتبرت زوالها هو نهاية العالم.

بشّرت المسيحية بزوال العالم بإرادة غير بشريّة، بقيام عالم جديد بلا خطايا ولا مشاكل، خارج هذه الدنيا أو الأرض الخاضعة للحضارة الرومانيّة، والتي لا مكان فيها لحلّ غير رومانيّ ..

فالمسيح الذي جاء في البداية، في صورة ملك اليهود، الذي سيقودهم في

ثـورتهم ضـد الرومـان، ويحـرّرهم مـن سـيطرة الرومـان، ومـن النمـوذج الرومـاني ويبنـى مملكـتهم، أو مملكـة جديـدة ذات قـيم أقـدر عـلي الحيـاة. فهـو قائـد أو زعـيم يحقـق طموحًـا دنيويًـا، وتغـييرًا فـوق هـذه الأرض. ولكـن لأسـباب عـديدة، منهـا – وإن يكـن لـيس أهمهـا - رفضـه مـن قبـل اليهـود، فإنَّ آباء الكنيسة فضلوا مهادنة الدولة الرومانية.

ورغـم أنّ المسـيحيّة مـن اليـوم الأوّل - فـي اعـتقادنا - مـا كانـت لتقـرّ اللـواط مـن الناحيـة المبدئيّـة. ورغـم أن جميـع الدراسـات تؤكّـد أنّ المسـيحية تبنـت الموقـف التـوراتيّ أو اليهـوديّ مـن تحـريم اللـواط. ولـم يكـن مـن المعـقول بالنسـبة لكنيسـة تحـرّم الجـنس بـين الرجـل والمـرأة، إذا كـان لا يهـدف مباشـرة لزيـادة النسـل بـل يـري " بـولس " مؤسّسـها؟؟؟ أنَّ الجـنس كلّـه لا مبـرّر لـه، انطلاقًـا مـن أنَّ مملكـة الله عـلي وشـك الظهـور " فالوقـت قـد أزف يـا إخـوتي، عـندما يتسـاوى مـن لـه زوجـة بالأعـزب " ، ورأي آبـاء الكنسـية الأوائـل: " أنَّ اللـذة حتـي أثنـاء الجمـاع الشـرعي، بهـدف التوالـد، هي خطية ".

مـن غـير المعـقول أنْ يقبـل أصـحاب هـذه النظـرة فعـل اللـواط (١) الـذي يقـوم عـلي اللـذة المجـردة مـن أي هـدف اجتمـاعي أو عـمراني. ومـع ذلـك فـإنَّ الرغـبة فـي مهادنـة المجتمـع الرومـاني، ومـن ثـمّ التـأثر بـه، ولأن الأخـلاق المجـرّدة، لا تخلـق واقعًـا، بـل لابـد أنْ تعـبّر هـذه الأخلاقيّـات عـن حركة حقيقية في المجتمع، لذلك لم تفلح

---

(١) يصـعب تعقـب النصـوص التـي تحـرم اللـواط فـى الأسـفار المسـيحية المعتمـدة، إذ أنَّ المسـيح لـم يتعـرض لـذلك علـى الإطـلاق ولكـن الدراسـات المتخصصـة تجمـع علـى أن المصـدر الوحيـد الـذي وضـع أسـاس رفـض اللـواط فـي الفكـر والتشـريع المسـيحي، هـو إنجيـل " برنابـا " الـذي أدان هـذا الفعـل. (وهـو بالمناسـبة إنجيـل ممنـوع التـداول فـي الأوسـاط المسـيحية اليـوم، ويتـداول المسـلمون نسـخة منـه يقولـون إنهـا أصـح الأناجيـل أو أقربهـا للحقيقـة) أمـا أول مجمـع كنسـى بحـث موضـوع اللـواط وأصـدر فيـه قـرارات، فكـان مجمـع لاتيـران الثالـث عـام١١٧٩ ميلاديـة، عـندما بـدأ حركـة البعـث فى أوروبا الغربية. وهو المؤتمر الذي حرم " المسلمين واليهود والربا واللواط ".

أخلاقيــاّت مســيحيّة عــصر الانهيــار فــى تغــيير المجتمــع الرومــانيّ، بــل بالعــكس تــأثرت الكنيســة بــأخلاق هــذا المجتمــع، فبقــي اللــواط فــى المجتمــع الرومــانيّ المســيحي بشــقيّه الغــربيّ والشــرقيّ ربمــا حتــي القــرن العاشــر.. فقــد ظــلّ اللــواط بــالأجر، يمارســه المحترفــون فــي الإمبراطوريّــة الشــرقيّة حتــي القــرن الســادس المــيلاديّ، بــلّ واســتمرّ الأبــاطرة يحصــلون الضــرائب مــن هــؤلاء المحتــرفين، والتــى كانــت تشــكّل نســبة مــن إيــرادات الدولــة التــي تعيش عليها الكنيسة.

وكــان اللــواط متفشــيًا بــين المســيحيّين حتــي القــرن الرابــع المــيلاديّ. وتــورد الدراســات الحديثــة أكداسًــا مــن وقــائع ودلائــل وأشــعار وأدبيــات تثبــت وجــود عــشق المــذكر بــين رجــال الكنيســة فــي تلــك الفتــرة .. سنضــرب صــفحًا عـن هـذا كلـه فقـد يكـون مـن نـوع الشعـر الصـوفيّ (٢)، وقـد يكـون علاقـة متوقعة بين ذكور يعيشون معا بعيدًا عن المرأة، وهم في فحولة شبابهم، وتبــاين شــديد لأعــمارهم. [تعــليق: إنَّ الســلوك الفــردي المغــاير للطبيعــة لا يُعــمّم علــي الأخــلاق التــي تنــادي بهــا المســيحيّة. خاصــة وأنَّ الكاتــب كتــب مــا ينــاقض ذلــك فــي الصــفحات الســابقة، ويســتند الكاتــب عــلــي أنّ كــل شــاعر صوفي هو لوطي؟؟؟؟].

كــان البابــا " جريجــورى " يشــرف عــلي بيــع الغــلمان الإنجليــز " شــديدي الجمــال " فــي سـوق رومـا فـي القـرن السـادس المـيلادي. مـع معـرفة الجميـع بســبب " رواجهــم ". وقــال البابــا إنَّ " جمــالهم يعــطيهم لمحــة ملائكيــة ويجعل الجنة مأواهم "!!.

وفــي القــرن الثــامن نصــح " القــديس بــازل "، رجــال الكنيســة بتجــب النظــر إلــي الغــلمان المــرد: " إذا رأيــت الفتــى الجميــل، فــإجلس فــي مقعــد بعــيد عــنه، وعــند النــوم إحــرص عــلي ألا تلمــس ثيابــك ثيابــه. بــل ضــع بينكمــا رجلاً عجوزًا .. وعندما يتكلم

(١) المسيحية واللواط ص ١٣١.

(٢) وإنْ كـان متـرجم أشـعار الصـوفي الشـهير " الحـافظ " علـق عليهـا بقولـه: " مـن الصـعب التفكيـر فـى الله، إذا كـان عاشـقه الصـوفي يصـفه بأنـه متمـوج الخصـلات، يـاقوتي الشـفاه، ممشـوق القوام كغصن البان "!.

أو ينشد أمامك لا ترفع عينيك إليه، حتي لا تزرع الشهوة في قلبك، ولا تدخل معه في مكان يغلق بابه، أو يصعب علي الناس رؤية ما يحدث بداخله، مهما كان الغرض من دخولكما "(١).

لم تستطع الكنيسة أن تخرج الامبراطورية الرومانية من أزمتها، ولا أنْ تطرح الصيغة البديلة علي الصعيد العالمي، ومن ثمَّ كان عليها أنْ تنتظر حتي يأتي التحدي من الجزيرة العربية. من قوم لا توجد في شعرهم الجاهلي إشارة واحدة لهذا السلوك، ثم مجتمع المتطهرين الذي يقول فيه أمير المؤمنين: " لولا أنَّ الله ذكر اللواط في القرآن، ما ظننت أنَّ أحدًا يفعله ".

تعليق: نكتفي بنقل الأحاديث التالية لتكذيب ما يدّعيه المؤلف بأنَّ الجزيرة العربية كانت خالية من اللواط في الفقرة السابقة :

في صحيح البخاري: ٥٣ - باب: غزوة الطائف. حديث ٤٠٦٩،٤٩٣٧، ٥٥٤٨ - حدثنا الحميدي: سمع سفيان: حدثنا هشام، عن أبيه، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أمها سلمة رضي الله عنها: " دخل النبي – ص - وعندي مخنث، فسمعه يقول لعبد الله بن أمية: يا عبد الله، أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غدا، فعليك بابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، وقال النبي – ص -: (لا يدخلن هؤلاء عليكن). قال ابن عيينة، وقال ابن جريج: المخنث: هيت. حدثنا محمود: حدثنا أبو أسامة، عن هشام: بهذا، وزاد: وهو محاضر الطائف يومئذ. [ش أخرجه مسلم في السلام، باب: منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب، رقم: ٢١٨٠. (مخنث) الذي خلقه خلق النساء، ويشبههن في كلامه وحركاته، وتارة يكون هذا خلقه، وتارة يكون بتكلف، وسمي به لتكسر كلامه ولينه، يقال: خنثت الشيء فتخنث، أي عطفته فتعطف. (تقبل بأربع) وهي عكن البطن، أي تجاعيده، فترى منها عند إقبالها أربعا. (وتدبر بثمان) هي أطراف العكن الأربع، ترى منها وهي مدبرة ثمانية. (هيت) اسم المخنث المذكور، وكان مولى عبد الله بن أمية، رضي الله عنه، المذكور معه.

وفي صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام محي الدين بن شرف النووي. باب منع المخنَّث من الدُّخول على النِّساء الأجانب.

١- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالاَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، ح، وَحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامٍ، ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ أَيْضاً -وَاللَّفْظُ هَذَا- حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سلَمَةَ:

أَنَّ مُخَنَّثاً كَانَ عِنْدَهَا وَرَسُولُ اللهِ – ص - فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ إِنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَداً، فَإِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى بِنْتِ غَيْلاَنَ، فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ.

قَالَ: فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ – ص - فَقَالَ: " لاَ يَدْخُلْ هَؤُلاَءِ عَلَيْكُمْ".

قولها: (كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ – ص - مُخَنَّثٌ، فَكَانُوا يَعُدُّونَهُ مِنْ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ.

أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ بِأَرْبَعٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ أَدْبَرَتْ بِثَمَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ – ص -: أَلاَ أَرَى هَذَا يَعْرِفُ مَا هَهُنَا، لاَ يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُنَّ، قَالَتْ: فَحَجَبُوهُ). (ج/ص: ١٤/١٦٣)

٢- وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - ص- مُخَنَّثٌ، فَكَانُوا يَعُدُّونَهُ مِنْ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ.

قَالَ: فَدَخَلَ النَّبِيُّ - ص- يَوْماً وَهُوَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، وَهُوَ يَنْعَتُ امْرَأَةً، قَالَ: إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ بِأَرْبَعٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ أَدْبَرَتْ بِثَمَانٍ.

فَقَالَ النَّبِيُّ – ص -: "أَلاَ أَرَى هَذَا يَعْرِفُ مَا هَهُنَا، لاَ يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُنَّ".

قَالَتْ: فَحَجَبُوهُ.

قال أهل اللُّغة: المخنَّث: هو بكسر النُّون، وفتحها، وهو الَّذي يشبه النِّساء في أخلاقه، وكلامه، وحركاته، وتارة يكون هذا خلقه من الأصل، وتارة بتكلُّف وسنوضحهما.

قال أبو عبيد وسائر العلماء: معنى قوله: تقبل بأربع، وتدبر بثمان، أي: أربع عكن، وثمان عكن، قالوا: ومعناه: أنَّ لها أربع عكن، تقبل بهنَّ من كل ناحية ثنتان، ولكلِّ واحدة طرفان، فإذا أدبرت صارت الأطراف ثمانية.

قالوا: وإنَّما ذكر فقال: بثمان، وكان أصله أن يقول بثمانية، فإنَّ المراد: الأطراف، وهي مذكَّرة، لأنَّه لم يذكر لفظ المذكَّر، ومتى لم يذكره جاز حذف الهاء، كقوله – ص - "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَّال" سبقت المسألة هناك واضحة.

وأمَّا دخول هذا المخنَّث أوَّلاً على أمَّهات المؤمنين فقد بيِّن سببه في هذا الحديث، بأنَّهم كانوا يعتقدونه من غير أولي الإربة، وأنَّه مباح دخوله عليهنَّ، فلمَّا سمع منه هذا الكلام علم أنَّه من أولي الإربة، فمنعه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الدُّخول.

ففيه: منع المخنَّث من الدُّخول على النِّساء، ومنعهنَّ من الظُّهور عليه، وبيان أنَّ له حكم الرِّجال الفحول الرَّاغبين في النِّساء في هذا المعنى، وكذا حكم الخصيُّ، والمجبوب ذكره، والله أعلم.

واختلف في اسم هذا المخنَّث.

قال القاضي: الأشهر أنَّ اسمه: هيت، بكسر الهاء، ومثنَّاة تحت ساكنة، ثمَّ مثنَّاة فوق.

قال: وقيل: صوابه: هنب بالنون والباء الموحَّدة، قاله ابن درستويه.

وقال: إنَّما سواه تصحيف.

قال: والهنب: الأحمق.

وقيل: ماتع، بالمثنَّاة فوق مولى فاختة المخزوميَّة، وجاء هذا في حديث آخر ذكر فيه: أنَّ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غرَّب ماتعاً هذا، وهيتاً إلى الحمى، ذكره الواقديُّ.

وذكر أبو منصور البادرديُّ: نحو الحكاية عن مخنَّث كان بالمدينة، يقال له: أنه، وذكر أنَّ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نفاه إلى حمراء الأسد، والمحفوظ أنَّه هيت.

قال العلماء: وإخراجه ونفيه كان لثلاثة معان:

أحدها: المعنى المذكور في الحديث أنَّه كان يظنُّ أنَّه من غير أولي الإربة، وكان منهم، ويتكتَّم بذلك.

والثَّاني: وصفه النِّساء ومحاسنهنَّ، وعوراتهنَّ بحضرة الرِّجال، وقد نهي أن

والثَّالث: أنَّه ظهر له منه أنَّه كان يطَّلع من النِّساء، وأجسامهنَّ، وعوراتهنَّ على ما لا يطَّلع عليه كثير من النِّساء، فكيف الرِّجال لا سيَّما على ما جاء في غير (مسلم) أنَّه وصفها حتَّى وصف ما بين رجليها، أي: فرجها وحواليه، والله أعلم.

قوله – ص - : (لاَ يَدْخُلْ هَؤُلاَءِ عَلَيْكُمْ) إشارة إلى جميع المخنَّثين لما رأى من وصفهم للنِّساء، ومعرفتهم ما يعرفه للرِّجال منهنَّ.

قال العلماء: المخنَّث ضربان:

أحدهما: من خلق كذلك، ولم يتكلَّف التَّخلُّق بأخلاق النِّساء، وزيِّهنَّ، وكلامهنَّ، وحركاتهنَّ، بل هو خلقة خلقه الله عليها، فهذا لاذمٌّ عليه، ولا عتبٌ، ولا إثم، ولا عقوبة، لأنَّه معذور لا صنع له في ذلك، ولهذا لم ينكر النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أوَّلاً دخوله على النِّساء، ولا خلقه الَّذي هو عليه حين كان من أصل خلقته، وإنَّما أنكر عليه بعد ذلك معرفته لأوصاف النِّساء، ولم ينكر صفته، وكونه مخنَّثاً.

الضَّرب الثَّاني من المخنَّث: هو من لم يكن له ذلك خلقة، بل يتكلَّف أخلاق النِّساء، وحركاتهنَّ، وهيآتهنَّ، وكلامهنَّ، ويتزيَّا بزيِّهنَّ، فهذا هو المذموم الَّذي جاء في الأحاديث الصَّحيحة لعنه، وهو بمعنى الحديث الآخر: "لَعَنَ اللهُ المُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ، وَالمُتَشَبِّهِيْنَ بِالنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ) وأمَّا الضَّرب الأوَّل، فليس بملعون، ولو كان ملعوناً لما أقرَّه أوَّلاً، والله أعلم.

ونكتفي بذلك حيث كان يدخل بيت الرسول نفسه مخنثين، تنفي هذه الأحاديث قوله بأن اللواط لم يُعرف عند العرب قبل الإسلام]

جاء التحدي من أبعد المجتمعات تأثرا بالانهيار الروماني والفارسي، في دورة من دورات المواجهة الأبدية بين الشرق والغرب. جاء الإسلام يطرد بيزنطة وكنيستها من شرق وجنوب وغرب البحر الأبيض. ولكن الكنيسة كانت أعجز من أن تستجيب للتحدي .. وربما لو سقطت بيزنطة، كما كان متوقعًا مع موجة الفتح العربي الأوّل، لعجل ذلك بنهوض أوروبا. ولكن بقاء الكنيسة عطل الإستجابة للتحدي. حتي أنَّ شارلمان الذي يصف نفسه بأنَّه مؤسّس " أوروبا المسيحيّة " عبّر عن يأسه وانزعاجه من تفشّي الانحرافات في الكنيسة. وقد أجمع المؤرخون علي أنَّه وإن حرص علي أنْ يجعل من نفسه امتدادًا تاريخيًا للأباطرة الرومان، إلا

أنَّه كان يخالفهم تمامًا من ناحية المزاج الجنسي. ولما سمع بتفشي اللواط بين الرهبان قال: " إنَّ العفة بين الرهبان هي الأمل في خلاص كل

---

(١) سنجد نصًا مشابها في حكاية سفيان بن سعيد الثوري عام (١٦١ هجرية – القرن التاسع الميلادي) الذي رفض أن يدخل الحمام مع صبي حسن الوجه صائحًا: " أخرجوه عني .. اخرجوه "، وقال إنَّ مع كل امرأة شيطانًا، ومع كل صبي جميل بضعة عشر شيطانًا. كذلك نصيحة الإمام أحمد للرجل الذي جاء مجلسه ومعه صبي جميل هو ابن أخته فقال له: " لا تجيء به إلينا مرة أخرى " ولا تمش معه في طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه السوء " الكبائر ص ٥٩ لمؤرّخ الإسلام الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي.

المسيحيّين. ونصح رجال الكنيسة بكبح النفس لحماية أنفسهم من هذه الرذائل لأنَّه لا يمكن أنْ يسمح بها في مملكته وخاصّة بين الذين يجب أنْ يكونوا قدوة ".

وهذا يوضّح أنَّه لا يكفي وجود " الفكر " أو " الخلق " الحميد، ولا حتي الرجل " العظيم " الواعي بأهميّة الأخلاق، بل لابد من اقتران ذلك بموقف حضاري.

والقانون الذي نطرحه هنا، أو حتي الظاهرة التي نسجلها، هي أنَّ كل الحضارات التي انتصرت وقامت، بدأت بمحاربة اللواط والتشدد في مطاردته والمعاقبة عليه، وهي غالبًا ما تتهم خصمها الحضاري بممارسة " جريمة " اللواط .. فإذا ما انتصرت الحضارة وزال التحدي المواجه لها، انتشر فيها اللواط وتسامحت معه.

أوروبا والشرق واللـــواط

مـع الحـروب الصـليبية بـدأ الانتعـاش والإصـلاح فـي أوروبـا الغربيـة أو المسـيحية، وفـي الكنيسـة أيضًـا. ذلـك أنَّ الاسـتجابة للتحـدّي كانـت قـد بـدأت، وإتّخـذت شـكل الثـورة عـلي الكنيسـة. وظهـور الكنـائس المنشـقة أو الحركـات الإصـلاحيّة. ولـو أنَّ عـددًا مـن أبطـال الحـروب الصـليبية يُتهمـون بـاللواط فـي بعـض الدراسـات المتخصصـة فـي تعـقّب المشـاهير وإثبـات ذلـك السـلوك عـليهم، فهـذا النـوع مـن الدراسـات يؤكّـد - الآن - أنَّ ريتشـارد قلـب الأسـد كان علي علاقة ما مع فيليب ملك فرنسا.

الإسـتجابة الناجحة للتحدي الإسلامي

إلاَّ أنَّ الكنـائس الجديـدة فـي غـرب أوروبـا وانتصـار المسـيحيين عـلي المسـلمين فـي أسـبانيا، وظهـور حركـة الجزويـت، كلهـا شـكّلت الإسـتجابة الناجحـة للتحـدي الإسـلامي. هـذه الاسـتجابة تلقـت دفعـة أخـري وحاسـمة عـلي يـد الأتـراك الـذين أزاحـوا بيزنطـة مـن الطريـق، فتراجعـت الكنيسـة الشـرقية إلـي أكثـر أجـزاء أوروبـا تخلفًـا وتقشـفًا إلـي " الروسـيا المقدسـة " أو كنيسـة " رومـا الثالثـة " .. وانطلقـت الإسـتجابة للتحـدي فـي " الروسـيا " ومـا زالـت إلـي اليـوم. ولاحـظ أنَّـه حتـي اليـوم لا توجـد أيـة إشـارة فـي الفكـر الروسـي ولا فيمـا سـبق الثـورة عـن أدب اللـواط .. بـل إنَّ مشـاهير الفكـر الأوروبـي الـذين هرعـوا إلـي روسـيا الشيوعـية حـالمين بمشاعـية جنسـية، عـادوا خائبين

رافضين، لأن النظام السوفيتي اتهمهم باللواط المحرّم بشدة في الدولة " اللادينية ". .. وقد قادت الكنيسة والقياصرة مسيرة الأمة الروسية خلال هدف واحد لم يتغيّر، وهو القضاء علي الإسلام فى أوروبا ثمّ في آسيا الوسطي والغربية. بينما كانت كنائس الغرب ودول أوروبا الغربية تشق طريقها الحضاري حول وفي قلب العالم الإسلامي في إفريقيا وشرق آسيا وجنوبها. وخلال عملية بناء الحضارة الغربية، تتضح لنا المسلكية الحضارية التي أشرنا إليها، ومن زاوية " اللواط " نري أنّه ظلّ محرّمًا حتي منتصف القرن العشرين. وإنْ كانت الحضارة الغربية قد وصلت ذروتها وبدأ إنحدارها في القرن التاسع عشر. ولو أنَّ بعض الدراسات تنسب السحاق للملكة فيكتوريا، ولكن ذلك لا يعنينا في هذه الدراسة. لأنَّ الذي يعنينا من سلوك الحاكمين - كما قلنا - هو المُعلن. والملكة فيكتوريا لما عرض عليها قانون العقوبات أبدت دهشتها ونفيها وجود " مثل هذا الشيء " بين النساء! .. فهذه هى الصورة التي أعطيت للشعب البريطاني، لكي يريق المزيد من دمه من أجل ضم ممتلكات جديدة لتاج الملكة المسيحية العفيفة!

وقد قامت الرقابة في أوروبا الناهضة بحذف وتعديل كل النصوص التي وردت في التراث الإغريقي والروماني لاستبعاد " الانحلال " فعشيق سقراط تحوّل إلي " سيدة اشتهرت بجمالها ". ونُسب إلي أفلاطون كذبًا، استنكاره وإدانته للواط " متأثرًا بقراءة الكتاب المقدس "! ونقحت أقوال " أوفيد " في كتابه " فن الحب " فبدلاً من قوله: " إنَّ عشق الغلمان أقل جاذبية لي " عُدلت إلي " وعشق الغلمان لا يثيرني علي الإطلاق " وعلق الناشر المسيحي علي " تزويره ": " ومن هنا يتبين لك أنَّ " أوفيد " لم يكن لوطيًا ". وحتى القرن التاسع عشر اعتذر الناشرون في أوروبا " المحررة " عن شر نصوص اللواط في الأدب الإسلامي في عصر الانهيار (ابتداء من العصر العباسي الثاني). ففى أشعار " سعدي " الفارسي. قلب المترجم البريطاني كل قصص عشق الغلمان إلي حبّ " طبيعي " بإضافة تاء التأنيث. وحتي منتصف القرن العشرين فإنَّ قصائد غزل " حافظ " (١)

---

(١) شمس الدن محمد الحافظ. ولكن نشرت طبعة صريحة في باريس عام ١٩٢٧، ولا تنس أنَّ باريس " سباقة "! وربما يقال أنَّ الغزل بالمذكر ليس كله لواطًا في الشعر العربي لأن القافية والإعراب فرضت إلي حد كبير علي بعض الشعراء، الغزل في الحبيب وليس الحبيبة. وهى وجهة نظر، ولكن لا نميل إليها كل الميل، لأنَّ هذه الضرورة اللغوية، لم تظهر فى الشعر الجاهلى ولا شعر عمر بن أبى ربيعة علي سبيل المثال . .

مازالــت تحــور لــتلائم أخلاقيــات الأورويــين والأمــريكيين (أنظــر طبعــة كامبريــدج - أمريكــا - ١٩٤٧) كــذلك حــذفت أبيــات الغــزل بالمــذكر مــن رباعــيات الخيــام عــندما ترجمــت. وفــى عــام ١٩٦٩ قــال " شــارلس يــلات " إنَّ الحيــاء والحشــمة تحــولان دون ترجمــة الجــاحظ ترجمــة أمينــة، لمــا فــي كتاباتــه مــن صــراحة فيمــا يتعلــق بالشــذوذ الجنســي. كمــا اعــتذر فــي الطبعــة الأجنبيــة لتحقيقــه لكتــاب محــاورة الجــواري والغــلمان .. وإنْ كــان لــم يجــد ضرورة للحياء في الطبعة العربية التى نشرت في بيروت ١٩٥٧.

وقــد أدان مــارتن لــوثر (١٤٨٣ - ١٥٦٤ م) فعــل قــوم لــوط المخــالف للطبيعة الذى غرسه الشيطان فيهم".

" وكــذلك جــون كــالفن (١٥٠٩ - ١٥٦٤م) مفلســف البروتســتانتية أدان كل أنواع الجنس التى لا تستهدف الإنجاب ".

وكمــا أشــرنا فــإنَّ القــانون مــازال يطــارد حتــي اليــوم - فــي أوروبــا وأمريكــا – النشــاط الفكــري للــوطيين، وكمــا يقــول مــؤرّخ الشــذوذ الجنســي فــي العــالم المســيحي، جــون بوزيــل، لــم يحــدث أنْ تعــرّض الشــواذ لاضــطهاد طــوال تــاريخهم فــي الغرب، لمثل مــا تعــرضوا لــه فــي مطلــع القرن العــشرين وكلنــا يعــرف كيــف تحطــم " أوسـكار وايلــد " فــى بريطانيــا الديموقراطيــة والليبراليــة والتحرريــة لأنــه كــان يعــشق شــابًا. وكمــا ذكرنــا لــم يجــد الاتحــاد الســوفيتي تهمة يدمر بها سمعة " أندريه جيد " إلا اتهامه بأنَّه

لوطي .. واللواط كان منتشرًا ومقبول في المجتمح المملوكي المنهار في مصر أكثر منه في جيش نابليون الذي كان يضم زهرة شباب فرنسا(١).

وقد أشرنا إلي أنَّ من قوانين الانهيار الحضاري، العجز عن اكتشاف سر الانهيار، وبالتالى العجز عن مواجهته، ولكن المجتمع يحس بأنه سائر إلي

---

(١) فى تراجم الجبرتى " ومات البليغ النجيب والنبيه الأريب نادرة الزمان وفريد الأوان أخونا، محبنا في الله تعالي ومن أجله السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب... .
ولما وردت الفرنساوية لمصر اتفق أنْ علق شابًا من رؤساء كتابهم كان جميل الصورة لطيف الطبع عالمًا ببعض العلوم العربية .. فلتلك المجانسة مال كل منهما للآخر ووقع بينهما توادد وتصاف حتى كان لا يقدر أحدهما على مفارقة الآخر .. وعند ذلك قال المترجم الشعر الرائق ونظم الغزل الفائق مما قاله فيه.

علقته لؤلؤي الثغر باسمه فيه   خلعت عذاري بل حلا نسكي

ولم يكن هذا الفرنسي هو وحده عشيق الشيخ بل كان هناك آخر اسمه ريج أغلب الظن أنَّه أيضًا من جنود الحملة الفرنسية لأنّض المؤرخ لم يزد عن قوله: وله في آخر يسمّي ريج . .
ثم أورد أبياتًا في الغزل بريج هذا منها:

واصل بنار الخد قلبى   واطفه ببرد ثناياك الشهية والثغر
أريج ذكى المسك أنفاسك التي   أريج شذاها قد تبسّم عن عطر.
ولما وقفنا للوداع عشية وأمسي   بروحى يوم جد النوي سيري.

ولما قال الشيخ حسن العطار قصيدة " عارضه المترجم الذكور بقوله في معشوقه الذي ذكرناه .. " إلخ.
وليس عشق الشيخ للفتى الفرنسي هي قضيتنا ولكن ترجمة الشيخ الجبرتى الذي أورد ذلك ثم لم يأخذ علي الشيخ الخشاب من العيوب إلا خضوعه لزوجته .. " مع أنَّه كان كثير الانتقاد علي غيره فيما لا يداني فعله وانقياده إلي هذه المرأة وحواشيها .. نسأل الله السلامة وحسن العاقبة...".
أما عشق جنود جيش الاحتلال فلم يجد فيه الجبرتي ما ينقد !! .
وقارن هذا بما سنذكره عن عشق صديق ابن حزم الظاهري لجندى في جيش البربر!!

الـزوال. ومـن ثـم تقـع انتفاضـات تحـاول وقـف عجلـة التـاريخ أو مقاومـة إرادة الفنـاء التـي توجّـه المجتمـع نحـو مصيـره. ومـن هنـا تتفجـر نوبـات " عـفة " فتلغـي القـوانين التـي تبـيح " الحريـات " الجنسـية. وتشـن الحمـلات علـي " الشـواذ " الـذين يجلبـون الـدمار للمجتمـع، أو يثيـرون غـضب الـرب .. ويغـفل الجميـع عـن أنّ هـذه هـي ظـواهر الانحـلال الحضـاري، وليسـت مسـبباته .. إذا صـحّ هـذا التفسير لفهـم الموجـات المحافظـة فـي الغـرب، فـإنَّ تفسـيرًا لا يقـل أهميّـة يحتـاج لتأمّـل. وهـو عـنف العـداء المسـيحي للجـنس، وبالـذات اللـواط، لـيس مـن الناحيـة العـقائدية بحكـم سيطرة التفكيـر التـوراتي علـي المسـيحية، بـل أيضًـا تاريخيًـا، لأنَّ نهضـة أوروبـا، أو نهضـة الحضـارة الغـربية المعاصـرة اقترنـت بحملـة شعـواء علـي " اللـواط ". واتهـام جميـع الخصـوم الحضـاريين أو المـذهبيين بممارسـته، مـن المسـلمين إلـي شعـوب أمريكـا اللاتينيـة حتـي فرسـان الهيكـل! فـالتكوين المسـيحي – الغـربي شـديد العـداء للـواط، يشعـر بالهزيمـة الحضـارية أمـام انتشـارها، إلا أنّ هـذا الانتشـار السـاحق " الـديمقراطي " فـي الغـرب هـو دليـل انهيـار هـذه الحضـارة .. وهـو لـن يتوقـف إلاّ إذا جوبهـت بتحـدٍ حضـاري، وكـان بهـا بقيـة مـن قـوة تجعـلها تسـتجيب لهـذا التحـدي. كمـا اسـتجابت للتحـدي الإسـلامي وانتصـرت عـليه بعـد عـشرة قـرون مـن الغـيبوبة والانهـزام .. وليسـت مصـادفة أنْ يعـكف فلاسـفة الحضـارة الغـربية علـي تنظيـر التحـدّي الإسـلامي مـرة أخـرى – باعـتباره العـدوّ الـذى يمكـن هـذه الحضـارة اليـوم مـن توحيـد صـفوفها والنهـوض مـرة أخـري - ويـتلازم هـذا البحـث عـن العـدوّ الإسـلامي – مـع حملـة جديـدة شرسـة ضـد اللـواط. لعـلها كانـت خلـف الإعـلام الـذى فـاز بـه مـرض الأيـدز - بـل ويعـتقد البعـض أنَّ كراهيـة اللـواط خلـف تقاعس الولايات المتحدة بالذات عن معالجته!!!.

وقـد مـرت علـي الحضـارة الإسـلامية نفـس قـوانين النشـوء والإرتقـاء والتـدهور أو الصـيرورة والعـدم، القـانون العـام الـذى تخضـع لـه كـل الكائنـات الماديـة. والمجتمـع الإسـلامي لـيس إلا ظـاهرة ماديـة، وإن استرشـد فتـرة بعقيدة غير مادية.

وأنـا أعتبـر نقطـة التحـول فـي الحضـارة الإسـلامية أو الـذروة، هـى تلـك القصة

الرمزيــة عــندما تحـدى هــارون الرشـيد، السـحابة العـابرة أنْ تمطـر خــارج سـلطة جبــاة ضـــرائبه! وقــد ســجل المؤرخــون بعــد ذلــك تمــزق الوحــدة السياســية للدولــة الإســلامية ولكــن المــؤرّخ الحضــاري سيســجل الوصــول للقمــة، وظهـور نتـائج النمـو الحضـاري، فـي العـلوم والمخترعـات، والثـروة الهائلــة، والثقافــة، والفنــون، ثــم التــرف المــادي والفكــري والسـلوكي، بــدأ عصر الحضارة الإسلامية، بعد الحضارة الإغريقية والرومانية .. .

كانــت بغــداد قــد بنيــت عــام ٧٦٣ م فــى نفــس موقــع كــيش عاصــمة الحضــارة السـومرية، وبـدأت التكنولوجيـا المتراكمـة عــبر التــاريخ. وبجهـود كـل الحضــارات الســابقة، تتفاعـل فـي حضـانة الفكـر الإسـلامي، الـذى يـؤمن بحريــة البحــث، ورفــض التقيــد المسـبق، والمتحــررّ مــن العــنصرية؟؟!!، أو التعـــصّب ضـــد حضـــارة أو ثقافـــة جـــنس معـــيّن؟؟!!، وغـــير الخاضـــع لإكليـروس عــلمي، بالإضــافة إلــي الأمانــة العــلمية النــادرة، ممـا جعـل كثيـرًا مـن المـؤرّخين الـذين يحترمـون أنفسـهم يعـتبرون المسـلمين، أول مـن أقـام " علم التاريخ " وذلك في كتابة الحديث، وتحرى المحدثين.

وكـذلك فـإن الكشـوف العـلمية التـى كانـت مجـرّد احتمـالات أو نظريـات، أو امتيــازات شــديدة الخصوصــيّة أو فــي إطــار ثقافــة شــديدة العــزلة. وعــدم القابليــة للانتشــار، كـل هـذا تحـول فـي البوتقـة الإسـلامية إلـي حقيقـة عــلمية أو متداولــة، ومتاحــة للجــنس البشــرى كلــه. فــالمؤرخون الغــربيون شــديدو الحــرص عــلي نسـبة الـورق للصـين، مـع التسـليم والاعــتراف مـن جـانبهم بـأنَّ العـرب هـم الـذين قـدموا الـورق للعـالم. ونحـن نضـيف إنَّ الـورق فـي الحضــارة الصـينية، كـان ظـاهرة شـديدة الخصوصـية، تمامًـا كمـا لـو أثبتنـا أن الصـــين ســـبقت مصـــر أو العـــرب إلـــي اكتشـــاف الكتابـــة. فســـيبقى الحـــرف العــربي أو الفينيقــي هـو وحـده الـذى كـان مهيئًـا لكـي يلعـب الـدور العـالمي. والنقلــة الحاسـمة فـي تـاريخ البشـرية. كمـا أنّ لغـة الصـين مهمـا أوتيـت مـن بلاغــة وعلــم وثقافــة. فإنَّهــا تشــكل بصيغـــتها المعـــقدة، قيــدًا ذاتيًــا عـــلي انتشــار معــلوماتها. ولا أقــول إنَّ اللغــة العــربية وحــدها، مــن ناحيـة تقـدمها وصلاحيتها للتعبير

في شتى أوجه المعرفة، مما جعلها لغة العالم الأدبية والعلمية لأكثر من أربعة قرون، واللغة المكتوبة لعدة شعوب لا تتكلم العربية .. ولا المعرفة الإسلامية المتقدّمة، ولا موقع الحضارة العربية - الإسلامية جغرافيًا وتاريخيًا. لا أقول إنَّ هذه شكلت العامل الحاسم في اختراع الورق أو جعله ظاهرة إسلامية بالدرجة الأولي، بل في اعتقادي، إنَّ العنصر الحاسم هو الموقف الإسلامي من " الكتاب " .. ومن " القراءة " و " الكتابة ". فالحضارة الإسلامية تقوم علي " الكتاب " .. .

ما من حضارة أخري قبل الإسلام لعب فيها " الكتاب " الدور الذى مثله ولعبه في الحضارة الإسلامية .. بل إنَّ تريب الأمم في التكريم وحسن المعاملة ينبعث عندنا من امتلاكهم لكتاب، فالمسيحيون واليهود لهم حقوق خاصة في الدولة الإسلامية، وامتيازات في التعامل لأنهم " أهل الكتاب " ؟؟؟!!! وقد شهد مؤرّخ يهودي - عن حق - أنَّ هذا كان أوّل تكريم يناله اليهود من الأمميين! .. بل إنَّ الدولة الإسلامية عندما عاملت مجوس إيران نفس معاملة أهل الكتاب، بذل الفقهاء جهدًا في تبرير ذلك بأنَّ الفرس كان لهم كتاب ولكنهم ضيّعوه ..؟؟؟؟!.

ولكن أهم من ذلك، أنّه حتي في الحضارات أو الديانات التي امتلكت " كتابًا " شبيهًا بالقرآن، فإنَّ وضع " الكتاب " في الحضارة الإسلامية يختلف جذريًا .. ففي اليهودية والمسيحية، كان " الكتاب " أوّلاً لا يحمل هذا الاسم بل " العهد " أو العقد " الكونتراتو " بين الله والمؤمنين. فالكتاب شيء مقدّس يحق للخاصّة وحدهم تداوله وفهمه وقراءته، وتصف مؤرخة غربية التقدم الثقافي في أوروبا في القرن الثالث عشر فتقول: " لم تكن هناك أسرة أرستقراطية في جنوب فرنسا، إلا وفيها شخص واحد علي الأقل يستطيع الفخر بأنه قد قرأ كتابًا. وعدة أفراد يجدون لذتهم فى لعبة عقلية " (مثل الشطرنج). ويُمكن القول بكل ثقة إنه من القرن الثامن الميلادي وإلي الحادي عشر لم تكن توجد أسرة في العالم الإسلامي. فيها شخص واحد فوق سن السابعة لم يقرأ كتابًا واحدًا علي الأقل ؟!.

فالمسلم يبدأ بقراءة القرآن، ولكي يفهم القرآن يجب أن يدرس النحو فإنْ أراد

التفسير لزمه الحديث والشعر والبلاغة، وإن أراد ضبط صلاته وصيامه، كان عليه أنْ يلمّ ببعض قواعد الفلك والحساب، فإنْ أراد فهم حقه في ميراث أهله، احتاج إلي علم الجبر .. إلخ .. ثمّ لا وجود لكاهن يمتلك كل الأجوبة .. ولا حدود علي المعرفة، وطلب العلم فريضة علي كل مسلم ومسلمة، وطلب العلم مأمور به ولو كان العلم في الصين المجوسية .. .

باختصار..لا يمكن تصوّر المجتمع الإسلامي بدون " كتاب " حتي في أحلك العصور ولقد رمي " المتحررون " والملاحدة علماءنا بالتخلف لأنهم يقرأون الكتب الصفراء. فنحن نقرأ ولو لنزداد جهلاً أو تخلفًا!!!.. .

وقلّما يأتى ذكر مدينة من مدن الحضارة الإسلامية، التي بقيت أو سقطت إلا ونذكر مكتبتها العامة أو مكتبة الأمير وما بها من مجلدات، وصلت في قرطبة في القرن التاسع الميلادى إلى أربعمائة ألف كتاب، أو ما يكفي لإعطاء جميع رجال الدين في أوروبا كلها كل واحد كتابًا خاصًا، ويبقي الكثير .. وما من ترجمة لعالم أو باحث أو فقيه أو شاعر إلا وتذكر مكتبته الخاصة وما بها من كتب لا تقل عن عشرة آلاف كتاب بأي حال، أمّا كتب بغداد فقد صبغت النهر بحبرها عدة أيام أو أسابيع أو شهور - قل ما شت – وعبر عليها جيش الغزاة .. .

وفي كتابي " المسلمون والروس " أوردت ما كتبه ابن سينا في وصف مكتبة أمير سمرقند وكيف كان بها قاعة خاصة لمؤلفات الإغريق. تحتوي علي مؤلفات لم يسمع بها ابن سينا حتي زار المكتبة.

فالكتاب كان ضرورة إسلامية، ولا يمكن تصوّر الكتاب علي أوراق البردي الفادحة التكاليف، ولا علي الكاغد والعظام والأحجار أو ما شابه ذلك " من طعام إخوانكم الجن "!... كان لابد من ظهور الورق، فالكتاب كان حاجة إسلامية، والورق هو مجرد الابن الشرعي لهذه الحاجة. . مثل النفط عرفه العرب قبل أمريكا بقرون، ولكن " الطاقة " الأمريكية والغربية، كانت بحاجة إليه ومن ثمّ لهم السبق في طرحه عالميًا كمصدر للطاقة .. .

تقول راى تاناهيل " إنّ لقاء العقل العربي المبدع مع اكتشاف صيني (الورق) خلق ثورة ثقافية وحضارية في كل تركيبة الغرب (أوروبا) لم يكنْ بوسع أحد - وقتها - التنبؤ بأبعادها. وقليل من اعترف بها بعد ذلك ".. .

كذلك الصفر الذى يُنسب للهنود، لم يكن ليأخذ مكانه في التاريخ والعلوم، لولا التقدم العلمي والحضاري العربي، الذى جعل الأرقام الرومانية حجر عثرة في سبيل هذا التقدم، ومستحيلة الاستمرار.. .

باختصار إنَّ محاولة البعض نسبة المنجزات العلمية والحضارية العربية لجذور غير إسلامية، محاولة مغرضة فاشلة، لأنَّ الحضارة الإسلامية مثل غيرها تمثلت ما سبقها من معرفة، وأفرزتها في صيغة متقدّمة وأكثر شمولاً وانتشارًا وأضافت إليها كمًا ونوعًا .. تقول نفس الكاتبة: " خلال الفترة من القرن الثامن إلي القرن الثاني عشر كانت كل المعرفة الإنسانية محصورة في يد المسلمين، من جند نيسابور إلي بغداد إلي القاهرة إلي صقلية إلي أسبانيا، كان يجرى نقل طب اليونان، والأرقام الهندية (التى ستعرف بالعربية)(١)، والتي حلت محل الأرقام الرومانية الغبية. وكانت ثورة في الرياضيات والعلوم، وكل أوجه الحياة؛ صناعة الورق الصينية التى غيّرت عالم الثقافة والدراسة، والقوس العربي الذي غير وجه الحرب، وقائمة فخمة من السلع المترفة مثل الحرير المشجر، الزجاج الملون، المعادن المشغولة، أو المكفتة، السراير ذات البراقع الكلة (الناموسية)، السجاد. ألوان جديدة للصباغة، القباب في فن العمارة. المرايا الزجاجية، الحمامات العامة، المستشفيات العلمانية .. والطنبور والطبلة، وأخيرًا الحكايات والأساطير

---

(١) إخواننا المغاربة، ضحية سوء فهم علي ما أعتقد في إصرارهم على استخدام الأرقام الإفرنجية 234 علي أساس أنّها هى العربية لأنّ اسمها كذلك في اللغات اللاتينية. ووجه الخطأ أن المقصود هو النظام العشرى في الترقيم الذى جعل من الممكن كتابة العشرين هكذا ٢٠ وليس XX كما كان في الأرقام الرومانية أو اللاتينية. فهذا هو المقصود بالأرقام العربية .. وليس الشكل.

التي ألهمت بوكاسيو وتشوسر، فون ايسغنباخ وأخيرًا لا فونتين ".

فالنهضة الأوروبية قامت بالكامل علي منجزات بل وحتي خرافات الحضارة الإسلامية، ولكن عملية التلقي والتلقن ما كانت لتتم بنجاح أو تحدث نهضة حقيقية، إلاَّ لأنّها تمّت في ظل الحرب العامة ضد الحضارة الإسلامية، وهكذا أمكن أنْ يتعلموا منا الطب ويتهمونا بالشعوذة، ونقلوا عنا الأرقام واتهمونا بالغيبيات والقدر! وأخذوا عنا الورق!!، وتركوا لنا الأمية. وتعلموا منا الرماية والأسلحة الحديثة باستعمالها ضدنا .. ألبسناهم الحرير وعلمناهم النوم علي السرير والاستحمام وتحدثوا عن قذارة العربي.

علمناهم احترام المرأة فملأوا الدنيا بحديث الحريم واللواط عند العرب!.

ربما أساءت أوروبا السلوك، وربما أدانها التاريخ بالعقوق والكذب. إلاَّ أنَّ عذرها، أنَّه لا يُمكن لمفتون أنْ يقهر التحدّي، ولا حتي أنْ يتقن نقل التقدّم.

وتؤكد تناهيل أن أوروبا " نقلت التقدم المادي من العرب ولكنها رفضت الفكر أو العقيدة " وهذا ما بُحّت أصواتنا في تلقينه لأبنائنا، فأفسد تفكيرهم عملاء الغرب، دعاة الانفتاح والزعم بأنَّ التقدم لا يكون إلا بنقل العقيدة.

وفيما يتعلق بالمرأة تقول " تناهيل " أنَّه بالرغم من الحملة علي الأخلاق والسلوك العربي، فإنَّ بعض الأفكار تسرّبت دون أن يلاحظ أحد مما ساعد علي تغيير عقل المسيحية، كما غيّرت المنجزات المادية (الإسلامية) وجهها، وكانت النتائج مذهلة، فإن أغاني الحب العربية، التي أفرزها مجتمع لا تزال المرأة فيه حتي اليوم تحل مركزًا تابعًا (هذه نقطة ناقشناها في غير هذا المكان وإنْ كنّا لا ننفي أنَّ المرأة المسلمة المعاصرة لا تتمتع بالحريات ولا المكانة التى كفلها لها الإسلام) هذه الأغاني هي التي كانت المحرك الذي غير نظرة الغرب للمرأة. (وهي تقصد هنا ما اتفق عليه المؤرخون، من أنَّ أغاني الغزل فى المرأة وما يتبع هذا " الغزل " من خلع صفات شاعرية نبيلة سامية عليها) إنَّما جاءت من أسبانيا عبر

جبال البرانس، فغيرت تمامًا نظرة أوروبا المسيحية للمرأة، رفعتها من المرتبة الدنيا التي كانت فيها، إلي مرتبة " اللادي " أو " السيدة " التي ينحني لها النبلاء ويقاتلون في سبيل نظرة إليها، وتطور ذلك إلي تحرير المرأة واحترامها. وتضيف إنَّ الذى علّم أوروبا المسيحية، حبّ مريم العذراء هم شعراء التروبادر تلاميذ العرب.؟؟؟!!!!

وإذا عدنا للمجتمع العربي، فسنجد أنه في هذه الفترة بالذات، شاعت الثقافة اليونانية بين المثقفين المسلمين، وسيزداد شيوعها، حتي تصبح ظاهرة عامة، حتي نجد الشعراء يردّدون أسماء الأغريق، وكأن أرسطو وسقراط والإسكندر وجالينوس من قبيلة بنى عبس، بل ربما أكثر شيوعًا. وإذا كان يُقال أنَّ المترجمين العرب، لم يترجموا آداب الإغريق، لما بها من عقائد مخالفة للإسلام، أو " انحلال " فالأحري أنْ نقول إنَّ تراجمهم لم يكثر نسخها ولا انتشرت مثل كتب العلم والفلسفة، ولكنهم قرأوها وترجموها، وتداولوها في أوساط الخاصة(١). ومهما اتسعت دائرة المعرفة وديمقراطية المعرفة فلابد من خاصّة تتقن لغات أجنبية أكثر وتتذوق نوعًا خاصًا من الثقافات النادرة أو حتي المحرّمة أو التي لا تتجاوب مع ذوق العامة. ونستطيع أنْ نُرجع الكثير من الروايات بل والتفاسير والصور الفنية والميول " المنحرفة " إلي ثقافات يونانية ورومانية، حتي إذا لم نجد - اليوم - تراجم هذه الثقافات في المكتبة العربية، وما أقل ما بقي من هذه المكتبة، خاصة وأنَّ هذه الكتب هي أول من يصدف عنه القراء وتستغني عنه المكتبات مع زوال المناخ الحضاري الخاص الذي أفرزه وجذب المثقفين إليه.

فالجاحظ ومن نهج نهجه، في عقد المقارنة بين الجواري والغلمان تأثروا بما

(١) وربما أيضًا لأنَّ المثقف العربي قد رُبّى علي احترام النصّ، فما كان بوسعه أنْ يزيف النصوص لتتفق مع الأخلاقيات المعلنة، كما فعل المثقفون الأوروبيون، ففضل المثقفون العرب عدم نشر أدب الإغريق علي تزويره.

كتبه الإغريق والرومان(١) والأقوال المنسوبة لأبي نواس بأنه كان مزدوج المزاج، متأثرة باللغز اليوناني المعروف (٢).

وهارون الرشيد بالذات الذى نعتبره قمة النمو الحضاري الإسلامي، هو الذي اتهم ابنه الأكبر بعشق الغلمان، وهو أول خليفة يتهم بذلك في التاريخ الإسلامي وربما كانت هناك مبالغة في الروايات التي ذكرت عنه، وربما كان الجهاز البرمكي خلفها، إلاَّ أننا لا نستطيع رفضها بالجملة. وتزعم هذه الروايات أنَّ أمَّه، وكانت من شهيرات التاريخ وفضليات النساء، حاولت مقاومة هذا الاتجاه فيه، بنفس الأسلوب الذي مازالت تحاوله الأمهات الصالحات في أمريكا فى القرن العشرين، وهو لفت انتباهه للفتيات، ولو بإلزامهن بالتزي بزى الغلمان، وعُرفن في التاريخ باسم " غلاميات الأمين "(٣)، وقيل إنه خسر حربه مع المأمون لأنَّه كان منشغلاً بغلامه " وصيف " في صيد السمك .. وحكايات المغاضبة والمصالحة بينه وبين غلامه، عديدة، وستتكرر في سيرة أكثر من خليفة وأمير وشاعر، والغريب أنَّها وردت دون تحوير أو تبرير في الأدب العربي بل والشعبي بالذات، ولعدة قرون بعد ذلك.

والأمين كان جميلاً وأبو النواس علي علاقة به من قبل توليه المُلك والأمين

---

(١) أنظر كتاب " بلوتراخ " عن الأخلاق (فى مطلع القرن الثاني الميلادي) فقد عقد فيه فصلاً عن حوار عاشق الغلمان وعاشق الجوارى. وردت فيه حجج من طراز: " أنَّ زيوس كبير الآلهة أخذ معه غلامًا وليس امرأة. والمقصود هو الفتى جانيمد الذى يقوم بمهمة الساقي والنديم في الجنة الإغريقية لزيوس هذا ".

(٢) وهو لغز من مرحلة الانحلال الحضاري كانوا يتسلون به وهو: " ثلاثة في سرير ولكن أربعة أفعال تتم " ؟! (منشورات كامبريدج ماسوشتس ١٩١٩- ١٩٢١).

(٣) لاحظ ما أشرنا إليه من اختلاف مقاييس الحضارة في نشوئها وانهيارها، فبعد التغني بعائشة بنت طلحة التى كانت إذا اغتسلت قائمة لا يبتل فخذاها لا من أمام ولا من خلف، لضخامة بطنها وعجيزتها، وكان يضرب المثل بعجيزة هند، صار المزاج العام هو " الغلامية القد "!.

بويع وعمره ٢٢ سنة ومات وهو في سن السابعة والعشرين وكأنّ دعوة أبي نواس استُجيبت لأسفهما فهو القائل:

إن الذي يُرضي الإله يهديه   ملك تردّى الملك وهو غُلامُ
بـارك الله للأمين وأبقا   ه وأبقى لـه رداء الشباب

وهناك أبيات يصعب أن يبعد قارئها عن خاطره صورة الأمين وخاصة ما بها من إشارات وتلميحات من شاعر بني شهرته علي التهتك والمجاهرة، وفى زمن كان التغزل بذكر الاسم ليس مستنكرًا، إلا أنْ يكون الخليفة بالطبع وهذا بعض مما عثرنا عليه.

فهو أولاً لا يتحرّج أنْ يبدأ قصيدة في مدح الخليفة بغزل في غلامه:

يسقيكها ذو قُرطَقٍ   يلهي ويُعجل من حَبَسْ
خنث الجفون كأنَّه   ظبى الرياض إذا نعس
أضحي الإمام محمدٌ   للدين نورًا يقتبس
ويا من لا أسميه   ولا أسراره أبدي
ويا أطيب من مسك   ويا ألين من زبْدِ
ويا من كالثريا هـ   ـو بل أبعد في البعد

وتذكّر أنَّ الأمين هو ابن زبيدة!

ومَاجِد في الفرع من هــاشم | إذا انتـــمـي طـــــار بعـبَّــاسه
مُخنّث اللفظ يسبيني بمقـلته | مقــرطق قــرشي الوجه عباسي
سلام علي شخص إذا ماذكرتهُ | حذرت من الواشين أن يهتكوا سرى
فإنــى مضـمرٌ أمــــــــرًا | أنـا مـنـه عـــلي خـطــــــر
أزور محمـدًا فــإذا إلتقــينا | تكلمت الضمائــــر فى الصــدور
فأرجـع لم ألمــه ولم يلمــني | وقد رضـي الضمــير عن الضمــير
أمـور لـيس يعرفها سوانــا | يحـــتير لطفـها بصـــر البصيـر

ويقــول:

إنَّي لصب ولا أقول بمن | أخاف مــن لا يخــاف أحد
إذا تفكرت في هـواى له | مسست رأمي هل طار عن جسدي
إنَّي على ماذكرت من فرق | لاأمـل أن أنـــالــه بيـدي

عــلي أيّــة حــال التهمــة عــبرت القــرون والقــارات حتــي أثبتهـا صــاحب العــقد الفــريد، وهـو لـيس بالسـند الصـحيح ولا كتابـه كتــاب تـاريخ، وإنْ كـان يوصــف بجــامع الشــائعات التاريخيـــة .. قــال صـــاحب العـــقد الفــريد: " إنَّ الحسن بن هـانئ قال في أمـير المؤمنين الأمـين اللوطي:

رشأ لولا ملاحته   خلت الدنيا من الفتن
كل يوم يسترق له   حسنه عبدًا بلا ثمن
يا أمين الله عش أبدًا   دم علي الأيام والزمن

تفشي اللواط في الأندلس الإسلامي:

وإذا كان من المفيد للمهتمين، عقد مقارنة بين تفشي اللواط كظاهرة حضارية في الأندلس الإسلامي، " وتطهر " أو تزمّت المسيحيين فيما تحول إلي أسبانيا، البرتغال في فترة سقوط الأندلس. وذلك لفهم قوانين نشوء وسقوط الحضارات، علي ضوء النظرية التي نطرحها، إلاَّ أنَّه من الضروري التنبيه إلي أنَّ المجتمع المسيحي، لم يكن أفضل أخلاقًا في تلك الفترة، ولا حتي أقل لوطية من ناحية الممارسة الفعلية. كذلك يجب النظر بتحفظ شديد، أو بالأحري الرفض باحتقار لأدبيات الحرب الصليبية التى شنت ضد المسلمين والتي حاولت أن تجعل من " اللواط " ظاهرة إسلامية، وكأنها لم توجد قط ولا عرفت بين المسيحيين فضلاً عن الأوروبيين! تمامًا كالإعلام المنحط حول ظاهرة العبيد، وكأن المسلمين فقط هم الذين " اخترعوا " ومارسوا الرق رغم حقيقة وجود عشرين مليون إفريقي في أمريكا المسيحية استرقهم ونقلهم وباعه أوروبيون مسيحيون .. بل وأن نسبة هائلة من هؤلاء العبيد من أصول مسلمة .. ولكن الموقف المسيحي طبيعى، لأنَّ من قوانين البعث الحضاري؛ التعصب، واحتقار المنافس أو الغريم، وتجريده من كل الفضائل واتهامه بكل ما يبرر إبادته .. في كتاب تبشيري مطبوع فى القاهرة يشيد بنعمة الربّ حيث قامت الكتدرائية فوق نفس المكان الذي كان ساحة لبيع العبيد في بلد إفريقى مسلم! ولو كان المبشر صادقًا لقال لمن كان يجرى تصدير العبيد ؟!.

وفي موضوعنا بالذات نشير إلى قصيدة راهبة ألمانية (Horswitha) شاعت في القرن العاشر

عن " شهيد " مسيحي، هو فتي (Pelagrus) عشقه ملك قرطبة المسلم، ولكن الفتي رفض الإستجابة لغزل الملك، ورفض قبلته مما أدّي إليى إعدامه .. والقصيدة – كما يفسرها جون بوزول – بحق، لا تعكس رفض اللواط في حدّ ذاته، ولكن رفض الفتي المسيحي أنْ يمارسه مع مسلم. لأنَّ المسيحي الذي تعمّد بالماء المقدس وطيب بزيت المعمودية لا يُعطي فمه لوثني، ولا يعانق عابد أصنام من طين ". ومدى الصدق في القصة يمكن الحكم عليه " بالدقة "في وصف عقيدة المسلم! ولكنها علي أيّة حال تعكس تصلب المسيحي وشعوره بالترفع أو السموّ العقائدي، وهى مؤشرات الصعود الحضاري، وبالمقابل فإنَّ تهتك الأمير المسلم، وقبوله المهانة أمام الغلام المسيحي، وكل الذين عاشوا أحداث القصة، و " تسامحه " وحبّه " للعدو " المسيحي، هى دلائل الهبوط الحضاري، لأنَّ الحضارة المسيحية كانت في مسيرة الصعود، ولو كان القرن العاشر هو قمة التخلف الظاهر.[تعليق: التأويل الشخصي للكاتب، ومحاولته دائمًا البعد عن المعني الحقيقي لمضمون القصة، وهو أنَّ هذا الفتي الشهيد العفيف المضطهد، الذي قتل حتي لايمارس الخطيئة، لأنها تعدي علي الله، ومحاولة تفسير ذلك من خلال صعود وهبوط الحضارات، ما هو إلا تسطيح للفكر وانحطاط في الفهم للعقيدة المسيحية التي تدعو إلي الطهارة والعفة].

أما الحضارة الإسلامية فكانت في مرحلة الهبوط، كل ملوك الطوائف كان شعرهم أحمر من مصاهرة المسيحيات، ونسبة هائلة من قصص عشق الغلمان تدور حول فتية مسيحيين. وبعض المسلمين كانوا لا يسكرون إلاَّ في الدير لمغازلة الشمامسة، وصغار الرهبان، و " المؤتمن " " أمير المؤمنين " في " سراقوس " كان مشهورًا بعشق غلامه المسيحي، وأحد كبار الشعراء تنصّر إكرامًا لغلامه المسيحى، وعانق حبيبه أمام المذبح والقس بعد إتمام مراسم التنصير!.

وذكر أبو الحسين أحمد بن يحيي بن اسحاق الرويدى في كتاب اللفظ والإصلاح: أنَّ إبراهيم بن سيار النظام رأس المعتزلة مع علو طبقته في الكلام وتمكنه وتحكمه في المعرفة، " وقع فى ما حرم الله عليه بسبب فتي نصراني عشقه، بأن وضع له كتابًا في تفضيل التثليث علب التوحيد فيا غوثاه .. عياذك يارب من تولج الشيطان ووقوع الخذلان " ص ١٣٠.

كلاهما فعل اللواط، ولكن الفتي النصراني اشتري به تعصبه العقائدي وشيخ المعتزلة عبر به عن تحلله أو تحرره وانهياره الحضاري ؟؟!!!.

" وكنت أنظر إلي غلام نصراني حسن الوجه، فمر بي أبو عبد الله البلخي فقال إيش وقوفك ؟ فقلت ياعم .. أما تري حسن هذه الصورة .. كيف تعذب بالنار ؟! ".

ذلك أنَّ الحضارة الإسلامية كما قلنا كانت في طريق الأفول، رغم أنها في قمة تألقها وازدهارها بل وحتى تفوقها الفكري الظاهر .. ولكه كان القصور الذاتي.

فقدت الزخم الحضاري، فقدت البداوة، الخشونة، التطهر، التعصب الحضاري المطلوب، وليس المذموم .. انتقل ذلك إلى خصمها بمستويات أكثر قسوة وخشونة، وتحيزًا وعنصرية، وأقل تفهمًا وإنسانيّة ؟؟!!.

المواجهة الحضارية في اللواط:

فإذا عدنا لحديث المواجهة الحضارية في موضوع اللواط بالذات، نجد أنَّه قد حدث تبادل مزدوج وعلي مراحل. فقد تأثرت الحضارة الإسلامية بالتراث الإغريقي - الروماني فانتشر اللواط كظاهرة حضارية، أو ترف حضاري. وكدليل علي التميّز والسمو علي العامة أو الناس " العاديين "، وفي نفس الوقت تأثرت أوروبا بالمجتمع الإسلامي المتقدم، الذى كان بتفوقه الحضاري، علي جميع الأصعدة، يُشكّل المثل الأعلي للنخبة الأوربية التى أتيحت لها الفرصة للدراسة في الجامعات الإسلامية، أو زيارة مدن النور الإسلامية، فتعرّفوا علي تلك الحضارة الزاهرة والمتفوقة والمترفة في نفس الوقت .. .

فإذا كان الجاحظ كما أشرنا تأثر بمحاورات الغلمان والجواري في التراث الإغريقي - الروماني فقد أثر بدوره في الفكر الأوروبي فانتشرت محاورة " هيلين

وجاينميد " أو أيهما أقدر علي امتاع كبير الآلهة الشبق(١) وأصبح " جاينميد " يتبع الذوق العربي(٢) فهو يوصف بأن " لحيته لم تبت بعد " بينما سجل بلوتراك أن سقراط " أحب Alcibiadss بعد أن نبتت لحية الفتي".

وإذا كنّا نسلم بوجود اللواط كظاهرة حضارية في المجتمع الإسلامي، والأدب الإسلامي وإذا كنّا نؤكّد المبالغة والتعصب من جانب الفكر المسيحي في اتهام الحضارة الإسلامية باللواط .. وذلك بهدف تعبئة الجماهير المسيحية ضد المسلمين. وأيضًا القضاء علي هذه الظاهرة في المجتمع المسيحي الصاعد. فإننا أيضًا، نحب أنْ نلفت الأنظار إلي بعض الملاحظات قبل أنْ ننتقل إلي تطوّر الموقف المسيحي من اللواط.

١- مبالغة الدراسات الغربية في اكتشاف اللواط، خلف كل لفتة أو علاقة بين ذكرين أو أنثيين .. فهم في الغرب، لا يعرفون الصداقة أو التحاب بدون جنس، ومازال الناس يستنكرون فى أوروبا وأمريكا رؤية ذكرين يمشيان في الطريق وقد تشابكت أيديهما، فضلا عن لفّ الذراع حول العنق بالتبادل، كما يمشي الولدان والبنات في الشرق، بل إنَّ بعض الأبناء من المشرق، كان يتحرّج من مسك يد أبيه أو معانقته في بلاد الغرب حى لا يتهمهما الغربيون! ولذا فالزعم مثلاً بوجود علاقة جنسية بين المعتمد والشاعر ابن عمار لمجرد أنَّ " الأمير " لم يكن يطيق فراقه ساعة واحدة لا في الليل ولا في النهار "(٣) اتهام لا دليل عليه إلا هذا الشك الغربي أو الذعر الغربي من أية علاقة حميمة بين ذكرين؟؟؟؟؟!.

٢- وهذا يقودنا إلي ملحوظة أخري وهي أنَّ المجتمع العربي لم يعرف

---

(١) وصف أحد آلهة الإغريق بأنّه كان فى حالة انتصاب دائم.
(٢) قال مؤلف " المسيحية واللواط " أنَّ مناظرة هيلين وجاينميد في القرن الثانى عشر متأثرة بألف ليلة أو حكاية " بدور ".
(٣) عن جوذ بوزول ص ٢٨.

كظاهرة، اللواط بين الرجال(١)، ولا في أحلك عصوره، وهى ظاهرة شائعة في الغرب الآن. وفي الحضارة الرومانية(٢) بالذات أمّا في الحضارة الإسلامية، فكانت تدور حول عشق الغلام وهو ما بين البلوغ وظهور اللحية، التى يعتبر ظهورها نهاية للمرحلة ولا يجوز بعدها مطارحته الهوي، أو توقع ذلك الفعل منه ولذلك يشكو الشاعر اللوطي:

نبتت لحية شقران حبيب الروح بعدى   حُلقت لحيف أتته قبل أن ينجز وعدي

ويتغزّل آخر في غلام فيصفه بأنَّه: وأخضر فوق حجاب الدرّ عاذره.

وفي رواية:

لما استقلّ بأرداف تجاذبه   وأخضر فوق حجاب الدرّ شاربه

وقال:

بدر من الإنس حفته كواكبه   وقد لاح عارضه وأخضر شاربه

والشارب هو أول ما ينبت للغلمان، والإخضرار هو بداية ظهور اللون قبل أنْ يشتد ويسود...

(١) سجل الجبرتى بارتياع شديد ظهور فرقة من أوباش الإمبراطورية العثمانية " يلوطون بالاختيارية " واعتبر ذلك من الفظائع!.

(٢) الإغريق عرفوا عشق الغلام الذى جاوز سن البلوغ ولكن لم يصبح رجلاً بعد وهي Pederasty ومن دراسة للمزهريات الجنسية الإغريقية كانت أغلبية صور اللواطة الكبري المرسومة عليها من نفس السن أي الكبار وهم الذين رسموا فى حالة الوطء، ولكن الأكثر شيوعًا، هو التفخيذ أو عبث الكبير بعورة غلام جاوز سن البلوغ، ولكن عند الإغريق أيضًا أن الديمقراطية أسسها لوطيان قادا معركة ضد طاغية أثينا فهما كانا قد تجاوزا مرحلة المراهقة بل والشباب، وفرقة طيبة المقدسة من المحاربين كانت تتكون أساسًا من عشاق ومعشوقين على علاقة حب وجنس، أى لواط بين مقاتلين وليس غلمان، وأشاد الفلاسفة باللواط بين المحاربين " لأنهم عندما يقاتلون جنبًا إلي جنب لا يمكن هزيمتهم لأنَّ العاشق يقبل الموت ولا الإهانة أمام معشوقه ".

وعذار زانه من زغب الشعر لجام
فأين لي أكعابٌ أنت أم أنت غلام؟!

أما الغلام المحترف أو الفاعل. المضطر للبقاء في المرحلة، فكان يحاول إطالة عمره المهني بإخفاء إنذارات التقاعد المتمثلة في بداية ظهور شعر اللحية ولذا يقول:

فاليوم إذ نبتت بوجهك لحية وذهبت بملحك ملء كف القابض
مثل السلافة عاد خمر عصيرها بعد اللذاذة خلّ خمر حامض

أو يعزّيه فاجر:

فإن تك قد سالت نجديه لحية فباطن ... ...

تذكر أخي ما قد مضي من شبابه!!

قال الوشاة بدت في الخد لحيته فقلت لا تكثروا ماذاك عائبه
وصار من كان يلحي في مودته أن سيل عني وعنه قالر صاحبه!

اللواط في الأدب العربي

فاللواط في الأدب العربي كان يدور حول هذا اللون من العشق لمرحلة معيّنة في عمر الفتي، أو الأمرد، وهو الوصف الشائع في الغزل والأدب وفي النصوص الناهية والمحذّرة من التطلّع إليهم لما بهم من فتنة في تلك السنّ، لمن به ميل للواط .. ولعلّ هذا هو سرّ وعده سبحانه وتعالى للذين يعقون ويكبحون شهواتهم " ولدان مخلدين ". واللفظ المختار شديد التوفيق والتعبير، أي ولدان خالدي الولدنة، أي لايتجاوزون تلك المرحلة التي تفتن العربي المصاب بهذا الداء، بل تثبت الدراسات أنّها السنّ التي تغوي الغالبيّة العظمي من الذكور الذين سجّل لهم ميل لوطيّ مؤقت فمن قاومها وكبح نفسه عن الفعل، فله في الجنّة ما اشتهي.

تمامًا كما للشاب العفيف الذي صان نفسه عن الزنا بالفتاة التي اشتهي، فله في الجنة " حور عين " كلّما فضّ بكارة واحدة عادت بكرًا، ولو فضّها سبعين مرّة في الليلة، فما أحلي البكارة في زمن الخلود الذي تسقط فيه الخبرة، كذلك من عَقبَ نفسه عن الغلام الأمرد فله في الجنة " ولدان مخلّدون " أي غلام يبقي أمرد إلي الأبد .. وهل جزاء الإحسان إلاَّ الإحسان ؟! ولنا إفاضة.

ومن مراجعة لأشعار بعض اللوطيين أو بالأحرى إمامهم نجد أنَّ الغلام المعشوق يدور حول هذا السن ... أو علي وشك (محتلم هنا إشارة إلي سن البلوغ).

حين أوفي على ثلاث، وعشر   لم يطل عهد أذنه بالشنوف
فيه غُنَّة الصّبا تعتليها   بُحَّة الاحتلام للتشريف
حين رامى النساء منه بعين   وطوى أختها من التخويف

والشنوف هو الحلَق، ويُفهم أنَّهم كانوا يضعون حلقاتًا في آذان الصبية إلي سنّ البلوغ. وهذا من التخنث الذى يصاحب مراحل الترف والانهيار الحضاري ويُري الآن في أوروبا وأمريكا ..

وآخر يهبط بالسنّ إلي:

ابن ثمانٍ بعدها أربع   طفل وكهل السن فى ظرفه

ثم يهبط آخر أكثر:

شادن يكتب في اللو   ح لتعليم هجاه
أنَّ الذي يتمني   أمرد من نشئ الدواوين
قد نشر الطومار في حجره   مبتدئًا بالباء والسين

٣- أنها كانت ظاهرة ترف حضاري، ومن ثمّ شاعت في الأعمال الفنية، فلا يكاد يخلو ديوان شاعر ابتداء من العصر العباسي الثاني، ملكًا كان أو أميرًا أو فقيهًا أو متأدبًا من غزل في غلام، وليس من المبالغة القول بأن التراث الأدبيّ

العربي في عشق الغلمان يفوق تراث الإنسانية مجتمعة حتي النصف الثاني من القرن العشرين. بل نقول أنَّ الممارسة اليوم في الغرب أعلي نسبة بدون شك، كذلك فالكتابة قد تكون من ناحية الكمّ أكبر، إلاَّ أنَّ الأعمال الفنية التي تستحق هذه التسمية قليلة جدًا بعكس الحال في الحضارة الإسلامية، حيث

ولاحظ أنَّ الأدب المكشوف أو ما يُسمّى بالبرونجرافى الذى وصلنا كان قاصرًا على الجنس بين الرجل والمرأة .. ولكن بعض أشعار أشهر لوطى في الأدب العربي " أبو نواس " لا يمكن إدراجها في الفن .. فهي تدور حول السروال وحل التكة .. حتى ليمكن وصفها بأدب " التكة ".

تمد بها إليك يدا غلام — أغن كأنه رشأ ربيب
يجر لك العنان إذا حساها — ويفتح عقد تكتة الدبيب
وغزال تشرَّه النفو — س إلي حلّ إزاره
سكبت له منها فخر لوجهه — وأمكن منه ماتحيط به الأزر
اسلس لي حلّ سراويله — من بعد إقضائى إلي اليأس
فقام يسحب أذيالاً منعمة قد مس — ها من يدى ظلمٌ وعدوان
يقول: يا أسفي والدمع يغلبه — هتكت مني الذي قد كان يصطان
فقلت ليثُ رأي ظبيًا فواثبه — كذا صروف ليالى الدهر ألوانُ
فحللنا هناك تكة خز — وحسرنا قباءه الديباجا
مزج الكأس لي غزال أديب — هاشمي أصاب فيها المزاجا

إلى أن ينتهي معه كالعادة بحل التكة

فقمت حتي حللت مئزره — ....
إذا ما وطئ الأمر — د للعلم حصي المسجد
فقد حلّ لنا عقدًا — من التكة تستعقد!
وإنّي رأيت سراويله — لها تكة أشتهي جرها
ولا سيّما وقد غير — ت عقد رباط تكته!
وكنت فيما بين ذا ربما — أدنيت خلخالية من شنْفِه

والشنف هو الحلق في الأذن....

تجد المؤرخ يورد ترجمة أحد المشاهير، وبدون أية رغبة في التشهير أو الادهاش بل بعد أن يشهد له بالعفة والتقوي والصلاح وطيب السيرة، يصرعك بقوله: " وله – غفر الله له - في غلام " ثم يورد بضعة أبيات غزل في غلام قد تكون متقنة أو ركيكة حسب مستوي العصر. ولكن ذلك لا يعني أنّهم جميعًا قد مارسوه، أو أنَّ نسبة الممارسة كانت بنسبة الأقوال الفنية، ولو أدين عمر بن أبي ربيعة بكل بيت قاله بتهمة الزنا لأدمى ظهره الجلد أو لرجم بعد أول قصيدة ..

ولما حاول أمير المؤمنين أن يدين شاعرًا بشرب الخمر استنادًا إلي إجادته وصفها، رد الشاعر بأنَّ معرفة الخليفة بدقة وصف الشاعر أدعي للشبهة، فأسقط في يد الخليفة. فالحديث عن الغلمان وعشقهم إنَّما كان وثيقة مرور إلي المجتمع الثقافي، وبطاقة عضوية في نادى الصفوة، ولذلك لا نتصوّر وقوع، ولا نفهم استدلال مؤرخ اللواط في المسيحية، علي إباحة اللواط من قصيدة خيالية لابن الفرا ، معلم الصبية في " المرية " بالأندلس التى يزعم فيها أنه اشتكي غلامه المتمنع إلي قاضي البلدة، فحكم القاضي بأنَّ الجمال هو للاستمتاع. عندها عانق المعلم فتاه، بأمر المحكمة عناق اللام للألف. وبلغ من اقتناع الغلام بقرار المحكمة أنه طلب من الله أن يغفر له خطيئة التمنّع. هذه خيالات فكرية لحضارة غاربة ولا تنس أنَّ بقايا مدينة " المرية " هذه يحملون مفاتيح بيوتهم في الأندلس الضائع إلى اليوم في منفاهم بالمغرب.

وهذا ليس اعتذار ولا تطييبًا لخاطر القارىء المسلم، فنحن نعتقد أنَّ المجاهرة

أخطر عتلي المجتمع من الفعل ذاته، ونعتقد أن الممارسة موجودة في سائر المجتمعات وفي جميع المراحل أو حتي الرغبة لكي لا نُتهم بالمبالغة. ولكن المجاهرة، ولو " أفلاطونية " هب مؤشر الانهيار الحضاري، وهي من باب فسق مترفيها، فالمهم هو الموقف الحضاري والمناخ الذي تخلقه، وهذا هو أساس التحريم .. وهي الفاحشة .. وسبحان من اختار لفظة الفسق .. فى حديثه عن انهيار الأمم .. فقال أمرنا مترفيها ففسقوا فيها .. وإليك صورة من فسق مترفيها وانحلال الأمم. وردت فى كتاب يُعدّ من أبرز المؤلفات الأندلسية: " طوق الحمامة " من تأليف الإمام الفقيه .. أبى محمه بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦٠٠هـ.

وكان مستقبل الصراع الحضاري في " أندلسنا " قد حُسم لصالح المتخلفين، لولا هبة " متخلفة " من الشاطئ الإفريقي الإسلامي، أخرت إبادة المسلمين.

كما كانت الحضارة المسيحية - الأوروبية لا تزال بحاجة إلي وقت لتستكمل مؤهلات الوراثة. (ولاحظ وصف منحلي الأندلس لمنقذيهم من الشاطيء الإفريقي بالبربر والمتخلفين .. إلخ).. .

وهذه بعض نماذج مما ورد في الكتاب، بل إليك حكاية تداولتها الكتب عن المؤلف، وأوردها الناشر فى عام ١٩٦٤ ميلادية بدون تعليق!!

" مرّ يومًا هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكّة الحطابين بمدينة أشبيليه، فلقيهما شاب حسن الوجه، فقال أبو محمد (ابن حزم ج) هذه صورة حسنة، فقال له أبو عمر: لم نر إلا الوجه فلعل ما سترته الثياب ليس كذلك ".

فقال ابن حزم ارتجالاً:
" وذي عذل فيمن سيأتي حسنه .. إلخ ".

والكتاب وضعه مؤلفه بناء علي طلب صديق كلفه أعزه الله بأن يصنف له: " رسالة في صفة الحب ومعانيه أسبابه وأعراضه وما يقع فيه ".

انتهـي عـصر الاسـتفتاء فـي الصـلاة والإيمـان والجهـاد، بـل حتـي فـي الاعـتزال والكـلام وأصـبحوا يُكلفـون الكتـاب بوضـع مؤلفـات فـي الحـب، وهنـاك بـالطبع مـن ألفـوا بنـاء عـلي " طلـب الجمهـور " فـي أوضـاع الجـنس .. وقـد أحسـن ابـن حـزم إذ حصـر كتابـه فـي مشـاهداته " فلـم يسـتعـرض الحـبّ مـن بـدء التـاريخ " ومـن ثـمّ كانـت فرصـته أكبـر فـي تقـديم شـريحة أكبـر مـن حيـاة مجتمعـه، وإنْ تكـن مجـرّد شـريحة ميكروسـكوبية .. لـذلك اعـترف بتنـاقض أو تبـاين سـبيل عـصره عـن سـبيل العـرب الأقـدمين (الـذين أورثوهم الأندلس فضيعوها): " فسبيلهم غـير سبيلنا ". .

والكتـاب مـن ثلاثـين بابـًا: فـي أصـول الحـب عـشرة، وفـى أعـراض الحـبّ اثنـا عـشر بابـًا. وفـي الآفـات الداخلـة عـلي الحـب ستـة أبـواب، ثـم بابـان فـي قبح المعـصية، والتعفف!!

هـذه حضـارة وصـلت إلـى ذروة التـرف، نضـجت وتعـفنت وآن سـقوطها، خاصّة وحفار قبرها يعيش متربصًا بينها.

وهـذا الكتـاب الـذى وضـعه فـى الحـب، تجـده يكشـف فيـه دون قصـد عـن بعـض ثقافتـه، فهـو يتحـدث عـن المغـناطيس واتفـاق أو اتصـال جـوهره مـع جـوهر الحديـد. وقـوانين الحركـة التـى تحكـم العلاقـة بينهمـا. ثـم ينقـل عـن " أفلاطـون " دون أن يُعـرّف قـراءه بـه، واعـيًا بأنّـه أشـهر مـن أنْ يُعـرّف لقرائـه هـؤلاء. وينقـل مـن قراءاتـه فـي السـفر الأول مـن التـوراة، ويسـتنهج معـلومات شـائعة ولكـن غـير مؤكـدة عـما تسـميه العامـة بـالوحم .. ثـم يتفلسـف فيـورد قصـيدة لـه اشـهرت " بـالادراك المتـوهم " .. حافلـة بالجدليـة قبـل أن تصـل إلـي عـلم " هيجـل " الفيلسـوف الألمـاني فـي القـرن التاسـع عشر.

يقول ابن حزم:

تـرى كل ضـد بـه قائمـًا	فكيف تجد اختلاف المعاني
فيـايهـا الجسم لاذا جهـات	ويـاعرضـًا ثابتًا غير فان

ويقول: " والأضداد أنداد .. والأشياء إذا أنوطت في غايات تضادها ووقفت في انتهاء حدود اختلافها تشابهت ".
ويردد في شعره مبدأ التثنية المنسوب إلي " ماني ".

ويقدم لنا معلوماته في علم الضوء، وهي بالطبع النظرية الخطأ التي سادت فترة طويلة، عن خروج شعاع من العين يقع علي الجسم فيراه. غير أنَّ أخطر ما في حديثه - وإن ضاعت للأسف تفاصيله - هو إشارته لوجود رأى مخالف لذلك هو رأي " صالح غلام أبي إسحاق النظام " الذى " خالف في الإدراك فهو قول ساقط لم يوافقه عليه أحد "!!.

فهل يكون صالح هذا الأب الحقيقي لعلم الضوء الصحيح ؟! .. ولاحظ أنَّ هذا العالم في الضوء الذي " خالف " النظرية السائدة في عصره هو غلام أبى إسحاق أي عبده .. واستنتج ما شئت عن وضع العبيد في دولة المسلمين ووضعهم بعد سبعة قرون في العالم الجديد!!.

هو يدرك تفوق سرعة الضوء علي الصوت، أو بتعبيره سبق الرؤية علي السمع. وهو يشرح لنا الفلك ويعرّفنا أنَّ الزمان هو حركة المادة في المكان وهو تعريف حديث جدًا ولكن أبا محمد لم يبعد عنه كثيرًا عندما قال إنَّ الزمان " اسم موضوع لمرور الساعات وقطع الفلك وحركاته وأجرامه ".

وتعرف منه أنَّ هناك خلافا بين علماء عصره حول الظل وهل هو متمادٍ أم لا ..

وتعرف أنهم كانوا يعالجون الأمراض النفسية بنجاح، كما عولجت بنت أحد القواد التى اشتد بها حب زميل لها من أبناء الكتاب .. " إلي أن تدوركت بالعلاج ".

وهو إفراز مجتمع مفتوح بل هو متحرر إلي حدّ التحلل .. تحتل المرأة فيه مكانة خاصة، وتمارس جميع أوجه الحياة باستثناء القوات المسلحة علي الأرجح، فهو نفسه يقول في ترجمته الشخصية أنَّه تربب " في حجور النساء ولم يعرف غيرهن ولا جالست إلاَّ الرجال وأنا في حدّ الشباب "...

ولنا أن نستنتج أنَّه يدين بتعليمه الذى ألم بكلّ فن، وجعل منه فقيهًا أديبًا ملمًا بكل معرفة العصر من علم الضوء إلي فلسفة الإغريق، يدين بهذا كله إلي معلمات من النساء.. ! .. وهو أيضًا يعطينا فكرة عن الوظائف التي كانت تمارسها المرأة، خلال حديثه عن رسولة الغرام، وليس من باب حصر الوظائف .. ومن ثم ربما كان من حقتا أنْ نقبل هذا التعداد علي سبيل المثال لا الحصر .. فمنهن: " الطبيبة والحجامة والسراقة والدلالة والمشاطة والنائحة والمغنية والكاهنة والمعلمة والمستخفة والصناع فى المغزل والنسيج وما أشبه ذلك"..

وكان الرجال يجلسون مع النساء أو الضيوف مع الرجل وأهله ولا يستنكر ذلك الإمام الفقيه ابن حزم، بل ولا حتي يحتاج منه إلي تعليق، وإنما علمنا ذلك من خلال غضبته علي التحلل الذى جعل رب البيت يتغاضي عن مغازلة ضيوفه لأهله بل وأكثر من المغازلة، فليس الاختلاط هو ما يثير شيخنا، بل " الديوث " كما قال وهو المفرّط في عرضه وعرض أهله وعلنًا!. يقول:

" أذكر أني كنت في مجلس إخوان لنا، عند بعض مياسير أهل بلدنا، فرأيت بين بعض من حضر وبين من كان بالحضرة أيضًا من أهل صاحب المجلس، أمرًا أنكرته وغمزًا استبشعته، وخلوات الحين بعد الحين، وصاحب المجلس كالغائب أو النائم، فنبهته بالتعريض فلم يتنبه، وحركته بالتصريح فلم يتحرك فجعلت أكرّر عليه بيتين قديمين لعله يفطن وهما هذان:

إنَّ إخوانه المقيمين بالأمـ ... ـس أتوا للزنا لا للغناء
قطعوا امرهم وأنت حمار ... موقر من بلادة وغباء

وأكثرت من إنشادها، حتي قال لي صاحب المجلس: قد أمللتنا من

سماعهما، فتفضل بتركهما أو إنشاد غيرهما، فأمسكت وأنا لا أدرى أغافى هو أم متغافل؟.

ونحن بدورنا لا ندرى أمغفل ابن حزم أم متغافل؟.

هو مجتمح شديد الثراء مسرف في الترف والبذخ، إذ يزعم لنا ابن حزم أنَّه لم يشهد عاشقين " قط " - وهو مؤرخ العشاق " إلا وهما يتهاديان خصل الشعر مبخرة بالعنبر، مرشوشة بماء الورد، وقد جمعت في أصلها بالمصطكي وبالشمع الأبيض المصفى ولفت فى تطاريف الوشي والخز "!.

وأهدت شجن جارية المتوكل إليه: " عشرين غزالاً بعشرين سرجًا صينيًا، على كل غزال خرج صغير من ذهب مشبك فيه المسك والعنبر وأنواع الطيب المرتفعة. مع كل غزال وصيفة بمنطقة من ذهب في رأسه جوهرة ياقوت أو زمرّد أو غيرها من الجواهر الجليلة القدر " (التحف والهدايا) . (نشرة سامي الدهان. دار المعارف بمصر).

ملوك أوربا مجتمعين، ما كان بطاقتهم هذا الترف الباهظ، والشائع في جميع عشاق الأندلس الذين يعرفهم ابن حزم!.

وماذا بعد الترف، إلا " الفسوق " وماذا بعد الفسوقة إلا الانحلال. ثم الملل.

وقد رأينا صورة من التحلل في حديث الرجل الذى يسمح بمغازلة الضيوف لأهله! " ولكنه يقدم لنا صورة أبشع وكأنه يتحدث عن سان فرنسيسكو في السبعينيات، أو الستينيات من هذا القرن، حيث أصبح الشخص الثالث، أو الجنس الثلاثي، أو اللغز الإغريقين أو الأسطورة النواسية، شائعة، حتى أورد عنها ابن حزم مثالين في كتابه! وهو أن يعشق الرجل الفتي، ويعشق الفتي زوجة الرجل، والعياذ بالله .. يحدثنا الإمام الفقيه عما:

" دهم عبيد الله بن يحيي الأزدي المعروف بابن الحريري . فإنه رضي بإهمال داره وإباحة حريمه والتعريض بأهله طمعًا في الحصول علي بغيته من فتي كان

علقه. نعوذ بالله من الضلال. حتى لقد صار المسكين حديثًا تعمر به المحافل وتصاغ فيه الأشعار، وهو الذى تسميه العرب الديوث.

وفيه يقول عيسي بن محمد الحولاني:

يا جاعلاً إخراج حر نسائه شركًا لصيد جآذر الغزلان
أني أرى شركًا يمزّق ثم لا تحظي بغير مذلّة الحرمان

وقال هو (ابن حزم) فيه:

ويأخذ ميما باعطاء هاء ألا هكذا فليكن ذو النواهي
ويبدل أرضا تغذى النبات بأرض تحف بشوك العضاه
لقد خاب فى تجره ذو ابتياع مهب الرياح بمجرى المياه

ويزعم أنَّه سمع هذا الديوث في المسجد الجامع (!) يستعيذ بالله من العصمة كما يستعاذ به من الخذلان!!".

وقال آخر:

ما لما بي منك من فرج لا ابتلاني الله الفرج!

هذه صورة لا تحتاج لتعليق... رجل يسأل الله أن يحميه من " العصمة "، ويبعد عنه الفضيلة والعفة، ويدين عليه نعمة الفسوق... وفي المسجد الجامع وبحيث يسمعه الناس!...

فحق عليها العذاب...

أما عن الملل فهاك صورة لا تقل بلاغة وتعبيرًا عن : " أبي عامر محمد بن عامر رحمه الله كان شديد الملل. يحب الجارية ثم يملها في ساعات .. حتى أتلف فيما ذكرنا عشرات ألوف الدنانير عددًا عظيمًا. وكان رحمه الله مع هذا من أهل الأدب والحذق والذكاء والنبل والحلاوة والتوقد مع الشرف العظيم والمنصب والجاه العريض... وأما حسن وجهه وكمال صورته فشيء تقف الحدود

عـنه وتكل الأوهـام عن وصـف أقلـه ولا يتعـاطي أحـد وصـفه. ولقـد كانـت الشـوارع تخلـو مـن السـيارة ويتعـمدون الحضـور عـند بـاب داره فـي الشـارع الآخـذ مـن النهـر الصغـير عـلي بـاب دارنـا فـي الجانـب الشـرقي بقرطبـة إلـي الـدرب المتصـل بقصـر الزاهـرة لا لشـيء إلا للنظـر منـه. ولقـد مـات مـن محبتـه جـوار، كـن عـلقن أوهـامهن بـه، وكـان رحمـه الله يخبرنـي أنَّـه يمـل أمـه فضـلاً عن غـير ذلـك، وكـان لا يثبـت عـلي زي واحـد كـأبي بـراقش، حينًـا يكون في ملابس الملوك وحينًا في ملابس الفتاك ".

ولا أظـن أنَّ هنـاك صـورة أصـدق تعـبيرًا عـن الملـل والتعـفّن الحضـاريّ مثـل هـذه الصـورة التـي تـذكّرنا بأبـاطرة رومـا والطبقـة الحاكمـة فـي " بـومبي " قبـل الزلـزال والغـزو البربـريّ .. وسـقوط الإمبراطوريّـة وانتصـار المسـيحيّة. وعـندما تُصـبح الطبقـة الحاكمـة فريسـة هـذا الملـل، فإنَّهـا تفقـد حتـى الرغـبة فـي الاسـتمرار، بـل إنَّهـا تتمنّـي فـي اللاوعـي أنْ يـأتي مـن يخلّصـها مـن هـذا الملـل بالقضـاء عـلي وجودهـا. الـذي أصـبحت تملـه، كمـا يملّ أبو عامـر اسمه.

وسـبب الملـل واضـح: فـي حكايـة أبـي عـامر، فقـد أوتـي كـلّ شـيء، فلـم يعـدْ يتمنّـي شـيئًا ولا يصـبر عـلي شـيء، ونفـس القاعـدة تنطبـق عـلي الحضـارة، عـندما تصـل إلـي الاختنـاق فـلا انقـلاب تكنولـوجي يفـتح آفاقًـا جديـدة ولا حاجـة فـي إطـار العـصر تفتقـدها الأمـة، فيبـدأ التـرف والانحـلال فالملـل ... وتحـين الفرصـة للعـدوّ المحـروم الأقـلّ تمـدنًا فيضـرب ضـربته ويـدمّر الحضارة الآفلـة.

ونعـرف مـن " ابـن حـزم " أنَّ حمامـاتهم كانـت مزدانـة بصـور مثيـرة تعـشق، فهـو يقـول لصـاحبه الـذى يعـشق طيفًـا رآه فـي المنـام " لـو عـشقت صورة من صور الحمام لكنت عندي أعـذر".

ولا شـك أنَّ القصـور وغـرف النـوم كـان بهـا مثـل هـذه التصـاوير أو أشـدّ!!.

ومـن دلائـل الانحـراف الحضـاري، أنَّـه هـو ووالـده لا يحبـون إلا " شـقراء الشعـر " وهـي الأوربيـة، المسـيحية غالبًـا، أي الخصـم الحضـاري المتربّص .. والناس عـلي

دين ملوكهم فكل " خلفاء بني مروان " ولا سيما ولد الناصر منهم كلهم مجبولون علي تفضيل الشقرة. وقد رأياهم ورأينا من رآهم من لدن دولة الناصر إلي الآن فما منهم إلا أشق]ر".

وهذا التذوّق، لم يكن مسألة شخصية، ومعاداتها لم تكن عنصرية، بل عصبية حضارية وقومية. لأنَّ الأمّة كانت سمراء سوداء الشعر، ومن ثمّ، فهذا الميل للون خصمها الحضاري من الطبيعي أنْ يثيرها، وأنْ يقلقها. ولذلك كانت المقاييس العامة لدي الجمهور ضد الشقر ويرد عليهم ابن حزم بلسان الطبقة المترفة التي انفصلت عن جماهيرها وفقدت الاهتمام بالبقاء الحضاري، منصرفة إلي لذاتها الفردية البيولوجية:

يعيبونها عندى بشقرة شعرها　　فقلت لهم هذا الذى زانها عدو
يعيبون لون النور والتبر ضلة　　لرأى جهول فى الغواية ممتد

ثم يسب اللون الأسود، وهو لون الأمة، ولون المغاربة الذين سينقذونهم من يد الأسبان لفترة .

وأبعد خلق الله من كل حكمة　　مفضل جرم فاحم اللون مسود

وعلي الجانب الآخر من الحضارة الآفلة، في المشرق، سنلاحظ أنَّ أشهر لوطيّ. الذي كان يصول ويجول في بلاط الخليفة العربي. وفي عاصمة العبّاسيّين. قد نسج شعره، من ثلاثة عناصر .. اللواطة .. الخمر .. ثم الكيد للعرب سبّ حضارتهم وتاريخهم وقبائلهم وطباعهم .. ولكن أخطر من ذلك هو سخريته الفاجرة بالدين، تحريضه علي ترك الجهاد .. والدعوة للترف والحضّ علي الفسق والفور من القتال أو فروسيته. وملخّص شعره في هذا الباب سنجده في شعار انطلق في أمريكا في الستينات مؤذنًا بهزيمتهم في حرب فيتنام وهو: Make Love not War أي مارس الجنس بدلاً من الحرب ..

وشعر أبي نواس في السخرية من الدين والفروسيّة وحبّ الحياة في أعنف صور انحلالها هي صفات مطلوبة لتحقيق الهزيمة الحضارية، فهم أصحاب لـذة لا قتال.

وهم يعجبون بجمال العدو.. ثمّ تصرّفاته.. ثمّ دينه.. وسنطيل الاستشهاد هنا، وكما قلنا، ليس المهم أنْ يكفر شاعر أو أنْ ينحل مثقف، بل العجيب هو قبول المجتمع لفكره هذا، وسكوت السلطة بل والإعجاب والمكافأة بشعره وعلي " جمال " فتّه! .. وهكذا نسخ الناسخون هذه الدعوة للهزيمة والتحلل، وانتشر شعره بين الشباب يلقنهم ما يضمن هزيمتهم في المواجهة مع العدوّ!
اقرأ هذا الكفر الصريح .. والهزؤ بكل مقدسات الدين:

فتوى فقيه!

قلْ للعـــذول بحـانة الخمّـــــار والشربُ عند فصاحة الأوتار:
إنِّـي قصدْتُ إلـي فقـيـهٍ عــــالمٍ متنسّــكٍ، حَـبْرٍ من الأحْبـار
متعمّـقٍ في دينــــه، مُتَفَقّــهٍ متبصّــرٍ فــي العـلم والأخبـار
قلــت: النّبيذ تحُــلُّه؟ فأجاب: لا إلاَّ عُــقــارًا ترتمِي بشـــرار
قلت: الصّلاة؟ فقال: فرضٌ واجبٌ صلّ الصلاة، وبتْ حليفَ عقار
أجمعْ عـــليكَ صلاة حَولٍ كاملٍ من فَرْضِ ليلٍ فاقــضِه بنهار
قلت: الصيام؟ فقال لي: لا تَنْــوِهِ واشْـدُدْ عري الإفطار بالإفطار
قلت: التَّصدُّقُ والزَّكـاةُ؟ فقال لي: شئ يُعَـدُّ لآلــــةِ الشُطّــار

قلت: المناسكُ إن حَجَجْتُ؟: فقال لي: هـذا الفُضول، وغاية الإدبـارِ
لا تـأتَيَـنَّ بـلاد مكَّـة محْرِمًـا ولَـوَ أنَّ مكة عند بـابِ الدار
قلت: الطُّغاة؟ فقال لي: لا تغـزُهم ولَـوَ أنَّهـم قربُوا مـن الأنبار
سـالمهمُ، واقْتَصَّ مـن أوْلادِهُـمُ إنْ كنْتَ ذا حَنَقٍ علي الكفّار
واطْعَنْ برمْحِكَ بَطْنَ تلك، وظهر ذا هذا الجهادُ فنعْم عُقْبَي الدار
قلتُ: الأمانـةُ هل تُـرِدَّ؟ فقال لي: لا تَـرْدُدِ القِطمـير من قنطارِ
لا هُـمَّ إلاَّ أنْ تكـون مُضمَّـنًا دينًـا لصاحب حـانـةٍ خمَّـار
فـارْدُدْ لأمـانَتَه عـليْه، ودَيْنَه واحْتَلْ لذاكَ، ولـو ببيْع إزار
قلت اعتزمتُ. فما تـري في عـازبٍ متغـرّبٍ، متقـاربِ الأسفـار؟!
فأجـابني: لـك أنْ تـلَذَّ بزنْيـةٍ من جـارةٍ، وتَلُوطَ بابْنِ الجار
ودنـا إلـيَّ وقال: نُصْحُكَ واجبٌ زيِّـنْ خِصالكَ هذه بقمـارِ!

فـارس الـعـرب:

يـابشْـرُ مـالى والسيف والحـرب   وإنَّ نجْــــمِى للَّهْـوِ والطَّربِ
فـلا تثِـق بـي فـإنـنـي رجـــــلٌ   أكـعٌّ عــــند اللّقـاءِ والطَّلبِ
وإنْ رأيْـت الشّـُـراة قـد طلعُـوا   ألْجَمْتُ مُهْرِى من جانبِ الذّنبِ
ولستُ أدْرى ما السَّـاعدان، ولا الـ   ــتُّرْسُ، وما بيْضةٌ من اللَّـبَبِ
همِّـى إذا مـاحــــروبُــهم غلبتْ   أيُّ الطـريقيْن لـي إلي الـهـرَبِ
لـو كـان قصفٌ، وشـرب صافية   معْ كل خــوْدٍ تختالُ في السُّلبِ
والنــوم عند الفـــتاة أرشـفـها   وجدتني ثـمَّ فـارسَ العــــربِ

يـوم نـسـكٍّ!

فداؤُك نفسى قد طَربْتُ إلى الكاسِ   وتُـقْـتُ إلي شـــــمِّ الْبَنَفْسِـج والآسِ
فهلْ لك فى أنْ نجْعل اليوْمَ نُسْكَنَا   ونِشْـرَبَهَا فى البـيْتِ سـرًا من الناسِ
فإنْ فطِنُوا قلنا: نَصَارَي وعيدُهمْ!   وليس لشرب الـراح في العيدِ من بَاسِ
وإنْ أكبروا الإفطار أو شنعـوا به   أعدْنَا لهم يومًا جديدًا عـــلي الراسِ

أو هــذه الســخرية مــن روح الفروســية التــي أقامــت الإمبراطوريــة التــي يتحلل في ترفها، وأمنها:

إذا عـبأ أبـو الهـيجـا ... ء، للهـيجــاء فـرسانـا
وسـارت رايــة الموت ... أمــام الشــيخ إعـلانـا
وشبت حربها واشتـ ... ـعلت تلهـب نيـرانـا
جعـلنا الـترس أيـدينـا ... ونبـل القوس سوسـانـا
وقـدمـنـا مكـان النبـ ... ـل والمِطْرَد ريحــانـا
فعــادت حربا انســا ... وعـــدنا نحن خـلانـا
إذا مـا ضــربوا الطـبل ... ضـربنـا نحـن عـيدانـا
فهــذي الحـــرب لا ... نعم النــاس عــــدوانـا
إذا ما بدت أزرار جيب قميصه ... تطلـع منها صورة القمر البدر
فأحسن من ركض إلي حومة الوغى ... وأحسن عندي من خروج إلي النحر
فـلا خير في قوم تدور عليهم ... كـوؤس المنايـا، بالمثقفة السمـر
تحياتهم في كل يوم وليلة ... ظـبـا المشـرفيات المزبرة للغبر
اشرب فُديت .. علانية .. أم التستر زانية!
غدوت على اللذات متهتك الستر ... وأفضت بنات السر مني إلي الجهر
رضيت من الدنيا بكأس وشادن ... تحـير في فضله فطن الفكر
وقائـل هل تـريد الحج قلت ... نعم إذا فنيت لـذات بغــداد
فكيف بالحج لي ما دُمت منغمسًا ... فــي بيت قــوادة أو بيت نبـاذ
يـا أحمد المرتجي في كل نـائبة ... قـم سيدي نعصي جبار السموات
ونـــلـه كيفما شـئت اقـ ... ـتضابًــا وعلي موعــــد
وقــل هـذا قضـاء اللــ ... ـه هل تدفـع أو تجحـد

وكـان عـرب صـدر الإسـلام، يقولـون أنَّ الـلآت والعـزي كانتـا رجـلاً وإمـرأة مـن الجاهليـة، فسـقا فـي الحـرم، فمسـخهما الله حجـرين [تعليـق: يقصـد الكاتـب آسـاف ونائلـة].. مـن هـول مـا ارتكبـا ثـم إقـرأ مـاذا يجـاهر أو يفتخـر شاعر عصر الانحلال:

وعاشقين التف خداهما عند إلتئام الحجر الأسود
نفعل في المسجد ما لم يكن يفعله الأبرار في المسجد

أو سخريته من الحديث، والمذاهب والصلاة!

قل للمليح أما تروى الحديث بما خالفت فيه وقد جاءت بـه الصحف
لإنَّ القلـوب لأجنـاد مجندة لله في الأرض بالأهـواء تختلف
فقلت : سـوف ... فقالـوا تـرك الصـــلاة كبيـر
فقلت: أكـــبر منــه ظبـي ينـــالُ غرير
ومـا لمثـلي صـــلاة لأن فسـقي شهـــير
إنَّ الجنـابـــة ممـن جنـــبت منــه طهـور
إذا قمنـــا نصـلي لـم يفـــرق بيننـــا أحـــدُ
احركـيه إذا قـــامـوا والمســـه إذا قعـــدوا
وليس خليفــة الرحمـ ـــن يعدلنـي إذا سجـدوا

ويهـزأ بالقـرآن فى تبرير لوطيته :

بذا أوصى كتاب الله فينا | بتفضيل البنين على البنات!
أحسن من سير علي ناقة | سـير علي اللذة مقصور.

أو هـذه النعـرة الفارسـية التـي لا تقتصـر عـلي سـبّ عـادات العـرب، بـل وتنتهـي بالنـاقوس والرهبـان ولـيس الآذان .. فهـو لا يريـد أنْ يسـمع عـربيًا ولو كان المؤذن:

فلم تـزل تعجم الدنيـا وتعجمها | حتى تخيرها للخبء دِهقـان
فصانها في مغار الأرض فاختلفت | علي الدفـينةِ ازمانُ وازمانُ
ببلدة لم تَصِلْ كلبُ بها طنبـا | إلى خـباء ولا عبس وذبيـان
ليست لذهل ولا شيبانها وطنا | لكنها لبني الأحـرار أوطـان
أرض تبنّى بها كسري دساكره | فما بها من بني الرعناء إنسـان
ومابها من هشيم العـرب عرفجةِ | ولا بها من غذاء العرب خطبان
بتنـا ندين لابليس بطـاعـته | حتي نعـي الليل بالناقوس رهبان
لا تبك للذاهبين فـي الظُعُن | ولا تقف بالمطـيّ في الـدمن..
... من كف طبي .. إلخ
على تماثيل بني بابكٍ | ....
فالعت ذا لا نعت دار خلت | يهيم في أطـلالـها أحمــق
فالعت ذا لا نعت دار خلت | يهيم في أطـلالـها أحمــق

بنات كسري خير ما بنـات
محتجبات غير باديـــات

علي أمثالهـا كانت لكسـري أنـو شـروان تتجـر التجـار
لتلك أبكى، ولا أبكي لمنـزلـةٍ كانت تحـلّ بها هند وأسماءُ
حاشا لدرة أن تُبْنَي الخيام لـها وإنْ تروح عليها الإبـل والشاءُ
قـل لمن يبكي علي رسم درس واقفـًا ما ضـرّ لو كان جلس
دعْ الأطـلال تسفيهـا الجنوب وتبلي عهد جدتها الخطوبِ
بـلاد نبتها عُشـرٌ وطـلحُ واكـثر صيدها ضبـعُ وذيب

ولا تأخذ عن الاعراب لهوا | ولا عيشا فعيشهم جديب
دع الألبان يشربها رجال | رقيق العيش بينهم غريبُ
إذا راب الحليب فبل عليه | ولا تُحرج فما في ذاك حُوبُ
فأطيب منه صافيه شمول | يطوف بكأسها ساقٍ أديب
كأنَّ هديرها في الدُنّ يحكي | قراءة القسّ قابله الصليب
فهذا العيش لا خِيم البوادي | وهذا العيش لا اللبن الحليب
فأين البدو من إيوان كسري | وأين من الميادين الزروب

وهذا يتضمّن السخرية ليس فقط بكل تراث الشعر العربي والفخر باللبن بل حتي بحديث " الفطرة " حيث اختار الرسول اللبن في حديث الإسراء!!!

بل هذا الفاجر جعل القرآن " مزة " لخمره، ولا أدري كيف تسامحت هذه الحضارة إلي حدّ ترديد ونسخ وحفظ مثل هذا القول:

وضع الزق جانبًا .. ومع الزق مصحفًا
وأحس من ذا ثلاثة واتل من ذاك أحرفًا

فإذا انتقلنا إلي الأندلس نجد أنَّ ابن حزم الذي جمع ثقافة عصره، خرج شريدًا لاجئًا بعد أن اجتاح " البربر" مدينته " قرطبة " وكأنَّ تاريخ روما يعيد نفسه،

هو خير نموذج يمكن تقديمه في قضيتنا هذه. ولذا نجد " عشق المذكر " تفوح أدلته في كل أرجاء الكتاب، والحديث عن جمال الذكور يفوق الحديث عن جمال النساء .. بل إنَّ صياغة الكتاب تغلب عليها لهجة التذكير.. وقد يقال إنَّ هذا ضرب من البلاغة، وإن كانت له روايات واضحة التأنيث، دون صعوبة لغوية .. كذلك لا يمكن تأويل الجنس في هذه الرواية:
" وأخبرت عن بعض السقاط الوضعاء، أنَّه كان يضع كتاب " محبوبه " علي أحليله ".

عبثًا نجد مخرجًا .. فهذا واحد قطعنا بذكورته بالدليل الملموس .. فلماذا يقول كتاب محبوبه وليس محبوبته ؟!.

ألا يجعلنا هذا الاسلوب نشك في اختيار ابن حزم، لفظ " الشخص " بدلاً من الفتاة أو الأنثي أو المرأة أو الجارية عندما يتحدث عن نفسه فيقول:
" وما لصق بأحشائي حب قط إلا مع الزمن الطويل. وبعد ملازمة الشخص، لي دهرًا وأخذي معه في كل جد وهزل ".

أمّا أنْ نقول إنَّ " الحب " هنا هو الصداقة ولكن بالتعبير الشرقي، إذ أنَّ أبا محمد غفر الله له، لم يشأ أنْ يجنبنا سوء الظن والإثم فما عليه لو قال وبعد ملازمة المرأة أو الفتاة أو الجارية، أو ما شاء للجزم بأنَّها أنثى! فسلم وسلمنا!..

وهو يقسم بالله أجل الأقسام أنَّه ماحلّ مئزره علي فرج حرام قط، ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزنا مذ عقلت إلي يومي هذا ".

ولا أظن أنَّه كان بحاجة إلي الزنا.. مذ عقل، فالنظام الإسلامي العجيب لا يلجيء شريفًا إلي الزنا أبدًا .. ولكن كنا نتمنى لو وسع دائرة القسم ليطمئن قلبنا.

غير أنَّ الظن لا يغني عن الحق شيئًا .. ولذلك لن نستشهد إلا بالروايات الصريحة التي أوردها " ابن حزم " ويتحمّل مسئوليتها أمام التاريخ والله... .

" وأخبرني بعض إخواني عن سليمان بن أحمد الشاعر أنَّه رأى ابن سهل الحاجب بجزيرة صقلية، وذكر أنّه كان غاية في الجمال .. وامرأة خلفه تنظر إليه .. فلمّا أبعد أتت إلى المكان الذي قد أثر فيه مشيه فجعلت تقبله وتلثم الأرض التى فيها أثر رجله ".

ويزعم ابن حزم " ويُحكى عن الحسن بن هانيء أنه كان مغرمًا بحب محمد بن هارون المعروف بابن زبيدة وأحسّ منه ببعض ذلك فانتهره علي إدامة النظر إليه، فذكر عنه أنّه قال إنَّه كان لا يقدر أنْ يُديم النظر إليه إلا مع غلبة السكر علي محمّد".

ويحكى لنا عن فتي من أهل " قرطبة " من أبناء الكتاب وجلة الخدمة من اسمه " أحمد بن فتح ". " من بغاة العلم وطلاب الأدب .. ثم باعدت الأقدار بينى وبينه، فأول خبر طرأ علي بعد نزولي شاطبة أنَّه خلع عذاره في حب فتي من أبناء الفنانين يُسمي إبراهيم بن أحمد أعرفه (؟!ج) لا تستأهل صفاته محبة من بيته خير وتقدم، وأموال عريضة ووفر تالد .. .."

لاحظ نوعية الاعتراض. ولاحظ أنَّ أغلب العاشقين من أبناء " الكتاب " وبغاة العلم والأدب أو الأمراء وهم الطبقة المثقفة. وأغلب المعشوقين من أبناء القواد العسكر، أو المماليك المجلوبين أو الفنانين.

وحدثني أبو دلف الوراق عن مسلمة بن أحمد الفيلسوف المعروف بالمرجيطي أنه قال في المسجد الذي بشرقى مقبرة قريش بقرطبة الموازي لدار الوزير ابن عمر .. في هذا المسجد كان مقدم بن الأصفر مريضًا أيام حداثته لعشق " بعجيب " فتي الوزير ابن عمر المذكور .. وكان يترك الصلاة في مسجد مسرور وبها كان سكناه، ويقصد في الليل والنهار إلي هذا المسجد بسبب " عجيب " حتي أخذه الحرس غير ما مرة في الليل .. وكان يقعد وينظر منه إلي أنْ كان الفتي يغضب ويضجر ويقوم إليه فيوجعه ضربًا ويلطم خديه وعينيه، فيُسرّ بذلك ويقول: " هذا والله أقصي أمنيتي والآن قرّت عيني ".

وكلمـــا زادت حصـــة " الفتـــى " مـــن الحضـــارة والثقافـــة، قـــلّ غـــيظه وتمنعـه، وأصـبح أكثـر " انفتاحًـا " وتقـبلا لهـذا اللـون مـن الحـب .. قـال ابـن حزم :

" حـدثني أبـو السـرى عـمار بـن زيـاد صـاحبنا عـمن يثـق فيـه، أنَّ الكاتـب ابـن قزمـان امـتحن بمحبـة أسـلم بـن عـبد العـزيز أخـي الحاجـب هاشـم بـن عـبد العـزيز، وكـان أسـلم غايـة فـي الجمـال، حتـي أضـجره لمـا بـه وأوقعـه فـي أسـباب المنيـة إلـي أن تـوفي أسـفًا ودنفًـا. قـال المخبـر: فـأخبرت أسـلم بعد وفاتـه بسـبب عـلته وموتـه فتأسّـف وقـال: هـلا أعـلمتني ؟ فقلـت ولـم ؟ قـال: كنـت والله أزيـد فـي صـلته ومـا أكـاد أفارقـه، فمـا عـلي فـي ذلـك ضـرر. فكـان أسـلم هـذا مـن أهـل الأدب البـارع والتفـنن، مـع حـظ مـن الفقـه وافـر، وذا بصـارة فـي الشعـر، ولـه شعـر جيـد، ولـه معـرفة بالأغـاني وتصـرفها، وهـو صـاحب تـأليف فـي طرائـق غـناء زريـاب وأخبـاره. وهـو ديـوان عجيـب جـدًا. وكـان أحسـن النـاس حلقًـا وخلقًـا. وهـو والـد أبـي الجعـد الـذي كـان سـاكنًا بالجانب الغربي من قرطبة ".

ولا أظـن أنَّ ابـن قزمـان قـد عـشق " أسـلم " هـذا بعـد أنْ أنـتج كـل هـذا .. وإنمـا الأرجـح أنَّـه كـان فـي شـبابه عـندما فتن بـه. وتـأريخ ابـن حـزم لأسـلم بعدما اشـتهر وأنجـب أبـي الجعـد. الـذي يبـدو أنَّـه كـان معاصـرًا وربمـا كـان ابـن حـزم مـن سـن أبـي الجعـد هذا المشـهور والـذي لـم يجـد ابـن حـزم حاجـة إلي تعـريفنا بـه بأكثر من تحديد مكان مسكنه.!!...

وإذا كانـت قصـص الغـرام العـفيف أو الرومانسـية أو الأفلاطونيـة حظـي بإعجـاب ابـن حـزم، فهـو لا يسـتنكر إلا الروايـات التـي ينهـار فيهـا العاشـق فيـدمّر حياتـه وسمعـته قـال عن صـديق: " كنـا نعـرفه كلنـا مـن أهـل الطلـب والعـناية والـورع وقيـام الليـل .. وقـد كنـا نتجنـب المـزاح بحضـرته .. قـد أحكـم القـراءات إحكامًـا جيـدًا، واختصـر كتـاب الأنبـاري فـي الوقـف والابتـداء اختصـارًا حسـنًا .. إلـخ فلـم يمـضِ ألـزمن حتـي أمكـن الشـيطان مـن نفسـه، فـامتحن بهـذه البليـة مـع بعض الغـلمان، فـرفض مـا كـان معـتنيًا، وبـاع أكثـر كتبه واستحال استحالة كلّية، نعوذ بالله من الخـذلان ".

وابن حزم لم يورد الكثير عن غرامياته، إلا بضع روايات واحدة منها التي تعنينا هنا هي " حبّه " الشديد وتلازمه في سنوات الصبا والمراهقة وصدرًا من سنوات الشباب لصديق " غلامي " المزاج .. وهذه هي الرواية:

" وكنت أنا وهو متقاربين في الأسنان، وكنّا أليفين لا نفترق وخدين لا يجرى الماء بيننا إلا صفاء .. يصفه هكذا: " وكان رحمه الله كأنه قد خلق الحسن علي مثاله، أو خلق من نفس كل من رآه. لم أشهد له مثلاً حسنًا وجمالاً وخلقًا وعفةً وتصاونًا وأدبًا وفهمًا وحلمًا ووفاءً وسؤددًا وطهارةً وكرمًا ودماثةً وحلاوةً ولباقةً وإغضاءً وعقلاً .. إلخ".

وهذه رؤية عين محبّ والله.. .

وصديق الروح هذا طوحت به الأيام بعد سقوط قرطبة ونهب البربر (البدو الأكثر خشونة والأقل حضارة وترقًا وانحلالاً والذين أنقذوا الأندلس لأكثر من مائتي عام أخري ولكن الحضارة كلها كانت قد دخلت منحني الانهيار) المهم صديق الروح هذا يلقي ظلاً من الشك علي نوعية " المحبة " فقد مات من عشق فتي في جيش الغزاة!!.

وقد سأله المحدث لابن حزم عن سبب نحوله وشحوبه فقال صديق ابن حزم: " نعم! أخبرك أنّي كنت في باب داري بقديد الشماسي في حين دخول علي بن حمود، قرطبة، والجيوش واردة عليها من الجهات تتسارب فرأيت في جملتهم فتي لم أقدر أنَّ للحسن صورة قائمة حتي رأيته (نفس عبارات ابن حزم في وصفه هو) فغلب علي عقلي، وهام به لبّي، فسألت عنه فقيل لي: هذا فلان بن فلان من مكان جهة كذا، ناحية قاصية عن قرطبة بعيدة المأخذ، فيئست من رؤيته بعد ذلك، ولعمري يا أبا بكر لا فارقني حبّه، أو يوردني رمسي " فكان كذلك، وأنا أعرف ذلك الفتي وأدريه، وقد رأيته ولكني أضربت عن اسمه لأنّه قد مات والتقى كلاهما عند الله عز وجل. عفا الله عن الجميع ".

ونقفز فوق تأكيد " ابن حزم " الذي كان يعيش فترة الإرهاب أو التعصب أو

التطهــر أو مــا شــئت التــي فرضــها البربــر فـــي محاولـــة لوقــف عجلـــة الإنـهيـار. ولـيس يعـنينا إنْ كـان أبـو عـبد الله أو أبـو محمـد قـد ارتكبـا الفعـل، فـإن الفكـر عـندنا هـو الأهـم وهـذا المؤلـف عاشـق أو محـب لأبـي عــبد الله وأبـو عــبد الله هـذا يـري الجيـوش زاحفـة تقـتحم بلـده وتنتهـب داره وقومـه فيـذهل عـن هـذا كلـه ويخـر صاعـقًا فـي عــشق جنـدي مـن الغـزاة. ولا يجـد أبـو محمـد (ابـن حـزم) فـي ذلـك مـا يعـيب، ولكنـه يحـرص عـلي تأكيـد " أن أبــا عـــبد الله مــا وطــيء حرامًــا قــط " وذلــك بــالطبع يبــريء ســاحة أصــدقاء أبى عبد الله! ..

وكـان أبـو عــبد الله ذكيًـا ومخلصًـا فأعـدم كـل مـا قـد يريـب حبيـب صـباه أو يثير فيه الريبة، فقد قال ابن الحزم:

" إنَّـه لمـا عـاد إلـى قرطبـة، زار أخـاه (أبـو عــبد الله) وسـأل عـنـه: " ثـمّ سـألته عن أشـعاره ورسـائله، إذ كـان الـذي عـندي منـه قـد ذهـب بالنهـب فـي السـبب الــذي ذكرتــه فـــي صـــدر هـــذه الحكايـــة (غـــزو البربـــر لقرطبـــة ج) فــأخبرني عــنـه أنَّـــه لمــا قربــت وفاتــه وأيقــن بحضــور المنيـــة، ولــم يشــك فــي المــوت دعـا بجميـع شعـره، وبكتبـي التـي كنـت خاطبتـه أنـا بهـا، فقطعهـا كلهـا ثـم أمـر بـدفها، قـال أبـو عـمر، فقلـت لـه يـا أخـي دعهـا تبقـي. فقـال لـي: إنـي أقطعهــا وأنــا أدري أنـــي أقطـــع فيهـــا أدبًـــا كثيـــرًا، ولكــن لــو كــان أبـــو محمـــد بعيني حاضرًا لدفعتها إليه تكون عنده تذكرة لمودتي ..".. إلخ.. .

وأي مودة من عـاشق الجنـــود ؟!.

وكيف كان تجاوب أبي محمد (ابن حزم) مع هذه المودة ؟!

غــفر الله لأبــي عــبد الله هـو كـان أعـلم بمـا فـي الرسـائل ممـا لا يجـوز أنْ تتناقله يد ثالثة! .. .

وفلســـفة أبـــى محمـــد هـــي أن الأصـــل فـــي النـــاس " الفســـوق " فالصـــالح مــنهم مــن إذا ضــبط انضـط .. أمــا الأصـل فهـو الانطـلاق فـي تلبيـة الغــريزة الجنسـية وهـو يقـرر حقيقـة غــريبة أنَّـه " مــا مــن رجـل عــرضت لـــه امــرأة جميلة ولم يكن ثم من مانع إلا وقع في

شرك الشيطان واستهوته المعاصي .. وما من إمرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة إلا وأمكنته، حتمًا مقضيًا، وحكمًا نافذًا لا محيد عنه البتة !!".

والعياذ بالله !

نعم .. نحن نصدقه، وفي حدود الطبقة التي عاش بينها، ونقل خبرتها وأخلاقياتها في عصر إنحدارها وزوالها. فهو الكاتب اللاجيء الذي سقطت دولته ومدينته، وتشرّد أهله .. هذه هى الطبقة التي لا تتورع عن شهوة أو معصية. " حتمًا مقضيًا " زوالها " وحكمًا نافذًا لا محيد عنه البتة " " وشيء أصفه لك تراه عيانًا، وهو أني ما رأيت قط امرأة في مكان تحسّ أنَّ رجلاً يراها أو يسمع حسّها، إلا وأحدثت حركة فاضلة كانت عنها بمعزل ".

ويضرب مثلاً على " العفة ". عندما كانت لا تزال في الدولة بقية من المقاومة الحضارية، مكنت " الأمير" من مقاومة نفسه بعد جهد عنيف!... .

قال ابن حزم عن .. عن .. عن أبي عباس: " أنَّ الإمام عبد الرحمن بن الحكم غاب في بعض غزواته شهورًا وثقف القصر بابنه محمد الذي ولي الخلافة بعده ورتبه في السطح وجعل مبيته ليلاً ومقوده نهارًا فيه لم يأذن له بالخروج البتة. ورتب معه في كل ليلة وزيرًا من الوزراء وفتي من أكابر الفتيان يبيتان معه في السطح. قال أبو العباس: فأقام على ذلك مدة طويلة وبعد عهده بأهله وهو في سن العشرين أو نحوها، إلي أنْ وافق مبيتي في ليلتي في نوبة فتي من أكابر الفتيان، وكان صغيرًا في سنّه وغاية في حسن وجهه. قال أبو العباس: فقلت في نفسي: إني أخشي الليلة على محمد بن عبد الرحمن الهلاك بمواقعة المعصية وتزيين إبليس وأتباعه له قال: ثم أخذت مضجعي في السطح الخارج ومحمد في السطح الداخل المُطلّ على حرم أمير المؤمنين، والفتي في الطرف الثاني القريب من المطلع فظللت أرقبه ولا أغفل وهو يظن أني قد نمت ولا شعر بإطلاعي عليه. قال: فلما مضي هزيع من الليل رأيته قد قام واستوى قاعدًا ساعة لطيفة ثم تعوّذ من الشيطان ورجع إلي منامه. ثم قام بعد حين ولبس قميصه واستوفز ثم نزعه عن نفسه وعاد إلي

منامه، ثم قام الثالثة ولبس قميصه ودلي رجليه من السرير وبقى كذلك ساعة ثم نادى الفتي بإسمه فأجابه، فقال له: إنزل عن السطح وإبق في الفصيل الذي تحته. فقام الفتي مؤتمرًا له. فلما نزل قام محمد وأغلق الباب من داخله وعاد إلى سريره . قال أبو العباس: فعلمت من ذلك الوقت أن لله فيه مراد خير ".

ونعود مرة أخرى إلي بغداد في الجبهة الشرقية، فنجدهم يتهادون بالغلمان .. والظاهر أنّ محمد بن علي الشعبي كان مورد غلمان، ففي كتاب التحف والهدايا أنه أهدي إلي البحتري: غلامًا فاشتغل به أيامًا عن حضور مجلسه، واعتذر البحتري بأنّه انشغل بالغلام.

حملتُ عليه في سبيل فُتُوّةٍ هي الثغر خلف المجد بل تفضل الثغرا
.... وقد كنت لي خلا فأصبحت لي صهرًا!

ثم أهدي له نبيذًا يحمله غلام حسن الوجه، فأخذ النبيذ وراود الغلام عن نفسه وكتب يعتذر لسيد الغلام:

أبا جعفر كان تجميشنا غلامك إحدي الهنات الدّنية
بعثت الينا بشمس المدام تضئ لنا مع شمس البرية
فليت الهدية كانت رسولا وليت رسولك كان الهدية
فوهب له الغلام لما قرأ الأبيات

وأهدي الحسن بن وهب إلي أبي تمام غلامًا جميلاً فشكره أبو تمام متغزلاً في جماله الأعجمي ووعد بتخفيف حمرة خديه بريقه! (كتاب التحف والهداية للخالدين). وأبو تمام اشتهر بحب غلام اسمه عبد الله!...

وروي البحتري أنّه رأي عند أبي جعفر محمد بن حميد بن عبد الحميد " غلامًا "، أعجبني فعملت إليه شعرًا استهديه منه!!!.. .

وتأمل رحلة الحضارة من تطهر العرب الفاتحين إلي تهتّك الورثة المنهارين: وطلب رجل من معن بن زائدة أن يحمله أي أن يهديه ما يركبه فأمر الأمير العربي بأن يرسل إليه كل ما يركب، من حصان إلي بغلة إلي سفينة .. وجارية .. إلخ ".

فلما سمع القصة الصاحب بن عباد قال: رحم الله معنا، لو علم أنَّ الغلام يُركب لوهبه غلامًا أيضًا، ولكنه كان عربيًا محصنًا لم يُدنّس بقاذورات العجم ..!.

أوروبا واللواط:

نعود لأوروبا المسيحية. فنجد مؤرّخها يقسم الموقف من اللواط إلي المراحل التالية: " حتي القرن الثالث: لا معارضة .. من الثالث للسادس: موجة معادية، من السادس إلي العاشر تجاهل، من الحادي عشر ومع ظهور المدن انتشر اللواط في الأدب، وانتشر اللوطيون في كل مكان وصارت الموضة المقبولة، من النصف الثاني للقرن الثالث عشر ظهر العداء للواط ".

وقال المؤرّخ أنَّه لا يعرف السبب، وسنقدمه له.. .

وهذا حقا وضع محرج ؟! ولكن اكشافه في هذه الفترة بالذات وبعد غفلة ١١ قرنًا، هو موضع السؤال الذي نجيب عليه .. .

فحتى القرن الثالث كانت أوروبا تعيش امتداد الانهيار الحضاري الروماني الذي قلنا إنَّ الكنيسة دخلت فيه ولم تثر عليه إلا نظريًا في رفض الجنس كله، كما أشرنا، أمَّا في الفترة من القرن الثالث إلى السادس، فربما كانت انتفاضة، أو مع تصاعد خطر ونفوذ البرابرة، الذين كانوا أكثر تشددًا بحكم تخلفهم الحضاري ..

من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، مرت أوروبا بفترة الهزيمة الشاملة والعجز حتى عن الإعجاب أو التعلم، ثم فترة الافتتان والرغبة في مجاراة الحضارة المتفوقة، ومن ثمَّ محاولة السلوك المماثل وفي هذه الفترة التي ينعدم فيها الحس الحضاري، الحس بالتحدّي، وينعدم فيها المفجر الذاتي، فإن المفتون حضاريًا، لا ينقل العلوم ولا التكنولوجيا بل السلوك الحضاري، والجانب المترف منه بالذات، كما يعود فتياننا - اليوم - من أوروبا وأمريكا بشعر طويل، و " بايب " وغويشة في اليد، وبنطلون ضيق، وشرب الخمر، والجيرل فيرند، ولا يستفيدون من التقدم العلمي أو التكنولوجي هناك. ففي القرن العاشر كانت الحضارة الإسلامية في ذروتها، وأوروبا فى ذروة الافتتان والرغبة في المسايرة.

ولكن الحروب الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر احتاجت إلي التعبئة الشاملة في أوروبا، بقدر ما أثبتت هذه الحروب، أنَّ أوروبا قد استجابت بنجاح

للتحدي الحضاري الإسلامي، فأصبح وعيها به أكبر من وعي المسلمين، وإصرارها علي قهره لا أقول أكبر من وعي المسلمين به فحسب فقد بدا أنَّ الوعي مفقود تمامًا علي الجانب الإسلامي لولا تحرّك العثمانيين المتأخر جدًا .. ولذا كانت المبادرة من الجانب الأوروبي، سواء في الأندلس أو في غرب آسيا. والتعبئة المصاحبة للظهور الحضاري تحتاج إلى مفاهيم خلقية خاصة، منها التقشف الجنسي أو الانضباط الجنسي، وتبنى المقاييس التي تفضي إلى قوة المجتمع، وفي مقدمتها رفض اللواط، فهذا الذي وصفه أفضل دارس لتاريخ اللواط في الغرب، بالانقلاب غير المفهوم من التسامح إلي التعصب الشديد، من إباحة اللواط والتفاخر به إلي ذمه وتحريمه والتنكيل المروع بمن يمارسه .. ووصل ذلك إلي ذروته في القرن الثالث عشر واختفي كل حديث " ودى " أو حتي محايد أو علمي أو فني عنه إلى القرن العشرين.(١)

غير مفهوم له. لأنه لم يصل إلى التفسير الحضاري الذي نطرحه، فالتعبئة ضد المسلمين كانت تستلزم الإثارة ضدهم وضد حضارتهم، بالتركيز علي الجانب المسلكي، جانب الترف، أو جانب " الانحلال " كما تطلق عليه الحضارة الصاعدة الأكثر خشونة .. فهي لا تستطيع أن تنتقد الجانب المادي أو العلمي، لأنّ تفوق ذلك واضح وملموس ولا سبيل للتشكيك فيه، فلا أحد يستطيع إقناع الشاب المسلم اليوم أن أوروبا متخلفة في العلم أو المواصلات أو الزراعة ولكن من السهل مهاجمة المجتمع الغربي بأنه منحل فاسق، لوطي، زانٍ، داعر، ليس له قيم ولا تقاليد ولا آداب. إلخ ... وهذا ما فعلته روسيا السوفيتية والصين الشيوعية .. ومن قبلهما جميعًا، أوروبا - الصليبية بالنسبة للحضارة المتفوقة، وقتها.

رسالة امبراطور القسطنطينية إلكسيوس إلى حاكم الفلاندر وهي الرسالة التي

(١) " ما بين ١٢٥٠- ١٣٠٠ م تحول اللواط من فعل مباح في كل أوروبا إلي جريمة عقوبها الموت في معظ أوروبا ولأول مرة فى تاريخ الغرب ".

تحولت إلى منشور وزع في أوروبا لتحريك الحمية لقتال المسلمين، وأثمرت أول حملة صليبية، وما أعقبها من حروب دامت لأكثر من قرنين، ولكنها تركز علي التهم الأخلاقية، فالمسلمون يغتصبون الأمهات أمام البنات، ويأمرن البنات بالغناء ثم يغتصبن البنات علي غناء الأمهات، " تماما كما قرأنا في الأسفار ولكن أهم من ذلك أنهم يمارسون اللواط مع جميع الأعمار، مع الغلمان والرجال، بل ورجال الدين، والأساقفة. ياللهول! هذا ما لم يسمع به بشر .. نعم!! إنهم يلوطون بالأساقفة، قد مات أسقف خلال هذا الفعل الشنيع!! .

ولم يكن من المعقول أنْ يُستباح الافتراء هكذا، لإثارة الحمية ضد " اللوطيين المنحلين المسلمين "، ثم تطلق الحرية للنخبة الأوروبية، المغزوة فكريًا، المنحلة، المتعاطفة، أو حتى المتخاذلة في أعماقها أمام الحضارة الإسلامية لقناعتها العلمية بتفوق هذه الحضارة !!!..

أصبح الخطر الذي يواجه أوروبا، هو الخطر الخارجي، المتمثل في الدول الإسلامية، والخطر الداخلي، المتمثل في النخبة المتأثرة بالمسلمين، أو الأقليات المخالفة للتيار العام الكاثوليكي الذي يشن الحروب الصليبية، التيار المتعطش لقتال المسلمين وبقدر ما اكتشف هذا التيار، صلابة وتفوق العدو الإسلامي بقدر ما اشتدت حاجته للوحدة الداخلية، فاشتدت نقمته علي المنشقين في الداخل. وبذلك طويت صفحة التسامح أو " التحضر" التي سادت في القرن العاشر والقرن الحادي عشر وفترة من القرن الثاني عشر، أي في عصر الانبهار بالحضارة الإسلامية السائدة .. وبدأت تصفية المخالفين، وظهرت محاكم التفتيش، وتحكم رجال الدين (١) .. وخضع المجتمع لعقيدة رسمية واحدة، هي عقيدة السلطة، تسيره في اتجاه واحد، هو مجابهة التحدي الإسلامي، وتصاعد اتهام المسلمين

(١) في القرن الثالث عشر كان يوجد في بريطانيا رجل دين من بين كل اثني عشر ذكرًا!!.

بارتكــاب كـل خطيــة جنسـية، وأنَّهـم الأصـل فــي عــادة اللــواط. ورثوهـا عـن أســلافهم مــن ســكان الشــرق الأوســط، أهـل ســدوم وعــامورا أو قــوم لــوط. فـرغم أنـه يسـمح لهـؤلاء السـفلة بـأكثر مـن زوجـة فـي عـقيدتهم، فـإن ذلـك لا يكفـيهم بـل يمارسـون ذلـك الفعـل الخبيـث مـع الرجـال، فـلا عجـب أنْ حـلّ غــضب الله عــليهم ولعـنتهم الأرض " (نـصّ مـن القـرن الثالـث عشـر). " إنَّ محمـدًا عـدو الطبيعـة. نشـر رذيلـة اللـواط فـي قومـه الـذين يعـتدون لـيس فقـط عـلي الإنـاث والـذكور بـل حتـي عـلي الحيوانـات، حتـى أصـبح معظمهـم كالبهـائم غـارقين فـي الشـهوة الدنسـة، لا يقـدرون عـلي مقاومـة خطيئـة بـل تستعـبدهم شـهوات الجسـد " (مـن كتـاب تـاريخ الشـرق تـأليف Jacaues de Virty القرن الثالث عشر).

" طبقًا لـدين المسـلمين، فـإنَّ أيّ فعل جنسـي مهمـا كـان لـيس فقـط مباحًـا، بـل ومرغــوبًا فيــه، ويسـتحن. ولـذا فـإلي جانـب العـدد الـذي لا يُحصـي مـن المومسـات يُوجـد لـديهم مـأبونون بأعـداد هائلـة. يحلقـون لحـاهم، ويصبغـون وجـوههم ويرتـدون ملابـس النسـاء. ويلبسـون أسـاور فـي أيـديهم وأرجلهـم، ويضعــون سلاسـل ذهبيـة حـول أعـناقهم كمـا تفعـل النسـاء، ويحلـون صدورهم بالمجوهرات ويبيعـون أنفسهم

للخطيئة بأن يعهروا ويعرّضوا جسدهم، ويعاشرهم المسلمون كما نعاشر نحن النساء بل وعلانية. والمسيحيون هناك يربون لهم الأولاد المسيحيين، ويجيدون إطعامهم ليزداد جمالهم، فإذا رآهم المسلمون الشهوانيون، فاسدو الطبيعة، يتحرقون شهوة لهم، ويتسابقون على شرائهم، ليتمكنوا من ممارسة شرورهم معهم ".

ولو غيرنا كلمة المسلمين فقط ووضعنا بدلاً منها الأوروبيين أو الأمريكيين لأصبح النص يمكن نسبته إلي صحفي مسلم عن الهيبز أو البانك أو اللوطيين في امستردام أو بيكاديللي أو القرية في نيويورك أو سانت مونيكا في كاليفورنيا.

وكما يُقال: آمن أولاً فتحدث لك المعجزة .. نجد الأسبان الذين اتهموا المسلمين بالحق أو بالباطل بممارسة اللواط ومن ثم استحق الأسبان النصر عليهم بتطهرهم .. واستمر انتصارهم حتى عبروا المحيط في مطاردتهم لأعداء الله الذين يرتكبون الخطيئة الملعونة فإذا بهم يصلون إلى سدوم ذاتها أو علي الأقل هذا ما وصلنا من المصادر الأسبانية عن واحد من الشعوب التي أبادها الأسبان واستأصلوا حضارتهم نهائيًا؛ وإذا كان لنا الحق في أنْ نرفض بإزدراء كل التاريخ الذي زيّفه الأسبان عن ضحاياهم فإن ما كتبوه عن شعب المايا يعطي فكرة عن نوع الدعاية التي روجوها بين جنودهم المفعمين إيمانًا وجهلاً وتعصبًا فقد زعم الأسبان أنَّ حضارة المايا كانت لاتكتفي بإباحة اللواط بل تفرضه فرضًا بقوة القانون " فقد كان الغلمان يُمنعون من ممارسة الجنس إلا مع غلمان حتى يصلوا إلي نضوج مرحلة الزواج ". وروج كاتب أسباني: " انظروا إلي أي مدي يتباهون بمثل هذه الفاحشة إنهم يحملون ميدليات ذهبية منقوش عليها ذكرًا يقبل ذكرًا ويمارسان فاحشة اللواط" (نفس ما وجد في تراث الإغريق!) وزعموا أنَّ مدير المسابك الذهبية الملكية الذي كان يتلقى المنهوبات من العالم الجديد ويزيل دم الأطفال والنساء

والرجال من عليها قبل أن يقذفها إلي الصهر ليعاد سبكها تحمل صورة ملك أسباني يظلله الصليب .. زعموا أنّه إستاء عندما رأي ميدالية من هذا النوع فلم يصهرها مع غيرها بل حطمها بالشاكوش (الجنس في التاريخ).

إنْ صحّ ما يقوله هذا التقرير الأسباني فيبدو أنَّ هذا الشعب كان يعيش تحت رعب زيادة السكان لأنَّه إلي جانب محاولته تأخير زواج الشباب " .. كان يذبح هؤلاء الشبان بمعدل مائة شاب يوميًا قربانًا للآلهة "!!.

علي أيّة حال لم يستطع هذا الشعب بكل حضاراته المتخلفة ودياناته الدموية أنْ يحقق الإبادة الوحشية التي أنجزها الأسبان فقد كان « تعداد المكسيكيين واليوكاتان ٢٥ مليون نسمة عند الغزو الأسباني فهبط هذا العدد إلي ٧ ملايين عام ١٦٥٠ ولم يبق من السكان الأصليين غير المولدين إلا مليون ونصف مليون " أما بيرو في فكانت عشرة ملايين هبطت إلي ٢ مليون هندي عام ١٦٥٠ " (الجنس في التاريخ).

وروت مؤلفة الجنس في التاريخ أنَّ الأسبان ألقوا أربعين مأبونًا للكلاب تنهشهم حتى الموت ص ٢٧٦.

وخلال الزحف في العالم الجديد كان يجري إبادة شعب الأزتيك تحت إدعاء مطالبتهم بـ " ترك عبادة الأصنام، وقف الذبائح البشرية للآلهة .. ولا يسرقون ولا يلوطون .. " وتعلق المؤلفة أنَّ إمبراطور الأزتيك أبدي دهشته لأنَّ كل هذه الجرائم كانت ممنوعة ومعاقب عليها بالسحل والحرق حيًا في دولة الأزتيك " ولكن كما قلنا كان المهم هو إثارة الرغبة في القتل في قلب الجندي الأسباني المؤمن الذي شحن ضد هذه الآثام.

وكان الحاكم الأسباني يقول لسكان المستعمرات في أمريكا اللاتينية: اعلموا أيها الهنود أن الله سلطنا عليكم بسبب الرزيلة التي ارتكبها أجدادكم وما

زال الكثيرون منكم يرتكبونها. إنَّ الله سيبيدكم وشيكا " ومن نفس المصدر أنَّ الأسبان كانوا يعتقدون وفقًا لما علمهم قساوستهم وقادتهم أنَّ حج المسلم إلي مكة لا يكتمل إلا إذا نكح الحاج الغلمان الذين يسوقون جمله والجمل أيضًا! وقالت المؤلفة أيضًا إنَّ الأسبان كانوا الأشد قسوة في محاربة اللواطة في أسبانيا أو العالم الجديد. وتقول ربما كان ذلك الموقف رد فعل لذكريات الحكم العربي، عندما كان المأبون من المناظر المألوفة .. وتشهد بنجاح التطهر الأسباني فتقول أنَّه رغم طول الرحلة للعالم الجديد في البحر وطول الغيبة هناك لم تسجّل سوب حادثتين كان المتورطون فيها من الألمان والطليان وقد أمر القائد الأسباني بإحراق الطليان الخمسة الذين اتهموا باللواطة، وتمّ ذلك وسط التهليل والتصفيق " (الجنس في التاريخ).

حتى عام ١٨٢٥ كان الفرنسيون يحرقون اللوطيين أحياء. وفي بريطانيا كانت العقوبة هي الإعدام حتي ١٨٦١ ".

ويقول مؤلف تاريخ اللواطة: إنَّ عداء اللوطية (في أوروبا) في القرن السادس عشر كان ثمرة الموقف المتحوّل الذي بدأ في القرن الثالث عشر، ولم تكن هناك حضارة في القرن الثالث عشر في العالم كله عنيفة في عداوتها للواطة مثل غرب أوروبا ومع ذلك كان الفعل منتشرًا (ص٧٩).

لايهم كما قلنا، المهم موقف المجتمع والنظام، وهذه حضارة كانت في خط الصعود ومن ثمّ كان لابد أنْ تستنكر اللواطة وتتهم بها أعداءها ..

" في عام ١٦٣١ قال المدعي العام ضد إيرل أوف كاستلهيفن: " إن جريمة اللواطة هي من النوع الذي إذا لم يُعاقب عليه يجلب غضب السماء علي المملكة (بريطانيا) وقد اتهم اللورد بممارسة اللواط مع خادمه، ولكن التهمة الحقيقية كانت كاثوليكيته، وكان ذلك في عنفوان مطاردة الكاثوليك!.

" وفي ٤ يونيه ١٥٩٩ أحرق أسقف لندن كل الكتب المخالفة للتعاليم الصحيحة، كما حددها.

وكما اتهم الأسبان المسلمين؛ وسكان العالم الجديد باللواط؛ نجد أنَّ قاموس الإنجليز، أصبح يعني بلفظة " لوطي " عميل لملك أسبانيا ..

ولا يمكن المبالغة في الرعب والخزي من اللواطة في تلك الفترة (عصر النهضة ١٥٠٠ - ١٦٥٠). كانت اللواطة جريمة عقابها الإعدام.

" وقال جيمس الأوّل لابنه إنَّ اللواطة من الجرائم التى يلتزم التاج بعدم التهاون معها أو العفو ".

" وفي عام ١٥٣٣ أمار البرلمان البريطاني (بتوجيه من هنري الثامن) قرارًا بفرض عقوبة الإعدام ومصادرة الأموال لمن يدان باللواط أو الوطء في الدبر ".

وعندنا كان شهاب الدين بن حجر (!!) يقول:

ومليحة راودتها فتعللت بالطمث وهي تقول كالمعذور
هل من موضع خال فقلت لها اسكتي فمواضعي ليست تُعدّ ودوري

وفي ١٧٦٩ كتب المعلق القانوني الإنجليزي: " إنَّها جريمة أفظع من أنْ تُسمّي.. إنَّها جريمة ضد الرب والدين ".

وكانت الاتهامات الرائجة في بريطانيا ضد خصوم النظام في عصر النهضة هى: " اتباع البابا " " عدو المسيح " " عميل ملك أسبانيا " " لوطي ".

ويقول مؤلف: الشذوذ الجنسي في عصر النهضة فى بريطانيا:
" لم يكن الحزب البروتستانتي يفعل أكثر من إستعارة نفس الأسلوب الذي أرسته الكنيسة الكاثوليكية في مهاجمتها للمنشقين عليها في القرن الثاني عشر وهى ربط الانحراف الديني بالانحراف الجنسي .. .

ومن بين كوم التهم التي كالها الفرنسيون المستعمرون للمغاربة تبريرًا لغزو بلادهم في القرن العشرين؛ لم تكن تهمة اللواطة بالتي تفوتهم؛ فقد كتب " جوليس أركمان " عضو البعثة العسكرية الفرنسية في فاس: إنَّ اللواطة ليست رذيلة في مراكش، إنَّها تكاد تكون فضيلة، إنَّهم لا يتحرجون منها إلي حدّ أنَّهم يتواعدون وسط اجتماع مجلس الوزراء!.

ونضيف أنّ هذا النص ورد في كتاب " قهر المغرب " الذي أثبت فيه مؤلفه " دوغلاس بورش " إنَّ الماريشال ليوتى قاهر المغرب كان لوطيًا كامل اللواطة، ولكنه لم يذكر علاقة الفاضل أركمان بالمارشال اللوطي أو ليوتي!

وهذا يوضّح لنا الدورة العجيبة للحضارة، فلا يحق للمتفرنجين في مجتمعنا اليوم أنْ يغضبوا من الذين لا يرون في الغرب إلا الانحلال، ولا يرون فى مجتمع مثل المجتمع الأمريكي أو البريطاني، إلا حفنة الغلمان المتخنثين ويغفلون كافة مظاهر الجدية والاتقان والإبداع!!! .

عفوًا !!

فهذه النظرة " الضيقة " هى التى حررت أوروبا وبنت مجد وقوة الحضارة الغربية .. هذا الخوف من انحلال المسلمين، من الغزو الفكري الإسلامي لأوروبا المسيحية. هو الذي مكّن أوروبا من نقل كل علوم وتكنولوجيا المسلمين لبناء حضارتها الخاصة (انظر كتابنا: ودخلت الخيل الأزهر).

وبالمناسبة نقول " للأخلاقيين " الذين يريدون تحرير مجتمعنا وبعث حضارتنا بالأخلاق .. ولا يكفون عن تصديع رؤوسنا بالحديث عن الانحلال الجنسي أقول لهم: لا تسيئوا فهم قولي، أو استخدامه، فأوروبا لم تتحرّر بالأخلاق أي أنها لم تبدأ بالتطهر بل احتاجت الحرب للتطهر، وأمكنها فرض التطهر، خلال التعبئة العامة ضد المسلمين فلابد أن يرتبط الموقف الأخلاقى بموقف حضاري. أن يكون " القبيح " والعيب هو فعل وسلوك وأخلاقيات " العدو " والتخلص من " القبيح " هذا، هو الطريق إلى النصر علي العدو، فنقطة البدء هى الجهاد، المجابهة المسلحة مع العدو القومي، عندها يصبح المقاتلون أكثر استعدادًا لسماع " الوعظ " وممارسة المواعظ ...

فليس حديثى هذا موعظة أخلاقية، ولا خطبة منبرية، بل دعوة للمواجهة الحضارية من أجل التحرّر من التبعية والفساد. فكل خطب القساوسة ضد اللواط لم يثمر خلال ألف سنة مثلما حدث عندما ربطت هذه الفاحشة بالمسلمين .. أي العدو .. وقال جاكوب الفيروني ١٣٣٥م: " إن محمدًا علم المسلمين أنّه لا خطيئة جنسية حتى فيما هو ضد الطبيعة. وسلطان المسلمين له حاشية من خمسمائة شاب أحضروا للذته من البلطيق واليونان وايطاليا، وبيعوا في القاهرة ".

" المسلمون ضعاف وشهوانيون ويحبون الجماع مع الذكور ".

" بيتر كانتور " (المتوفى ١١٩٧) شنّ حملة شعواء علي اللوطيين ووصف فعلهم بأنه " الجريمة التى تجأر للسماء طالبة القصاص (يهتز لها عرش الرحمن) وأبدى استياءه لأنَّ الكنيسة لا تطارد مثل هذه الجريمة التى سبّبت دمار خمس مدن .. فلماذا تقف الكنيسة مكوفة الأيدى أمام جريمة عاقب الله عليها بمثل هذه الضراوة .. واستجابة لدعوته قرر مؤتمر لا تيران الثالث تحريم المسلمين واليهود والربا واللواط .." هكذا..

" كل من يمارس هذا الفعل المنافي للطبيعة والذى تسبّب في حلول غضب الربّ علي خمس مدن فأحرقها بالنار (نزل عليها كبريت ونار في التوراة) إذا

كان كاهنا يُعزل أو يُرسل إلي دير للتكفير وإذا كان مذنبًا سيُعاقب بالحرمان ويُطرد من الرعية " (من مجموعة المراسيم الباباوية للقرن الثالث عشر).

وفى سنة ١١٠٠ كان من الممكن تعيين أسقف مشهور باللواط، ولكن فى عام ١٣٠٠ لم تختف فقط الكتابة عن هذا الفعل، بل أصبح مجرّد الإشارة إلي وجود ميل لوطيّ عند أحد الكهنة كافيًا لتقديمه للمحاكمة ".

" وابتداء من القرن الرابع عشر لم يكنْ من الممكن أنْ يجد اللوطي ملجأ أو تسامحًا لا في الكنيسة الغربية ولا فى الدول الغربية. وفى نفس الوقت طُرد غير المسيحيين من انجلترا وكان ذلك قد تمّ في فرنسا عام ١١٨٢ علي يد فيليب أغسطس ملك فرنسا. وأصبح من يمارس الجنس بدون شرعية دينية مثل من ينكح البهائم " وفى عام ١٤٩٢ تم نهائيًا القضاء علي المسلمين في أسبانيا أو ما كان يدعي بالأندلس.

وأول مملكة أقامها الصليبيون في أرض المسلمين بالمشرق، وهى مملكة " أورشليم ": " سُنّ فيها أوّل قانون فى تاريخ العالم يُعاقب بالحرق حيًا من يرتكب جريمة اللواط، وأصبحت كلمات: خائن، زنديق، لوطي، مترادفات لمعني واحد ".

وعلي أنقاض الحضارة العربية الغاربة في قشتالة في الأندلس نصّ قانون المسيحيين المنتصرين: " إذا ثبت ارتكاب الفعل، علي ذكرين يجرى إخصائهما علنًا ويُعلقان من أقدامهما حتي الموت " (منتصف القرن الثالث عشر). وفي أراغون: " أصبحت معادلة للخيانة وجريمة ضدّ المجتمع ".

هم لم يهزمونا لأننا كنا متدينين وهم علمانيون، بل لأنهم كانوا أكثر تدينًا وتطهرًا...

وقال ألفونسو الحكيم: (١٢٥٢ - ١٢٨٤): " اللواط هو الخطية التى يرتكبها الرجال بوطء بعضهم بعضًا

وهي ضد الطبيعة وينتج عنها شرور عديدة في البلاد التي ترتكب فيها وتغضب الرب، وتلطخ سمعة الأمة التى تقع فيها. وقد أهلك الله سدوم وعامورة إلاَّ لوطًا وأهله الذين لم يرتكبوا هذا الفعل " ومن حق أي شخص اتهام أي أحد بارتكابه فإذا ثبت ذلك يُعدم الفاعل والمفعول به ".

.

وفي القرن الثالث عشر نصّ القانون الإنجليزى علي " أنَّ من يرتكب الجنس مع يهودي أو يهودية أو مع حيوان، أو يمارس اللواط، يُدفن حيًا ".

لم تكن " النهضة " الأوربية تملك القدرة علي استئصال الفئة المغزوة حضاريًا وفرض الاستبداد والإرهاب ومحاكم التفتيش، وكل ما تراه هذه الفئة من مظاهر الرجعية والتخلف والردة .. إلخ .. إلا فى ظل حمي وطنية دينية، في ظل " الجهاد " أو الحرب المقدسة ضد أعداء الدين والوطن، بل حتي أبطال " الحروب الصليبية الذين قاتلوا المسلمين في بلادهم وتأثروا، بالحتمية، ببعض السلوك والتقدّم الحضاري الذى عاشوه في أرض الجهاد؟؟؟، حتي هؤلاء ما إنْ وصلوا إلي أرض الوطن حتّي تمّت تصفيتهم حتّي لا يرتفع إلاَّ صوت العداء والتحقير والكراهية للمسلمين وحضارتهم، حتّي أنَّ المؤرخين - اليوم - يُبَرّرون التشريعات التي وُضعت ضدّ المسلمين في أوروبا بأنَّها كانت تهدف لحمايتهم من كراهية وغضب الشعب بمنع استفزاز هذه الجماهير بمنظرهم أو تمتعهم بالحرية، وأنَّ اليهود اضطهدوا لأنّهم عملاء للمسلمين وخونة ".

وأصبح " محمد عدو المسيح " العدو الحضاري والقوي والفكري والنفسي لأوروبا وأصبحت كل رذيلة تُنسب للعقيدة الإسلامية وخلق المسلمين وطباعهم ". .

يقول " جوذ بوزول ": " إنَّ اقتران اللواط بألدّ أعداء أوروبا (المسلمين) زاد من كراهية الجماهير لهذا المسلك وللمتهمين بارتكابه في أوروبا " ويقول: " فالذين بقوا من الصليبيين في الأرض المقدسة اتهموا بأنَّهم " تخنثوا " والذين عادوا اتهموا بأنهم جلبوا معهم العادات القذرة للوثنيين ".

وهذا ما أشرنا إليه عن ضرورة ربط الأخلاق بالمواجهة الحضارية، وأنَّ التطهّر لا يتم بالوعظ ولا بمجرّد إثبات تحريم الفعل المرفوض، بل بربطه بمسلكية العدو القومي .. أمّا أنْ نمدح " فضائل " العدو وندّعي محاربته، أو أنْ نلعن رذائله ونتعامل معه بل ونحالفه " فعبث غير مجدٍ.

كذلك فإنَّ اتهام العائدين من الحروب الصليبية، يماثل اتهام " الرجعيين " اليوم للمهاجرين إلي أوروبا وأمريكا أو " المتفرنجين " العائدين من هناك!.

ويقول مؤرخ اللواط: " آخر قصيدة قيلت في حبّ الغلمان في أوروبا الغربية كلها قالها يهودى (تادرس أبو لافيه) في الأندلس فى القرن الثالث عشر وبموته خرس صوت اللوطيين في أوروبا فلم يُسمع لعدة قرون حتي القرن الحاضر ". .

وضاع الأندلس وغربت شمس الله من الغرب!!!.

وأبيد فرسان الهيكل. " وكانت أبرز آلتهم الموجهة لهم هى عدم احترام الصليب واللواط " وعقد حلف مع الشيطان لعبادة محمد " (وبدأ تصفيتهم فيليب " العادل " ملك فرنسا فى أكتوبر ١٣٠٧) وقد جري تعذيبهم حتي الموت. وعرف عرض رئيسهم " جاك دى مولاي " ذراعيه المكسورتين المسلوختين، فلم يتبق منهما إلاَّ العظام وكذلك آثار التعذيب علي ظهره وخصيتيه علي لجنة التحقيق الباباوية التي انخرطت فى البكاء وعجزت عن النطق " (ولكن البابا كان أكثر قدرة علي النطق فقد أصدر قرارًا بحلّ تنظيم الفرسان ومباركة ما أنزله فيليب بهم عام ١٣١٢) وقد اعترف بعض المعذبين بأنَّهم أنكروا المسيح وبصقوا علي الصليب"، وقد دعا رئيس الفرسان وهو علي دولاب التعذيب وقبل أن يموت فبراير ١٣١٤ البابا كلمنت والملك فيليب للقاء معه في محكمة الربّ، وقد مات البابا بعده بشهر واحد بالدوسنطاريا، وهو مرض مذل مهين؟؟!!، ومات فيليب بمرض غامض لم يعرف سرّه إلي اليوم! كذلك أبيدال Cathar " المتطهرون وذهب سرّهم معهم

بنفس التهمة إنكار المسيح، والبصق علي الصليب ولم يُعرف شيء مفيد عن تهمتهم الحقيقية، إلاَّ في القرن العشرين، وصحيح أنَّه لا يمكن أن نعوّل كثيرًا علي محاضر محاكم التفتيش فيما تنسبه لمتهم يُحرق حيًا، أو ما يُثبته قسيس ممتلئ رغبة وإيمانًا بإدانة المتهم .. ولكن يُفهم من الدراسات الحديثة، أنّهم عادوا من الحروب فى المشرق الإسلامي بفكرة مخالفة للمفهوم الكاثوليكي عن المسيح والصلب؟؟؟؟!!!..

وآخر دراسة تقول أنَّ فرسان الهيكل من خلال الاتصال بالثقافة الإسلاميّة تشبّعوا بأفكار مخالفة للمسيحيّة الرومانيّة التقليديّة وكان قادتهم يتسخدمون سكرتاريّين(١) عربًا ودرس عدد كبير منهم اللغة العربية في الأسر وكانوا يتقنونها ".

صحيح أنّ هؤلاء قاتلوا وأثبتوا وطنيّتهم، ولكن هذا لا يشفع لهم، لأنَّ النهضة الحقيقية تستلزم العداء العقائدي أوّلاً، لا الوطني ولا المصلحي، ولا العقلاني. بل العقائدى الذي لا يقبل الجدل ولا المنطق ولا المصالحة، ولا الموضوعيّة.

لقد قتلوا ظلمًا علي يد الأكثر تخلفًا، وربما الأقل تضحية في الميدان العملي،

---

(١) حتي وإنْ كان السكرتير العربي في مركز التابع ظاهريًا إلا أن تفوقه الحضاري يجعله يؤثر علي الرئيس كما تتحكم " النانى " الأمريكية في الأسرة العربية أو السكريرة الفرنسية في رجل الأعمال أو السفير العربى.

ولكن قتلتهم كانوا الممثلين الحقيقيين للوطنيّة الأوربيّة، للحضارة الأوربيّة وهم الذين ضمنوا انتصار أوروبا بتخلفهم ورجعيتهم واستبدادهم وتعصبهم.

وهم الذين قتلوا " ادوارد " ملك انجلترا، هذه القتلة البشعة وغير المستغربة من حضارة تميّزت بالوحشيّة مع مخالفيها، ولكنها دليل قوّة الإرادة والتصميم علي قهر التحدّي، والانتصار فلا مكان فيها لفسق مترفيها، وهل يُمكن لحضارة من صنع البشر، أنْ تنتصر علي حضارة أسمي قيمًا وأنبل مسلكًا، وأكثر إنسانية، إلاَّ بالتعصّب؟؟؟؟؟؟؟؟!!!! وهل يُمكن لأيّة حضارة أنْ تبعث إلاَّ بالإيمان المُطلق من دعاتها بأنَّها الأطهر والأشرف ؟!!!!!!.

ربّما يكون ريتشارد قلب الأسد لوطيًا كما يزعمون، ولكنه عندما شنّ الحرب الصليبية ضد المسلمين، عندما نفخ في البوق الحضاري للبعث الأوروبي خلق دون أنْ يشعر وربّما من حيث لم يرد، المناخ الذي جعل سلفه : ادوارد الثاني " يموت تلك الميتة البشعة علي يد البرلمان والنبلاء الإنجليز، هو وعشيقه، فقد قطعوا إحليل عشيقه وحرقوه علنًا، وأدخلوا سيخا محميًا في دبر صاحب الجلالة!.

وفي القرن الثالث عشر وفي حمي الحرب الصليبية بالسلاح وبالفكر ضد المسلمين ظهر توماس الأكويني الذى وضع القوانين الأخلاقيّة للمسيحيّة إلي يومنا هذا وقد ظهرت فى كتاباته وتفكيره حجج الفقه الإسلامي والمنطق الإغريقي الذي قرأه في ترجمات المسلمين، ولكن في صيغة مسيحيّة، وبمنطلقات مسيحيّة بالمفهوم الذي طرحته الكنيسة منذ البداية، وخاصة عن احتقار المرأة وجعلها في مرتبة أدني للرجل. فكان يعتبر المرأة أقل من الرجل في أكثر من ناحية واعتبر إنجاب الأنثي خطأ من الطبيعة (تاريخ اللواط في المسيحية ص ٣٢٧)، ففى الظروف العادية يتطلع مني الرجل إلي إنجاب ذكر مثله، لأنَّه يريد المشابهة والكمال. ولكن إذا ما تدخل عنصر خطأ أو نقص في المني، أو هبّت ريح جنوبية رطبة أثناء الإخصاب جاءت أنثي، وقد شرع

توماس الأكويني(١)هـذا بـأن اللـواط هـو مـن الكبـائر مثـل الإسـتمناء والجماع مع الحيوانات. والجنس الشهواني مع الزوجة "!!!.

قارن ذلك بحديث إنْ غلب ماء الذكر ماء الأنثي جاء ذكر، وإنْ غلب ماء الأنثي جاءت أنثي...

ولن نتوقف لحظة واحدة عند تلك الأبحاث والدراسات التي تحاول إثبات أنَّ " العفة " لم تتحقق بتشدد الكنيسة أو بارتفاع صوت الفضيلة من جانب السلطة ولا ما تقدمه الدراسات من أدلة ووثائق عن انتشار البغاء وعن فضائح أخلاقية في قيادات المجتمع الكنسية، والمدنية، طوال هذه القرون. نعم نحن لا نهتم بذلك، لأنّ نظريتنا تقوم حول " القيم " التي تحكم سلوك الجماهير، المُثل التي تحدّد أخلاقيّات العامّة، أخلاقيّات المجتمع المُعْلنة. فكما قيل: الدين للخاصّة والتديّن للعامّة. أو بمعني أوضح الإختيار يكون للخاصّة، والممارسة علي العامّة، المباديء تحدّدها القيادة وتحدّد التطبيقات المطلوبة من العامّة لإنجازها.. أو تحقيقها...

فالمهم هو أنَّ المجمع المسيحي الأوروبي فرض قيم " التطهر وخلق حماسة

---

(١) وتجدر الإشارة إلى أنَّ الأكويني هو تلميذ البرتوغنوس الذى كان مستعربًا أي متنميًا للثقافة العربية دارسًا لها وهو الذى اكتشف دواء للواط يستخرج من رأس الضب ويحرق ويُدس رماده في دبر المأبون فيشفى بإذن ماغنوس هذا. وقال جون بوزول أنَّ Alzabo ترجمة لاتينية للضبع وهو حيوان مشهور في الفكر اللوطي. ولكننا نعتقد أنها ترجمة للضب. فأهل الجزيرة يطلقون الضاد ظاء .. المهم أتّضه في التطور الثقافي الأوربي ظهر جيل المسحوقين العاجزين عن التعلم، ثم جيل المبهورين المفتونين المكتفين بالتذوق والعيش في حضارة خصمهم، ثم جيل المترجمين والمؤلفين بالعربية لكسب الاعتراف العالمى. ثم جيل المتعصبين المعادين الدارسين بعمق أكثر والمفترين بفجور أكبر. الذين أعادوا صياغة العلم العربي - الإسلامى بصيغة أوربية – مسيحية، أخفت تمامًا ملامح العروبة والإسلام. وهؤلاء هم من يعتبرونهم مؤسّسي العلم الأوروبي.

المتطهرين، وفي مقدّمة الممارسات التي يجب أنْ يتخلّص منها مجتمع يريد البعث، هي اللواط الحضاري .. أما ما تفعله الطبقة الحاكمة خلف جدران القصور، ما دام لا ينعكس علي السلوك العام، فهو في هذه اللحظة مسألة شخصيّة لا تهمّ إلاَّ الفاعل والمفعول به وحسابهما علي الله. ولكن المهمّ في دراستنا هذه كما قلنا هو " الفاحشة " التي تؤثر علي المجتمع.

الصوفية واللواط

وإذا كانت المسيحية الصاعدة [تعليق: صاعدة في القرن الثالث عشر الميلادي؟؟؟؟؟؟] قد نقلت جل فضائل السلوك الإسلامي؟؟؟!!!، ورفضت العقيدة، فإنَّ الحضارة الإسلامية الغاربة، وقد دبّ فيها الوهن، ومالت إلي الجنوح والنعاس، اقتبست بدورها مسلكية " التخلف " المسيحي، وأسوأ ما في الحضارة المهزومة. وعلي سبيل المثال، فإن " الصوفيّة " في شكلها المتدهور، وليس في بدايتها، ما هي إلا صورة إسلاميّة للرهبنة، وكظاهرة انهيار حضاري عندنا، فقد اشتهر الصوفيّة باللواط، وقصصهم تملأ كل الكتب، ليس فقط في الأشعار التي إدّعوا أنّها ترمز إلي عشق الله سبحانه وتعالي عمّا يصفون والتي علق عليها ناشر إنجليزى بقوله: " يصعب تصوّر تفكير الصوفي في الله وهو يتحدث عن شعر الحبيب المجعّد وشفتيه الورديّتين . .. إلخ...

ويحكي عن فاطمة - أخت أبي علي الروذبادي - قالت لما قرب أجل أبي علي الروزبادي؛ وكان رأسه في حجري؛ فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت؛ وهذه الجنان قد زينت؛ وهذا قائل يقول يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوي وإنْ لم تردها، ثمّ أنشد يقول:

وحقك لا نظرت إلى سوا كا بعين مودة حتى أراكا
أراك معذبي بفتور لحظ وبالخد المورد من حياكا

(الغزالى - الإحياء)

بل إنَّ العلاقة الصوفيّة تكاد تدور حول الشيخ ومريده، وغالبًا ما يكون هذا المريد أمرد. ولأمر ما فالكلمتان من حروف واحدة!.

وما زالت حلقات الذكر - في رأي البعض - مركزًا من مراكز تعارف ونشاط اللوطيّين .. وقد وضع مصري ماجن صيغة ذِكْر زعم يردّدونه في الحلقة يقول: " الواد ده حلو ... خده جنبك " الله حيّ!.

وقد خصّص الشيخ الحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الحوزي البغدادي المتوفي سنة ٥٩٧هـ في كتابه " تلبيس إبليس " فصلاً خاصًا عن علاقة المتصوفة " بالأحداث " وردّ على أعذارهم بالتالي:

" الذين يدّعون أنّهم يعشقون الله في صورة الغلام لأنَّ الله قد حلّ فيه! وذكر أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا، أنَّ طائفة من الصوفيّة، قالوا أنَّهم يرون الله عز وجل في الدنيا. وأجازوا أنْ يكون في صفة الآدمي، حتى استشهدوه في رؤيتهم الغلام الأسود ".

وفكرة حلول الله في جسد آدمي هي فكرة مسيحيّة لها جذورها الإغريقية؟؟؟؟؟، أمّا أنَّه يحلّ أحيانًا في صورة " غلام " يُعشق فهي فكرة لوطيّة إغريقيّة أصيلة. والغلام الأسود، إمّا دليل لا لعنصرية المسلمين، ومزاج الصوفي! .. وإمّا تشنيعة لا تخلو من عنصرية، من الشيخ الحافظ غفر الله له.

" القسم الثانى: قوم يتشبّهون بالصوفيّة في ملبسهم ويقصدون الفسق " ... وهؤلاء لوطيّون فقط بلا فلسفة، وإنّما يندسّون بين الصوفيّة، لانتشار الغلمان في حلقات الصوفيّين، ولوجود قابليّة لهذه العلاقة بين الصوفيّين رجالاً ومريدين في ذلك الوقت الذى يحكي عنه الشيخ .. .

" القسم الثالث: قوم يستبيحون النظر إلي المستحسن. ونسبوا إلي الرسول " كذبًا ": " ثلاثة تجلوا البصر: الخضرة والماء والوجه الحسن ".

وقال الشيخ إنَّ الحديث من وضع " أبا البخترى ": " وكان يدخل علي الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر إليه (لاحظ أنّه ابن هارون الرشيد الذي قلنا إنَّ عصره كان بداية الانحدار وهذا ابنه الثاني غير الأكبر الأمين " المتهم " ج) فقال الرشيد: أراك تُدمن النظر إلي القاسم تريد أنْ تجعل انقطاعه إليك (؟!) قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أنْ ترميني بما ليس فِي. وأمّا إدمان النظر إليه فإنَّ جعفرًا الصادق ثنا عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ثلاثة يزدن في قوة النظر .. الخ.

وقد أثبت ابن الجوزي بُطلان الحديث، وقال إنَّ الفقهاء يقولون: من ثارت شهوته عند النظر إلي الأمرد حُرِّم عليه أنْ ينظر إليه. وإذا إدّعي الإنسان أنَّه لا تثور شهوته عند النظر إلي الأمرد المستحسن فهو كاذب. وقال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم الرجل يلحّ النظر إلي غلام أمرد فاتهموه ".

" القسم الرابع: قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة، وإنّما ننظر نظرة اعتبار فلا يُضيرنا النظر وهو مُحال .... ".

وروت شهدة بنت أحمد الإبري أوّل مؤلفة في الشذوذ الجنسي في تاريخ البشريّة، قالت إنَّ: " أبا النضر الغنوى، وكان من المبرزين العابدين، نظر إلي غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتي دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع ألاَّ وقفت حتي أروي من النظر إليك فوقف قليلاً ثم ذهب ليمضي فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدي المعيد ألاّ ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر إليه ويصوبه .. ".

وتمضى القصة، حتى استوقفه بأسماء الله الحسني كلها وهى ٩٩ اسمًا والغلام " التقي؟؟ " لا يستطيع رفض طلب يبدأ باسم الله!! فلما فرغت الأسماء وفرغ " العابد " مضي الغلام. فرفع " العابد " رأسه بعد طويل إطراق وهو يبكي فقال: قد ذكرني هذا بنظري إليه، وجهًا جلّ عن التشبيه وتقدس عن التمثيل وتعاظم عن التحديد .. والله لأجهدن نفسي في بلوغ رضاه بمجاهدتي جميع أعدائه حتّي أصير إلي ما أردته من نظري إلي وجهه الكريم وبهائه العظيم ولوددت أنَّه قد أراني وجهه وحبسني في النار ".

ولا تظن أنَّ الصوفيّ منافق كاذب، بل يحدث خلط في عقله بين اشتهاء الغلام وجمال وجهه وبين تديّنه وتطلّعه إلي الله فيخرج من المعصية إلي الكفر وهذا التناقض الحاد في عقل ومشاعر الصوفيّ، وعدم قدرته علي مغالبة عواطفه، مع خوفه من الاتهام تفسّره هذه الحكاية:

" وكنا في مسجد الخيف ونحن مُحْرِمون فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محاربًا بن حسان، الصوفيّ ينظر إليه نظرًا أنكرته. فقلت له بعد أنْ قام (الغلام) إنَّك مُحْرِم في شهر مُحَرّم في بلد مُحَرّم في مشعرٍ حرام وقد رأيتك تنظر إلي هذا الغلام نظرًا لا ينظره إلا المفتونون، فنفى ذلك ثم صعق حتي اجتمع الناس علينا ".

" وحكي أبو الحسين بن يوسف أنَّه كتب إليه في رقعة أنك تحب غلامك التركي، فقرأ الرقعة ثم استدعي الغلام فصعد إليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة ".

وعن أبي الطيّب الطبريّ " أنَّ هذه الطائفة التي تحب السماع، أنَّها تضيف إليه النظر إلي وجه الأمرد، وربما زيّنته (الأمرد) بالحليّ والمصبغات من الثياب والحواشي، وتزعم أنَّها تقصد به الازدياد في الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة علي الصانع، وهذه هي النهاية في متابعة الهوي ".

وقال يوسف بن الحسين " عاهدت الله مائه مرّة ألاّ أصاحب حدثًا، ولكنّي فسخت بفعل قوام القدود وغنج العيون ".

ومن طرائف الباحثة الإسلاميّة " شهدة " أنَّ أبا الكميت الأندلسيّ روي: " صحبت رجلاً من الصوفيّة يُقال له مهرجان وكان مجوسيًا فأسلم وتصوّف فرأيت معه غلامًا جميلاً لا يُفارقه، وكان إذا جاء الليل قام فصلّي ثم ينام إلي جانبه ثم

يقوم فزعًا فيُصلّي ما قدر له ثمّ يعود فينام إلي جانبه حتّي فعل ذلك مرارًا، فإذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنّك تعلم أنَّ الليل قد مضي علي سليمًا لم اقترف فيه فاحشة وكتبت علي الحفظة فيه معصية وأنَّ الذي أضمره بقلبي لو حملته الجبال لتصدّعت أو كان بالأرض لتدكّدكت (أي من اشتهاء الفعل مع الغلام) ثمّ يقول ياليل إشهد بما كان منّي فيك فقد منعني خوف الله عن طلب الحرام والتعرّض للآثام. ثم يقول سيدى: أنت تجمع بيننا علي تقي فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب. فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع منه هذا القول "....

إنْ صدق ؟! أليس لمثله كان وعده - سبحانه وتعالى – بالولدان المخلدين ؟!

وكان العشق متبادلاً .. قال أبو حمزة الصوفي: " رأيت ببيت المقدس فتي من الصوفيّة يصحب غلامًا مدة طويلة، فمات الفتي وطال حزن الغلام عليه حتي صار جلدًا وعظمًا من الضنا والكمد فقلت له يومًا: لقد طال حزنك علي صديقك حتي أظنّ أنّك لا تسلو بُعده أبدًا ؟ (فقال كيف أسلو عن رجل أجلّ الله عزّ وجلّ وصانني عن نجاسة الفسوق في خلال صحبتى له وخلواتي معه في الليل والنهار ".

إنْ صدق .. ألا يستحقان أنْ يجمع الله بينهما في الجنّة، حيث لا يسمعان فيها " لغوًا ولا تأثيمًا " ؟!!.

وسأل أبو حمزة محمد بن العلاء الدمشقي " وقد رأيته يماشي غلامًا وضيئًا مدة ثم فارقه. فقلت له لم هجرت ذلك الفتي الذي كنت أراه معك بعد أنْ كنت له مواصلاً وإليه مائلاً .. ؟ فقال والله لقد فارقته عن غير قلي ولا ملل قلت: ولِمَ فعلت ذلك (السائل موقفه أغرب من المسؤول) قال: رأيت قلبي يدعوني إلي أمر إذا خلوت به وقرب مني، لو أتيته سقطت من عين الله عز وجل فهجرته لذلك ".

" القسم الخامس: نظر وعشق وتاب..." " كنت مع أميّة بن الصامت الصوفي. إذ نظر إلي غلام فقرأ : " وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (سورة الحديد ٤)، تبارك الله فما أعظم ما امتحنني به من نظري إلي الغلام ما شبهت نظري إليه إلا بنارٍ وقعت علي قصب في يوم ريح فما أبقت ولا تركت... ثم بكي حتي كاد يقضي نحبه "...

" وقسم تلاعب به المرض من شدّة حبّه "!!

فقد روت شهدة الكاتبة عن غيرها: " أنَّ عبد الله بن موسي من رؤساء الصوفيّة ووجوههم نظر إلي غلام حسن في بعض الأسواق فبُلي به. وكاد يذهب عقله عليه صبابة وحبًا وكان يقف كل يوم في طريقه حتي يراه إذا أقبل وإذا انصرف فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضنا، وكان لا يقدر أنْ يمشي خطوة فأتيته يوما لأعوده. فقلت يا أبا محمد ما قصّتك، وما هذا الأمر الذى بلغ بك ما أري، فقال أمور امتحنني الله بها فلم أصبر علي البلاء فيها، ولم يكن لي بها طاقة .. ثم بكي .. إلخ فانصرفت عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال .. ".

" ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقي وكان من خيار عبّاد الله إلي غلام جميل فغشي عليه، فحُمل إلي منزله واعتاده السقم حتي أقعد رجليه وكان لا يقوم عليهما زمانًا طويلاً. فكنا نعوده ونسأله عن حاله وأمره، وكان لا يخبرنا بقصته ولا سبب مرضه، وكان الناس يتحدّثون بحديث نظره. فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائدًا (!!) فهشّ إليه وتحرّك وضحك في وجهه واستبشر برؤيته. فمازال يعوده حتي قام علي رجليه وعاد إلي حالته. فسأله الغلام يومًا أنْ يسير معه إلي منزله (!!) فأبي أنْ يفعل ذلك فسألني (أبو حمزه راوي القصة) أنْ أسأله أنْ يتحوّل إليه فسألته فأبي أنْ يفعل، فقلت للشيخ: وما الذى تكره من ذلك؟ فقال: لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة، وأخاف أنْ يقع علي من الشيطان محنة فتجري بيني وبينه معصية فأكون من الخاسرين ".

وحق للدارسين القول أنَّه منذ الإغريق، لم يحدث تسامح وقبول اجتماعي لهذه الظاهرة إلا في الحضارة الإسلاميّة " الآفلة " فالناسك يعشق الغلام ويمرض في حبّه، والناس يتحدثون بذلك حتى تصل الأخبار للغلام، فيستجيب لذلك بروح أكثر من متسامحة، ويزور عاشقه حتي يُشفي ثم لا يكتفي بذلك، بل يعرض عليه " المعاشرة "، أوّلاً بدعوته إلي منزله، ولا أحد يهتم بتفسير موقف عائلة " الغلام " .. وإلاّ كيف تأتي له المنزل الذى يصلح لاستقبال الصوفي العاشق ؟! .. إلا إذا كان غلامًا محترفًا ؟! ولكن ما أظن أنَّ صوفيًا بصلاح وترفع ابن الأشعث: " وكان من خيار عباد الله " يعشق غلامًا مومسًا .. فهل كانت أسرة الغلام تفوق " تحضر " عائلات سان فرانسيسكو حتى تسمح له بمعاشرة رجل تحت سقف بيت العائلة ؟!.

ثم يعرض الغلام الانتقال إلي منزل " ابن الأشعث " ويتعيّن في ذلك " بأبي حمزة الصوفيّ " الذي لا يري في هذه الوساطة، " قوادة " ولا ممّا يُشين الرجال فضلاً عن الصوفيّين .. ولا ما يُغضب الله .. بل يسأل الرجل دهشًا : " ولماذا ترفض هذا ؟ ".

هذا مناخ حضارة آفلة، لم تعدْ ترى في ذلك الفعل عيبًا، وإنْ ارتفعت حدّة الفقهاء بلعن الفاعل والمفعول فيه، فقد أصبح صوتهم هو النشاز، بل يسمع أكثر علي الجانب الآخر حيث العدو المتربّص، وحضارته الصاعدة ....

فلا تقولوا هزمنا بسبب الدين، بل بتخلينا عن الدين، اندفاعًا في الانحلال إلى القاع .. أما الصوفيّ الكبير في بلاد فارس الذى ابتلي " بحدث " فقد فعلها معه، ثم ندم فألقي بنفسه في البحر ومات غرقًا..

وقال إدريس بن إدريس " حضرت بمصر قوم من الصوفيّة، ولهم غلام أمرد يغنيهم قال، فغلب علي رجل منهم أمره فلم يدرِ ما يصنع فقال له: ياهذا قل لا إله إلا الله .. فقالها الغلام فقال الرجل: أقبل الفم الذي قال لا إله إلا الله .. وقبّله في فمه!! ".

" القسم السادس: " قوم لم يقصدوا صحبة المردان وإنما يتوب الصبي ويتزهّد ويصحبهم فيتكرّر نظرهم إليه لا عن قصد فيُثير في القلب فتنة ".. إلخ.

" القسم السابع: قوم علموا أنّ محبّة المردان والنظر إليهم لا يجوز غير أنّهم لم يصبروا علي ذلك ".

وكان الغلمان يتصدون للصوفيّة استعراضًا لجمالهم فقد روي أحدهم: " وقفت علي الشبلي في قبّة الشعراء في جامع المنصور، والناس عليه مجتمعون، فوقف عليه في الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد في ذلك الوقت أحسن وجهًا منه ويُعرف بابن مسلم (تأمّل كيف عرف الراوي أبو صابر الدلال الوجوه الجميلة في بغداد وترتيبها، واسم الغلام .. إلخ) فقال له (الشبلي) تنحَ، فلم يبرحْ، فقال له الثانية تنحّ يا شيطان عنّا فلم يبرحْ، فقال له في الثالثة: تنحَ وإلاّ والله خرقت كل ما عليك. وكانت عليه ثياب في غاية الحسن تساوي جملة كثيرة فانصرف الفتي فقال الشبلي:

طرحوا اللحم للبزاة   علي ذروتي عدن
ثم لاموا البزاة إذ   خلعوا منهم الرسن
لو أرادوا صلاحنا   ستروا وجهك الحسن

ثم استأنف الوعظ في جامع المنصور!! وقصّة الشبلي حافلة بأدلّة الترف والثروة الهائلة التي كانت قد تجمّعت في المجتمع الإسلامي، وأفضت إلي فسق مترفيها .. وانحراف " عابديها ". قيل إنّه " كان يلبس ثيابًا ثمينة، ثم ينزعها ويضعها علي النار. وذُكر عنه أنّه أخذ قطعة عنبر فوضعها علي النار يُبخّر بها ذنب الحمار. وقال بعضهم: دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكّر يحرقه بالنار لكى لا يشغله عن ذكر الله. وباع عقارًا ففرّق ثمنه ".

وهكذا .. تأمر مترفوها ففسقوا فيها فحلّ عليها الزوال الحضاري.

ولدان مُخلّدون

وأعتقد أنَّه قد آن الآوان لنلخّص " خواطرنا " في الموضوع؛ فنقول: أننا نقسمه إلي موقفين: السلوك الفردي .. والمسلكيّة الحضاريّة.

والحالة الفرديّة، يهمّنا فيها، بالطبع، حكم الدين. وعلي ضوء ما قدّمناه من آراء حول أسباب ميل الفرد للواط، نري أنَّ هذا الفعل موجود ويُمكن أنْ يقع في كلّ الظروف والمجتمعات، كذلك الميل يُمكن أنْ يُوجد في مختلف الطبقات والأفراد والمجتمعات. والفعل - في رأينا - مُحرّم دينيًا، وإذا كانت هناك محاولات في الكنيسة وبين المسيحيّين واليهود لإعادة صياغة التوراة [تعليق: الكتاب المقدس بعهديه هو كتاب ليس فيه تغيير أو تبديل أو تحريف، وكفاية سفسطة !!!!]. أو " لي " عنق النصوص لتلائم اتّجاهات العصر، وذلك بالبحث عن تفسير غير جنسي لما أصاب قوم " لوط " من انتقام إلهي .. خلاف التفسير الشائع والمتوارث. ويزعم المفسرون الجدد أنَّ قوم لوط عوقبوا لسوء معاملتهم لابن السبيل! ويستشهدون علي ذلك بأنَّ الإنجيل عندما أنذر القدس بمصير أسوأ من " سادوم " لم يكن بسبب فعل جنسي بل لأنّها لم تحسن استقبال المسيح...[تعليق: إنَّ أي تفسير لا يعتمد ولا يتوافق مع الكتاب المقدس ككل، ولا مع التقليد الكنسي، ولا مع أقوال الآباء، لا تعترف به الكنائس التقليدية ولا يُعتبر إلا مجرّد رأي فقط لصاحبه وبدعة مرفوضة].

القرآن وقصة لوط:

ولكن القرآن، لم يترك مجالاً لمثل هذا التلاعب؟؟؟.. فعلي خلاف المنهاج القرآني المعتاد، وهو تجنب التحديد الملزم في الوقائع التاريخيّة وتفضيل الكناية

في مسائل الجنس، نجده في قصة لوط قد حدّد بصراحة تهمتهم : " إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء "(الأعراف٨١). وقد وردت قصة قوم لوط في سورة هود والحجر والشعراء والنمل والعنكبوت والصافات.. .

ولكن هذه الدراسات تستشهد بالقرآن، لتعزيز رأيها بأنَّ جريمة قوم لوط، هي إهانة الضيوف، فيقولون إنهم توجهوا إلي بيت لوط " للتعرّف " علي الضيوف باعتبارهم غرباء عن المدينة التي حظرت عليه الإتصال بالغرباء أو استقبالهم في بيته. ربّما خوفًا من غزو خارجي أو مؤامرة يدبّرها معهم. فأرادوا التعرّف عليهم وهذا المقصود بفعل to know ولكن إلتبس علي الشراح في القرون التالية لأنّه نفس الفعل المستخدم في " عرف آدم إمرأته " فولد لهما كذا، وعرف آدم حواء مرة ثانية فولد له... فالفعل هنا يعني الوطء، فكأنَّ أهل المدينة لمّا قالوا لسيّدنا لوط نريد أنْ نعرف ضيوفك... قالو نريد أنْ نُجامعهم.. ويقول أنصار هذا الرأي إنَّ القرآن قال علي لسان أهل المدينة : " قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ " (سورة الحجر٧٠)، ولا يُعقل أنْ يكون سبب المنع جنسيًا، لأنَّ " لوط " هو الوحيد غير الشاذ، وإنَّما المنع في هذه الحالة يكون لأسباب سياسيّة أو أمنيّة.

إلاّ أنَّ هذا التفسير متهافت.. فمن ناحية؛ القرآن شديد الوضوح بأنَّ الحوار كان جنسيًا وليس أمنيًا، بدليل عرض لوط بناته عليهم...
" وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ. قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ " (هود ٧٨،٧٩).

والحديث عن طهارة البنات، أو أنّهن أطهر يُشير إلي المعني الجنسي ولكن الردّ بأنَّهم ليس لهم " من حق " في بناته، وليس " من أرب " أو " رغبة " يعني أنَّ لهم " حقًا " في ضيوفه... فهو قول لا يُعزّز التفسير الجنسي هنا... ولكن الآيات الأخري تزيل الشبهة: " وَجَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ. قَالَ إِنَّ هَـؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ، وَاتَّقُوا اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ، قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ " (سورة الحجر ٧٦-٧٠).

واستبشار أهل المدينة، وعرض البنات .. إنْ كنتم فاعلين .. يُرجّح المعني الجنسي، فلو كانت قضية أمن، لما كان هناك مبرّر للاستبشار بل الأحري، القلق .. وإنَّما مفهوم السياق أنّهم رأوا .. ذكورًا .. في جمال الملائكة، وغرباء، أي فيهم طرافة الجديد، فجاءوا يستبثرون! أمّا " نهيه عن العالمين " فيُمكن القول أنَّه كان يؤلب عليهم الشبان بنصحهم بالإقلاع عن هذه العادة، فمنعوه من الاتصال بأحد. " هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين " منطق معروف ومعتاد جدًا من الكبار الذين يحاولون اقناع الشاذ جنسيًا بأنّ البنات أفضل. مع ملاحظة أنَّ البشري قد تكون بمفهوم المخالفة، فقد ورد في القرآن التبشير بالعذاب في أكثر من موضع. وأيضًا جاءت لفظة البُشرى وفعلها مقترنة بالإنباء عن غلام أو مولود " ذكر " في ١٩ موضعًا في القرآن.

قال مجاهد وسعيد بن جبير وأغلب المفسّرين .. بناته هنّ نساء المدينة أو أمّته كما قال الله تعالي عن النبي وأزواجه أمهاتهم أي أمهات المؤمنين وإنْ لم يلدْن هؤلاء ويُعزز هذا أنَّه قال في القرآن هؤلاء بناتي وهو جمع، وهو ما يناسب عقلاً حاجة مدينة بأكملها. بعكس رواية التوراة التي حدّدت عدد بناته بإثنتين: لي ابنتان لم يعرفا الرجال؟ أتوسل إليكم أنْ أحضرهما إليكم وافعلوا بهما ما أحببتم ولكن لا تفعلوا شيئًا بهؤلاء الرجال لأنّهم تحت سقفي.

ولعل مما يُعزز هذا التفسير قولهم " مالنا في بناتك من حق " إذ لو كان الحديث يجرى علي ابنتي لوط، فهو وليّهم، وهذا الحق يتأتي من موافقته أو عرضه. ولكنّه لا يملك ذلك علي بنات المدينة، ولذلك قالوا إنَّ عرضه غير واقعى إذ ليس له ولا لهم من حق عليهن. فضلاً عن لامعقولية أنْ يتصوّر كفاية ابنتين أو حتي عدة بنات، لإشباع، " أهل المدينة "!.

والغريب أنَّ رواية التوراة، قد نسبت إلي سيدنا لوط وبناته الصالحات، والعياذ بالله، نسبت إليهم، فعلاً أسوأ من أي جريمة ارتكبها قوم لوط. إذ زعمت أنَّ بنات لوط (بنتان) خشيتا من فناء العالم بعد هلاك مدينتهما، فسقتا أباهما لوطًا خمرًا وجامعهما، وهو لا يعقل من السكر، وحملتا منه إنقاذًا للجنس البشري! .. مع أنَّ " ابراهيم " - كما في الرواية - كان موجودًا وكان لديه قومه أو أهله القادرون علي الإنجاب والإخصاب!.

ولعل هذا هو ما أثار الشكّ عند الغربيّين في السبب الأخلاقي لدمار مدينة لوط. طالما أنَّ نفس الرواية تنسب هذا الفعل للنبي الذي كان السبب في دمار المدينة!.

[تعليق: نكتفي بذكر الرواية كما جاءت في سفر التكوين الأصحاح التاسع عشر، ونتمنّي أن يفهم القارئ القصة كاملة بدون تأويل بما لا يتجمله النصّ، ونذكر فقط، أن التوراة وبالتلي الكتاب المقدس لا يعترف بأنَّ لوط كان نبيًا، وإلا فليذكروا ما هي نبوءة لوط؟ :
" ١فجاءَ المَلاكانِ إلى سَدومَ مَساءً، وكانَ لُوطٌ جالِسًا عِندَ بابِ سَدوم. فلمَّا رآهُما
لُوط، قامَ لِلقائِهِما وسَجَدَ بِوَجهِهِ إلى الأرض، ٢ وقال: " سَيِّدَيَّ، مِيلا إلى بَيتِ عَبدِكُما
وبيتا وآغْسِلا أرجُلَكما، ثُمَّ تُبَكِّرانِ وتَمضِيانِ في سَبيلِكُما ". فقالا: " لا، بَل في السَّاحةِ
نَبيت ".٣ فألَحَّ عَليهِما كثيرًا، فمالا إليهِ ودَخَلا مَنزِلَه. فصَنَعَ لَهُما مأدُبَةً وخَبَزَ فَطيرًا،
فأكلا.
٤ وقبلَ أن يَضْطَجِعا، إذا بأهلِ المَدينة، أهلِ سَدوم، قد أحاطوا بالمَنزِل، مِنَ الصَّبِيِّ إلى
الشَّيخ، جَميعُ القَومِ إلى آخِرِهِم. ٥ فنادَوا لُوطًا وقالوا له: " أينَ الرَّجُلانِ اللَّذانِ قَدِما إلَيكَ
في هذه اللَّيلَة؟ أخرِجْهُما لِكَي نَعرِفَهُما".
٦ فخَرَجَ إليهِم لُوطٌ إلى المَدخَل وأغلَقَ البابَ وَراءَه ٧ وقال: " أسأَلُكم ألاَّ تفعَلوا شَرّاً،
يا إخْوَتي. ٨ هاءَنَذا لِيَ آبنَتان ما عَرَفَتا رَجُلاً: أخرِجُهُما إليكُم، فاصنَعوا بِهِما ما حَسُنَ في
أعيُنِكم. وأمَّا هذانِ الرَّجُلان، فلا تَفعَلوا بِهِما شَيئًا، لأنَّهما دَخَلا تَحتَ ظِلِّ سَقْفي ".٩
فقالوا: " تَنَحَّ مِن هنا! ". ثُمَّ قالوا: " هذا رَجُلٌ يَنزِلُ بِنا فيُقيمُ نَفسَه حاكِمًا! الآنَ نَفعَلُ بِكَ
أسْوَأَ مِمَّا نَفعَلُ بِهِما ". وضَيَّقوا على لُوط وتَقَدَّموا لِيَكْسِروا الباب. ١٠ فمَدَّ الرَّجُلانِ
أيدِيَهُما وأدخَلا لُوطًا إليهِما إلى البَيتِ وأغلَقا الباب. ١١ وأمَّا القَومُ الَّذينَ عِندَ بابِ البَيت،
فضَرَباهم بالعَمى مِن صَغيرِهِم إلى كَبيرِهِم، فلَم يَقدِروا أن يَجِدوا الباب.
١٢ وقالَ الرَّجُلانِ لِلُوط: " مَن لَكَ أيضاً ههُنا؟ أصْهارُكَ وبَنوكَ وبناتُكَ وجَميعُ مَن لَكَ
في المدينة أخْرِجْهُم مِن هذا المكان، ١٣ فإنَّنا مُهلِكانِ هذا المكان، فقَدِ آشتَدَّ الصُّراخُ علَيهِم
أمامَ الرَّبّ، وقد أرسَلَنا الرَّبُّ لِنُهلِكَ المَدينة ". ١٤ فخَرَجَ لُوطٌ وكَلَّمَ أصْهارَهُ الَّذين

فكانَ كمازحٍ في أعيُنِ أصهاره.
١٥ فلمَّا طلَعَ الفَجْر، ألَحَّ المَلاكانِ على لُوطٍ قائِلَين: " قُمْ فخُذِ آمرأَتَكَ وآبنَتَيكَ
المَوجودَتَين هُنا، لِئَلاَّ تَهلِكَ بِعِقابِ المَدينة ". ١٦ فتَرَدَّدَ لُوط، فأمسَكَ الرَّجُلانِ بيَدِه وبيَدِ
آمرَأتِه وابنَتَيه، لِشفَقةِ الرَّبِّ عليه، وأخْرَجاه ووَضَعاه خارجَ المَدينة.
١٧ فلمَّا أخْرَجاهم إلى خارجٍ قالا: " أنْجُ بِنَفسِكَ. لا تَلتَفِتْ إلى وَرائِكَ ولا تَقِفْ في
السَّهلِ كُلِّه، وانجُ إلى الجَبَلِ لِئَلاَّ تَهلِك ". ١٨ فقالَ لَهُما لُوط: " لا، أرْجوك، يا سيِّدي. ١٩
إنَّ عَبدَكَ قد نالَ حُظوَةً

في عَينَيكَ، وعَظُمَت رَحمَتُكَ الَّتي صَنَعتَها إلَيَّ بِإِبْقائِكَ على حَياتي. إنِّي لا أستَطيع النَّجاة
إلى الجَبَلِ دونَ أن يَلحَقَ بيَ الشَّرّ فأموت. ٢٠ ها إنَّ هذه المَدينة قريبةٌ لِلْهَرَبِ إلَيها، وهي
صَغيرة، فدَعْني أنْجو إلَيها- ألَيسَت صَغيرة؟- فتَحْيا نَفْسي ". ٢١ فقالَ لَه: " هاءَنَذا قد
أكرَمتُ وَجهَكَ في هذا الأمْرِ أيضاً بأَن لا أقلِبَ المَدينةَ الَّتي ذَكَرتَها. ٢٢ أسرِعْ بالنَّجاةِ إلى
هُناك، فإِنِّي لا أستَطيعُ أن أعمَلَ شَيئًا إلى أن تَصيرَ إلَيها ". لِذلكَ سُمِّيَتِ المَدينةُ صُوعَر.
٢٣ ولَمَّا أشرَقَتِ الشَّمْسُ على الأرض، دَخَلَ لُوطٌ صُوعَر. ٢٤ وأمطَرَ الرَّبُّ على سَدومَ
وعَمورةَ كِبْريتًا ونارًا مِنَ السَّمَوات، ٢٤ وقلَبَ تِلكَ المُدُنَ وكُلَّ السَّهْلِ وجَميعَ سُكَّانِ المُدُنِ
ونَباتَ الأرض. ٢٦ فالتَفَتَتِ امرَأةُ لُوطٍ إلى وَرائِها فصارَت نُصْبَ مِلْح....
٣٠ وصَعِدَ لُوطٌ مِن صُوعَر وأقامَ في الجَبَل هو وآبنَتاه معَه، لأَنَّه خافَ أن يُقيمَ في
صُوعَر. فأقامَ في مَغارةٍ هو وآبنَتاه.
٣١ فقالَتِ الكُبْرى لِلصُّغْرى. " إنَّ أبانا قد شاخ، ولَيسَ في الأرض (التي يعيشون فيها
بعد فناء مدينتهم) رَجُلٌ يَدخُلُ علَينا على عادةِ الأرضِ كُلِّها. ٣٢ تَعالَي نَسْقي أبانا خَمراً
ونُضاجِعُه ونُقيمُ مِن أبينا نَسْلاً ". ٣٣ فسَقَتا أباهُما خَمْراً في تِلكَ اللَّيلة، وجاءَتِ الكُبْرى
فضاجَعَت أباها ولَم يَعلَمْ بنيامِها ولا قيامِها. ٣٤ فلَمَّا كانَ الغَد، قالَتِ الكُبْرى لِلصُّغْرى: "
هاءَنَذا قد ضاجَعتُ أَمْسِ أبي، فلْنَسْقِه خَمْراً هذه اللَّيلةَ أيضاً، وتَعالَي أنتِ فضاجِعيه لِنُقيمَ
مِن أبينا نَسْلاً ". ٣٥ فسَقَتا أباهُما خَمْراً في تِلكَ اللَّيلةِ أيضاً، وقامَتِ الصُّغْرى فضاجَعَته
ولَم يَعلَمْ بِنيامِها ولا قيامِها. ٣٦ فحَمَلَتِ ابنَتا لُوطٍ مِن أبيهِما. ٣٧ وولَدَتِ الكُبْرى أبنًا.
وسَمَّته مُوآب، وهو أبو المُوآبيِّينَ إلى اليَوم. ٣٨ والصُّغْرى أيضاً ولَدَتِ ابنًا وسَمَّته
بَنْعَمِّي، وهو أبو بني عَمُّونَ إلى اليَوم.].

نعود للقول الحق:

لم تترك الآيات القرآنية – كما قلنا – مجالاً للشك أو الغموض أو التأويل حول مسلكيّة قوم لوط وما عوقبوا عليه:

" أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ " (الشعراء ١٦٥، ١٦٦).

" وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ، أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ " (النمل ٥٤، ٥٥).

" وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ، أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ " (سورة العنكبوت ٢٨، ٢٩).

الحمد لله! هذه الآية - كما ذكرنا - تثبت أنَّ الفراعنة لم يرتكبوا هذه الفاحشة، علي الأقل إلي زمن لوط وإبراهيم .. وبالمناسبة فإنَّ " عفة المصريّين " كانت شائعة ومعروفة، ففي الرواية الكاذبة عن نبي الله إبراهيم عندما جاء إلي مصر، وعرض زوجته - فيما زعمت التوراة المحرّفة [تعليق :يري الكاتب الذي يؤمن بالقرآن أن التوراة والإنجيل محرفون، حسب قوله، فيا تري ماذا قال القرآن عنهما: نرى القرآن الكريم قد أمر المسلمين الجدد, المؤمنين برسالته في كل مكانٍ, بالرجوع الى أهل الكتاب واستشارتهم في كل امرٍ يصعب حلُّهُ. لاهوتياً كان ام اجتماعيا.ربما كان ذلك لكي يؤلفوا شعباً واحداً لله, دستوره كتب الله, وهي التوراة وصحف ابراهيم, وزبور داود, وكتب الانبياء . وانجيل المسيح. لأن القرآن, المعروف اليوم بهذا الاسم, لم يكن قد اصبح كتابا بعد في ايام الرسول محمد. وعندما حاجه المشركون بالكتب وبما اوتي موسىقال لهم: "قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين"سورة القصص (٤٨) . لقد ذكر الرسول الكتاب هنا في صيغة المثنى التي قصد بها ان الكتاب المقدس بعهديه هو كتاب الله, كما ان هذان الكتابان التوراة والانجيل, يحتويان على كتب الله جميعها المؤلفة من (٦٦) كتابا. ونقرأ ايضا في سورة الانعام (١٥٦) قوله : " ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين". وهو الذي قال كما سبق وذكرنا في سورة النساء (٢٦) "يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم".اي ان ارادة الله هي ان الكل يهتدون الى سنَّة الله التي جاءت قبل القرآن, وهي بدون شك سنَّة المسيح عيسى ابن مريم. سنَّة المحبة والغفران والكفارة. هنا ايضاً يمكننا فهم الآية القائلة : "ومن يكفر بالله وملائكته وكُتُبهِ ورسلهِ واليوم واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً"(سورة النساء ١٣٦.ويقول ايضا :"آمَنَ الرسول بما أنزل اليه من ربه,والمؤمنون كلٌ آمَنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله".] – علي فرعون باعتبارها أخته .. فغازلها فرعون طبعًا، ولكن لمّا عرف أنّها في عصمة رجل غضب وعاتب إبراهيم علي مسلكه الذي كاد أنْ يجلب على " فرعون " العار .. وهو الزنا بحليلة ضيفه...

بالطبع القصة لا أساس لها من ناحية الوقائع ؟؟!!، إذ لا يمكن أنْ يكون هذا سلوك نبيّ، ولكنّها اعتمدت علي حقيقة معروفة وقتها وهي عفّة فرعون أو المصريين ..

فالقرآن شديد الوضوح في تأكيد شذوذ هذه الجماعة، وأنّها كانت تفضل إتيان الذكور علي الإناث، بل الصدوف عن إتيان النساء .. ويمكن القول أنَّ النصّ يتحدث عن " الفاعلين " أو الطرف الموجب في علاقة اللواط فهؤلاء هم الذين " يأتون " وهؤلاء هم الذين يفترض فيهم القدرة

النسـاء .. ولعـل ذلـك مـا جعـل بعـض الفقهـاء يقـول بـأنَّ المفعـول فيـه " يغـتسل تأديبًـا " لأنـه فـي رأيهـم .. لا يلتـذ ولا يمنـي، وبالتـالي فـلا جنابـة حقيقية.

غـير أنّ هـذا التفسـير هـو مجـرّد خـاطرة، لأن الثابـت مـن الـنصّ أنَّ المدينـة كلهـا قـد دُمّـرت فاعـلها ومفعـولها رجالهـا ونسـاءها .. ومـن هنـا اسـتنتج المفسّـرون أنَّ أهـل المدينـة مـن النسـاء كـانوا سـحاقيّات. رغـم أنَّ القرآن قد خلا تمامًا من أية إشارة

إلــي الســحاق(١)، أو إلــي نســاء المدينــة، إلاَّ امـرأة لـوط التــي قـدّر لهـا، أن تكـون مـن الغـابرين. ولـم يـرد فـي القـرآن سـبب لـذلك .. وقـد عرفنـا مـن خلـق القرآن العفة في الحـدث إلا عند الضرورة، البعد عن التفاصيل.

واللــواط، هــو إذن، مــن أبشــع الخطايــا فــى الإســلام، وعــقاب الله كمــا قــال الصـحابة - عـن حـق - للقـوم الـذين يمارسـون هـذا المنكـر كـان عـقابًا شـاملاً مـنكلاً فقـد دمّـر المدينـة وقلبهـا رأسًـا عـلي عــقب، وقـذفهم بحجـارة مسـومة .. و " فَلَمَّـا جَـاء أَمْرُنَـا جَعَـلْنَا عَالِيَهَـا سَـافِلَهَا وَأَمْطَرْنَـا عَـلَيْهَا حِجَـارَةً مِّـن سِـجِّيلٍ مَّنضُـودٍ " (سـورة هـود٨٢). وإنْ كنـا لا نـري مـا رآه بعـض المفسّـرين، مـن أنَّـه كـان عــقابًا فـذًا لـم يُعاقـب بـه أحـد، فقـد أغـرق الله قـوم نـوح جميعًـا حتــي ابنــه؟؟؟؟!!!، مــع أنَّهــم لــم يرتكبــوا هــذا الفعـل، ودمّــر وأبــاد قــوم عــاد وثمــود، لأنهــم عــقروا الناقــة متحـدّين نبـيّهم؟؟؟؟، كمـا قـذف أصـحاب الفيـل بنفس الحجارة...

النتـائج الإجـتماعيـة والحـضاريـة للـواط:

وإنْ كــان لا يفوتنــا مغــزى الإشــارة إليــى " الفنــاء الحضــاري " للمدينــة التـــي تشـــيع فيهـــا هـــذه الفاحشـــة، ولعـــله مـــن " المصـــادفات العـــلمية " أنَّ اللواط كما ثبت أخيرًا

---

(١) ولا أعـرف المصـدر الـذى اسـتند إليـه الشـيخ " سـيد سـابق " فـي تفسـير الآيـة بأنهـا تعنـي المسـاحقات إذ قـال " والنسـاء اللاتـى يـأتين الفاحشـة وهـي السـحاق الـذى تفعلـه المـرأة مـع المـرأة .. إلــخ " فــى تفسـير واللاتــى يــأتين الفاحشــة مــن نســائكم فاستشــهدوا عـليهن .. " الآيــة .. وقــال أنَّ " واللـذان يأتيانهـا مـنكم فآذوهمـا .. فـإنْ تابـا وأصـلحا فأعرضـوا عنهمـا إن الله كـان توابًـا رحيمًـا جـاءت فـي اللـوطيين. ربمـا مـن لفظـة " الفاحشـة " .. ولكـن لغويًـا فـإن " اللـذان " يمكـن أنْ تكـون لـذكرين أو لذكر وأنثى.

وورد فـي موسـوعة فقـه علـي بـن أبـي طالـب عـن كنـز العمـال: جـاءت عليًـا امرأتـان قـد قرأتـا القـرآن فقالت: هل تجد غشيان المـرأة المـرأة حرامًـا فـي كتـاب الـل ؟ فقـال لهمـا: نعـم، مـن اللـواتي كـن علي عهد تُبّع وهن صواحب الرس".

وعـن مسـند زيـد بـن علـي. عـن علـي بـن أبـي طالـب " أن حـدمما حـدّ الزنـا إن كانـا أحصنـا رجمًـا وإن كان لم يحصنا جلدًا » ص ٥٤٧.

يسبب انتشار مرض خاص يسمى " الإيدز " يقضى علي المناعة الطبيعية للجسم، مما يحتّم الموت أمام أي تحدّ خارجي أو داخلي، ونظريتنا أنَّ هذه الظاهرة تصاحب أو تسبب فقدان المناعة الحضارية للأمم مما يسهّل القضاء عليها.. .

وقد يقال إنَّ عقر الناقة كان ذنبًا قاضيًا علي قوم صالح، ولكنه لا يشكل جريمة ولا خطيئة اليوم، بل إنَّ عقر الناقة أو الجواد في الجهاد من دلائل الإيمان، وهو دفع باطل، لأنّ قوم صالح لم يهلكوا بسبب عقر الناقة ولا جاءتهم الناقة ابتداء من عند نبيهم .. بل هم الذين طلبوا آية. فجاءتهم في شكل ناقة، فعقروها تحديًا واستهزاءً وامتحانًا لمصداقية نبيهم، ووجود الله وقدرته عليهم. وهذا ما استوجب عقابهم. فهي ناقة مخصوصة في ظروف مخصوصة .. ولكن إتيان الذكور حالة دائمة وقد وصف الله هذا الفعل بأنّه من " الخبائث " و " الفاحشة "، ووصفهم بالفاسقين وقوم السوء والعادين والجاهلين " وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ " (سورة الأنبياء٧٤). وهذه كلها أدلة لا تحتمل الشك في أنَّه فعل مكروه مبغوض من الله مستنكر بشكلٍ دائم، مثل الزنا، والشرك، وأكل مال اليتيم، والربا ومنع الماعون .. إلخ.

لا حدّ علي اللواط

وقد أوضحنا رأينا في النتائج الإجتماعيّة والحضاريّة لهذه الظاهرة، فإذا انتقلنا للعقوبة، وهي موضوع اهتمامنا أساسًا بالنسبة للدولة الإسلامية المنشودة .. نقول أنَّه لم يرد في النصوص إشارة إلي عقوبة بشريّة يوقعها السلطان بالفاعلين مثل ما ورد في الزنا والسرقة والقذف وقطع السبيل .. وليس في سنّة رسول الله ما يفيد تطبيق أي حد في مرتكب هذه الفعلة، وهذا علي الأغلب لعدم وصول حالة من هذا النوع إلي السلطة الإسلاميّة في عصر الرسول ؟؟؟؟ [نرجو الرجوع إلي الأحاديث المذكورة التي تنفي بالقطع هذه المقولة ص ١١٠]... .

كذلك لم يثبت أنَّه – ص - قرّر حكمًا ولو من الناحية التشريعية، وكل الأحاديث المنسوبة إليه عن أحكام اللواط مطعون في صحتها .. فحديث : " أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط ولعن من فعل فعلهم ثلاثًا " .. قال عنه الترمذي : " غريب ".

وحديث " من وجدتموه يعتمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ". أنكروا سنده عن عكرمة عن ابن عباس. وقال الحافظ " رواته موثقون إلا أنَّ فيه اختلافًا ".

وحديث: " سحاق النساء بينهن زنا " قالوا: " إنّ إسناده ليّن ".

وحديث " أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله ... والذي يأتى الذكر يعني اللواط قال عنه البخاري: ولا يتابع علي حديثه أي راويه محمد ابن سلام الخزاعي، عن أبي هريرة ".

وحديث " إذا ركب الذكر علي الذكر اهتز عرش الرحمن " وصف بأنَّ إسناده " واهن لين موضوع ".

وحديث ابن عباس " إنَّ اللوطي إذا مات من غير توبة فإنّه يُمسخ في قبره خنزيرًا " وصف راويه بأنّه " يروى المناكير " وأحد مصادره " اسماعيل بن أم درهم ": " لا يُحتج به " وصفه ابن الجوزي في الأحاديث الموضوعة.
أمّا حديث وفد عبد القيس لما قدموا علي النبي " وكان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبي – ص - خلف ظهره ". فقالوا: " لا أصل له. وهو حديث منكر، فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع ".

إلاَّ أنَّ أقوي دليل علي أنَّ رسول الله لم يشرّع عقوبة في اللواط لا تطبيقًا، ولا بمجرّد النصّ ...أنَّ المسلمين لما فتحوا بلاد فارس والشام وغيرها حيث كانت الحضارات الآفلة، فوجئوا بهذا الفعل، واعتقلوا مرتكبيه، ولا ندري كيف ثبتت الجريمة، فلم تصلنا تفاصيل، ولكنها علي الأرجح ثبتت بالاعتراف .. عندها بعث الولاة يستفتون كبار الصحابة في المدينة .. ما هى العقوبة ؟ وجلس هؤلاء للاجتهاد. ولو كانت هناك سنّة ثابتة لنفّذها الولاة في الأمصار، فإن غابت عنهم، لكتب إليهم الخليفة بها علي الفور .. ولكن .. لأنَّ النصّ غاب .. فلا هو في القرآن، ولا في السنّة .. فقد تبادل كبار الصحابة الرأى تحت تأثير عاملين: حجم

الإدانة التى وردت في القران للفعل .. وما توسّموه - عن حق - من نتائج خطيرة علي مجتمع مجاهد يخوض حرب حياة أو موت، ويضع أسس حضارة جديدة. وقد قلنا أن اللواط من علامات انهيار الحضارات .. ولذلك جاءت تشريعاتهم شديدة النكال، وهو ما كان متوقعًا، فاقترح أبو بكر أنْ يُقتل بالسيف ثم يُحرق، وقال عمر وعثمان: " يلقي عليه حائط "، وقال ابن عباس " يلقي من أعلي بناء في البلد ". ولم يستقر الاجتهاد علي ما وصل إليه في عهد أبي بكر، فقد استمر علماء المسلمين في الاجتهاد، فقال البغوي الشعبي والزهري ومالك وأحمد واسحاق: " يرجم " وقال النخعي " لو كان يستقيم لرجم مرتين ". ونقلوا عن أبي بكر وعلي وعبد الله بن الزبير وهشام بن عبد الملك: يحرق. أما المتأخرون فقد استقر رأيهم علي حدّ الزنا، إذ اعتبروها مساوية للزنا .. فقد رأى سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والحسن وقتادة والنخعي والثورى والأوزاعي وأبو طالب والإمام يحيي والشافعي أنَّ حدّها حدّ الزنا. أما أبو حنيفة والمؤيّد بالله والمرتضي والشافعذ فقالوا بالتعزير لأنَّ الفعل ليس بزنا. وزاد أبو حنيفة " لا يجلد ولا يرجم ".

وفي تفسير الرازى: " اختلف الصحابة في حكم اللواط، وكانوا عالمين باللغة فلو سمى اللواط زنا لأغناهم نصّ الكتاب في حدّ الزنا عن الاختلاف والاجتهاد ".

ورأى ابن تيميه رضى الله عنه: " أكثر السلف يوجبون قتل فاعله مطلقًا، وإنْ لم يكن محصنًا. وقيل أنَّ ذلك إجماع الصحابة وهو مذهب أهل المدينة، كمالك وغيره، ومذهب أحمد في أصح الروايتين عنه، والشافعي في أحد قوليه. وعلي هذا القول يقتل المفعول به مطلقًا، إذا كان بالغًا، والقول الثانى هو حدّه حدّ الزنا، وهو قول أبي يوسف ومحمد والشافعي وأحمد في أحد قوليهما، وإذا قيل الفاعل كالزاني فيقتل ويقتل المفعول به مطلقًا، وقيل لا يقتل، وقيل بالغرق كالفاعل وسقوط الحدّ من مفردات أبي حنيفة ".

وكذّب ابن تيمية من قال أنَّ مالك أباح اللواط بالعبيد .. " كذب لم يقله أحد من علماء السنة، وأظنّه قصد التشنيع به علي مالك، فإني رأيت من الجهال من

يحكي هذا عن مالك وأصل ذلك ما يُحكي عنه في حشوش النساء فإنَّه لمّا حكي عن طائفة من أهل المدينة إباحة ذلك وحكي عن مالك: فيه روايتان: ظن الجاهل أنَّ إدبار المماليك كذلك، وهذا من أعظم الغلط ممن هو دون مالك فكيف علي مالك مع جلالة قدر، وشرف مذهبه "؟؟؟!!.

" ومذهب مالك وعلماء المدينة أنَّ اللائط يُقتل رجمًا محصنًا كان أو غير محصن سواء تلوط بمملوكه أو غير مملوكه فإنَّه يُقتل عندهم الفاعل والمفعول به".

وقال ابن حزم إنَّ أبا بكر ضرب رجلاً ضمّ صبيًا حتي أمني ضربًا كان سببًا في موته. وأعجب الإمام مالك - في رواية ابن حزم - بالأمير الذى ضرب غلامًا مكّن رجلاً من تقبيله حتي أمني الرجل، ضربه الأمير حتي مات (الصبي). وإن كان ابن حزم عتلّق بالإشارة إلي وجود اختلاف حول هذه العقوبات، وأنَّه ممن يري " ألا جلد فوق عشرة، إلا في حدّ من حدود الله " وملخص اجتهادات الفقهاء يمكن إجمالها فى الآتى:

- أنَّ اللواط خطيئة ومعصية منكرة عند الله سبحانه وتعالي من مفهوم الآيات، ومتضمنًا في قوله " ولا يقربون الفواحش " وإنْ لم يردْ نصّ واضح بالتحريم أو تخصيص بالتجنب .. مثل الخمر أو الزنا أو لحم الجنزير .. إلخ .
- وهو مثل الزنا من الجنايات التي بين العبد وخالقه، يطلب فيها عدم الفضيحة أو إشاعة الفاحشة، ويستحسن الستر علي فاعلها، عسي أنْ يتوب الله عليه، ولا تُستحب الشهادة فيها، ويُستنكر من فاعلها المجاهرة، ولا يُنصح بفضح نفسه بالإعتراف للسلطة أو الحديث عنها، وإذا تاب فإن الله غفور رحيم.. .

- كل اشتراطات ثبوت الزنا مطلوبة في إثبات اللواط أي أربعة شهود يرون .. إلخ .. ولو شهد ثلاثة وشك الرابع فلم يجزم بأنَّه رأى المرود في المكحلة مع أنَّه رأى " أقداما بادية، وأنفاسًا عالية، وأمرًا منكرًا ..." عندها يُجلد الشهود الثلاثة ثمانين جلدة ويُطلق سراح المتهم.

- عـقوبتها لـم يـردْ فيهـا نـصّ قرآنـي، ولا سـنة ثابتـة، ولـذا فهـى متروكـة لتقدير الحـاكم. وإنْ صحّ تفسير " سيد سابق " فهـي العزل عن النساء للمساحقة، و " إيذاء " اللـوطي .. ولـيس القتـل مـن الإيـذاء، خاصـة وأنَّ بقيـة الآيـة تأمـل للفاعلـين فـي التوبـة، أي الإستمرار علـي قيد الحيـاة .. والتعـزير لا يكـون بـالرجم ولا الجلـد. فهـى مـن ناحيـة العـقوبة ليسـت كالزنـا كمـا قـال الفقهـاء، وللحـاكم أنْ يقـدر ظـروف المجتمـع وظـروف المتهمـين ويحكـم بالتغـريب فـي مستشـفي نفسـاني أو بالسـجن أو بتـزويج الفتيـان إن كـانوا مـن المـراهقين .. أو مـا تتفتـق عـنه القريحـة التشريعية.

ولا شـك أنَّ " اللـواط " هـو موضـوع حـديث العهـد بالبحـث والدراسـة، رغم قدمـه كظاهرة، ومـن ثـم لا نسطع أن نلـم - الآن - بحكمـة المُشـرّع، عـز وجـلّ، فـي عدم فـرض عـقوبة، غـير أنَّـه يجب أنْ نشير هنـا إلـي عـدّة نقاط خطـرت لنـا، مجـرد خـواطر، نسـأل الله عـنها السـلامة، فنخـرج مـن السـوق كما دخلنـا، فـلا نحـن نطمـع فـي أجـر ولا أجـرين وقـد وضـحنا أنمـا لسـنا مـن " المجتهدين " فما لنا في أجورهم من حق !.

وهذه الخواطر هى :
أنَّـه لا علاقـة طرديّـة بـين بشـاعة الخطيئـة، وشـدة اسـتنكارها فـي القـرآن والخلـق الإسـلامي، وبـين العـقوبة أو الحـدّ المفـروض فيهـا .. فلـيس فـي القـرآن - مـثلا - جريمـة أبشـع مـن الكفـر ولكـن لا عـقوبة علـيها فـي الـدنيا أو لا حـدّ للكفـر. لـذا لا يجـوز القـول بأنَّـه مـا دام لـم تشـرّع عتقوبـة للـواط ، فهـذا يعـني أنَّهـا ليسـت جريمـة، أو ليسـت فـي مسـتوي الكبـائر! هـذا خطـأ بالطبع.

ويـري الغـزالي أنَّ الإبهـام فـي الكبـائر التـي لـم يـرد فيهـا حـدّ أمـر مقصـود مـن الله سـبحانه وتعـالي لأنَّ دار التكليـف هـى دار الـدنيا. وهـذا أمـر يتعـلق بـالآخرة والإبهـام أليـق بـه حتـى يكـون النـاس علـي وجـل وحـذر، (الإحيـاء ج ٤).
ولم أفهم ماذا يقصد.
وكما لا يجوز للمشـرّع أنْ يتهاون فى عقوبة ما لم يرد به حتدّ.

كذلك لا يجوز للمشرع أنْ يتأثر في تقديره للعقوبة، بما ورد من وصف بشاعة الفعل، وعقاب الله سبحانه وتعالي لقوم لوط .. فالله سبحانه أهلك قوم عاد وثمود لأنّهم كفروا بنبيهم، ولكن لا يحق للمشرّع اليوم أنْ يقضي بإعدام أو إهلاك من يكفر بهود أو صالح أو حتيّ محمد صلوات الله عليه.

الثانية: أنَّ حدّ الزنا مقترن بالإحصان، ونحن نرى أنَّ " اللوطي " لا يُمكن أنْ يكتمل فيه شرط الإحصان. إلاَّ إذا فهمنا الإحصان علي أنَّه معرفة الفعل بتجربته.. .

وقد عرف صاحب الفقه علي المذاهب الأربعة الإحصان بأنَّه " الزواج من إمرأة محصنة (!) بعقد صحيح ووطئها في قبلها، فمن وطىء إمرأة في دبرها فليس بمحصن.. ولا هي .. " ولم نفهم كيف أنَّ المرأة التي سيتزوجها " محصنة " قبل أن يطأها! .. وإذا كان يقصد بالإحصان مجرّد تجربة الجنس، فإنَّ شرط الزواج بعقد صحيح غير ذي معني .. ولذا نعتقد أنَّ الإحصان يرد بمعنيين، معني اجتماعي وهو المقصود فى حدّ القذف ، وإلا لأبيح قذف البكر! .. ومعني قانوني نفساني هو شرط من شروط حدّ الزنا .. وهو معرفة طبيعة الفعل وأبعاده .. فالنبي عندما سأل ماعزًا: أتعرف ما الزنا .. قال: فعلت بها في الحرام ما أفعله بزوجتي في الحلال أي معرفة أبعاد الفعل.

وإذا أخذنا المعني الثالث المستخدم في الرواية المنسوبة للإمام الشافي: وهو قوله - في زعمهم – " من لم يتزوج مصريّة فليس بمحصن ". وهذا بالطبع لا فقه ولا حتي جد .. وإنَّما لو قاله فعلي سبيل المزاح، وتحيّة لمصر التي استضافته، وألمعية في معرفة أنَّ كسب رضاء المرأة يغني عن سائر الجهود مع السلطة والمجتمع...

ولكن المهم هنا، هو استخدام اللفظ، فالمعني المقصود أنَّه لم تشبع حاجته تمامًا.. .

وبالتالى فلا نستطيع القول إحصان اللوطي لو تزوج، لأنَّ شهوته لا تنطفىء بالزواج من امرأة، خاصة إذا كان سلبيًا، وإنْ كان الزواج في بعض الحالات يساعد علي العصمة. كذلك فإنَّ مفهوم الرابطة الزوجية لا ينعكس بشكل واضح علي علاقة اللواط. ومن ثمّ ذهبنا إلي أنَّ اللوطي لا يُمكن أنْ يكون محصنًا، إلا من ناحية واحدة، وهي خيانة الزوج أو الزوجة إذ يفترض في الحياة الزوجية، الاتفاق أو التعاقد علي المشاركة الكاملة الجسدية والنفسية. ومن ثم فمن حق الحاكم أن يُشدّد أكثر في عقوبة اللوطي المتزوج....

علي أيّة حال، فإنَّ هذه الأسئلة تنبع من حقيقة أنَّ الإسلام أدان هذا الفعل أشنع إدانة، لم يفرض فيه حدًا...

لماذا كان وعده – سبحانه وتعالي – بالولدان المخلدون في الجنة؟

ثم نأتي لهذه الخاطرة، وهى تفسير وعده سبحانه وتعالى للمؤمنين بولدان وغلمان فى الجنة: " مخلدون " وغاية في الجمال والنضارة.

وقد ورد ذلك في ثلاثة: الطور والواقعة والإنسان... قال سبحانه وتعالي:

" وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ {١٠} أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ {١١} فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ {١٢} ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ {١٣} وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ {١٤} عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ {١٥} مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ {١٦} يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ {١٧} بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ {١٨} لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ {١٩} وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ {٢٠} وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ {٢١} وَحُورٌ عِينٌ {٢٢} كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ {٢٣} جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٢٤} لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً {٢٥} إِلا قِيلاً سَلاماً سَلاماً {٢٦} وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ {٢٧} فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ {٢٨} وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ {٢٩} وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ {٣٠} وَمَاء مَّسْكُوبٍ {٣١} وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ {٣٢} لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ {٣٣} وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ {٣٤} إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء {٣٥} فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً {٣٦} عُرُباً أَتْرَاباً {٣٧} لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ {٣٨} ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ {٣٩} وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ {٤٠} " (الواقعة ١٠-٤٠).

ولا أظن أنَّ أحدًا يستطيع المجادلة في أنَّ " الولدان " هنا هم غلمان. وأنهم يعرضون في مجال النعيم والتلذذ.. بجمالهم، كجزاء حسن للمؤمنين، مثلهم مثل الأباريق والخمر والفاكهة والطير، وحور العين، كلها للمتعة بما فيها من حُسْن. وإذا كان " الولدان " و " وحور العين " هما الكائنان العاقلان؛ وحور العين، ثابت في الأثر وبنصّ القرآن، أنهن للاستمتاع الجنسي. وكل الفرق في الآية بينهن وبين الولدان، وهو أنَّ حور العين لؤلؤ مكنون والولدان " لؤلؤ منثور " والمفسرون رضي الله عنهم قرّروا أنَّ اللؤلؤ المثور أكثر جمالاً من المكنون. وإنْ كان " المكنون " أكثر صيانة، وأكثر إثارة للخاطر، إلاَّ أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أثر هؤلاء الغلمان بالجمالين. المكنون والمنثور .. فقال عنهم في سورة الطور:

" وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ " (الطور ٢٤).

قال ابن عباس " سرر منسوجة بالذهب، مرصّعة بالدر، متكئين عليها. أي حال كونهم مضطجعين علي تلك الأسرة، شأن المنعّمين المترفين " (لاحظ إقران " الولدان " والتمتّع بهم دائمًا مع الترف الشديد ج) متقابلين، أي وجوه بعضهم إلي بعض. ليس أحد وراء أحد، وهذا أدخل في السرور، وأكمل في آداب الجلوس. ويدور عليهم للخدمة أطفال (نعترض هنا فالله سبحانه وتعالي يقول ولدان وغلمان والولد أو الغلام غير الطفل ج) في نضارة الصبا لا يموتون ولا يهرمون قال ابن حيان: *وصفوا بالخلد، وإنْ كان كل من في الجنة مخلدًا ليدل على أنَّهم يبقون دائمًا في سن الولدان* (الولدنه كما يقول الشوام واللبنانيون ج) *لا يتحولون ولا يكبرون. كما وصفهم جلَّ وعلا* (صفوة التفاسير. محمد علي الصابوني عن البحر المحيط)..

وفي سورة الإنسان، وتأمّل حكمة اسم الآية!.. .

" وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً {١٢} مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً {١٣} وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً {١٤}

وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا {١٥} قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً {١٦} وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً {١٧} عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً {١٨} وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً {١٩} وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً {٢٠} عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً {٢١} إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً {٢٢} " (الإنسان ١٢-٢٢)

قال المفسّرون: ***مضطجعون على الأسرّة المزينة بفاخر الثياب والستور، وإنّما خصّهم بهذه الحالة لأنّها أتمّ حالات النعيم. " أي غلمان يُنشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين (مخلدون) أي دائمون على ماهم عليه من الطراوة والبهاء. قال القرطبي أي باقون على ما هم عليه من الشباب والنضارة، والغضاضة والحُسن، لا يهرمون ولا يتغيّرون ويكونون على سنّ واحدة على مرّ الأزمنة*** (تفسير القرطبي) إذا نظرتهم منتشرين في الجنة لخدمة أهلها، خلتهم لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم كأنهم اللؤلؤ. وقال الرازي هذا من التشبيه العجيب لأنَّ اللؤلؤ إذا كان متفرقًا يكون أحسن في المنظر لوقوع بعضه علي بعض فيكون أروع وأبدع. (التفسير الكبير).

وجاء فى تفسير الرازى :
يطوف عليهم ولدان مخلدون فيها وجهان؛ أحدهما أنَّه علي الأصل وهم صغار المؤمنين وهو ضعيف؛ لأنَّ صغار المؤمنين أخبر الله تعالى أنَّه يُلحقهم بآبائهم، وقيل أنهم صغار الكفار وهو أقرب من الأول.

والثانى أنهم صغار بصرف النظر عن كونهم مولودين . . مخلدون لا يتغيّرون عن حالهم ويبقون صغارًا دائمًا لا يكبرون ولا يلتحون ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون.

وقوله (لهم) أي ملكهم إعلامًا بقدرتهم علي التصرف فيهم بالأمر والنهي

والاستخدام وهذا هو المشهور وأضاف الشارح في الهامش اللام في اسم للملك أو التخصيص أي لا كسقاة الخير فى الدنيا يسقون كل شارب؛ ويستجيبون لكل طالب.

... وقوله تعالى: " كأنهم لؤلؤ " أي في الصفاء و(مكنون) ليفيد زيادة في صفاء ألوانهم أو لبيان أنهم كالمخدرات لا بروز لهم ولا خروج من عندهم فهم في أكنافهم.

قال الشاعر:

لا شئ أحسن منه حين تبصره.. كأنَّه من جنان الخلد قد سرقا!

والسؤال الثاني السوار إنما يليق بالنساء وهو عيب للرجال فكيف ذكر الله تعالي ذلك في معرض الترغيب؟ الجواب أهل الجنة مرد شباب فلا يبعد أن يحلو ذهب وفضة وإن كانوا رجالاً.

ثلة لم ترد في القرآن كله إلاّ ثلاث مرات كلها في صورة الواقعة وعند الحديث عن هذه الفئة المُنعّمة بالغلمان والأساور .. إلخ وهي تفيد أنهم قلة والحمد لله ؟؟.. .

وإذا كان ابن عباس رضى الله عنه، في صدر الإسلام، ومناخ الطهارة، قد فسرهم بأنَّهم أطفال فإن المفسرين فى العصور المتقدمة، ومع تطوّر المعرفة بالنفس البشرية، وظهور هذا الميل، ركّزوا علي اللفظ القرآني وهو : ولدان، أو غلمان كما قال القرطبي.

فإننا نضيف اليوم أنَّ هذه السورة نزلت في هؤلاء الذين ابتلاهم الله فصبروا وعفّوا، الذين قالوا علي لسان الله سبحانه وتعالي في مطلع الآية " إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُوراً {٩} إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً {١٠} فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً {١١} وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً {١٢} مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً {١٣} " (الإنسان ٩-١٣) إلي آخر الآية التي أوردناها...

أمَّا في سورة " الطور " فقال جل وعز من قائل:

" تَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ {٢٠} وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ {٢١} وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ {٢٢} يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ {٢٣} وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ {٢٤} وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ {٢٥} قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ {٢٦} فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ {٢٧} إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ {٢٨} فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ {٢٩} " (الطور ٢٠-٢٩).

من سرد الآيات، نلاحظ أنَّ أهل هذا النعيم. لهم صفات خاصة، هي الترف الشديد، ولبس الحرير والأساور .. وهى صفات هذه الفئة، ونلاحظ أنَّ كلمة " تأثيم " وردت مرتين في القرآن فقط. والمرتان وردتا في الحديث عن هؤلاء المستمتعين بالولدان أو الغلمان .. *ولا مجال للحديث في الجنة عن الإثم أو التعرض للتأثيم من الجماعة، إلاَّ في هذه المتعة، التى مهما قيل عن الجنة، يظل في نفس البعض شعور بالحرج منها، ورغبة في تأثيم فاعلها، ولذلك طمأنهم العزيز الحكيم أنَّهم لن يسمعوا فيها لغوًا ولا تأثيمًا.*

بل من حقنا أنْ نفسّر قوله تعالى ... غلمان لهم ... بأنَّهم غلمانهم في الدنيا، الذين عقوا، وتأثموا، وصانوهم هم عن الفاحشة فاجتمعوا في الجنة، في خلود دائم للحظة الرغبة التى كُبحت بالتديّن!!!!

وإذا كان المفسرون قد اتفقوا على دوام صفة الولدنه أو خلودهم في سنّ الغلمان، فقد استنتجنا أنَّ الحكمة في النصّ على الخلود، هي تأكيد مصدر المتعة في هؤلاء الغلمان لمن يشتهيهم، ودوامها. بعكس ما في الدنيا من زوال الفتنة بدخول الغلام سن الرجولة .. ففي الجنة " لن تنبت لحية شقران " أبدًا حتى ينجز وعده لمن أشفق في أهله، وخاف من ربه يومًا عبوسًا قمطريرًا. فوقاه ربه شرّ هذا اليوم، وجزاه " بما صبر " جنة وحريرًا والولدان المخلدين، مع ثياب سندس واستبرق وأساور من فضة .. أى هيين أو بانك .. إلخ ما يشاء مما اشتهى في الدنيا، وحرم نفسه مخافة ربه.

وربما يسهّل الأمر علينا لو فهمنا هذه الحقائق:

١- من الخطأ تقييم الحياة الأخري بمقاييس وأحكام هذه الحياة التي نعيشها فهذه دار العمل الصالح والطالح، دار المحاسبة، دار الفناء، دار التعامل مع النفس والناس بما يفيد ويضرّ .. أمَّا هناك فدار الجزاء فقط، ما من عمل هناك يفيد أو يضرّ، ولا من عمل يُحاسب عليه الإنسان، دار " الخلود " المطلق، وهي كلمة مهما حاول الفاني أنْ يصوّرها أو يقرّبها إلي مفهومه، فلا يُمكن أنْ يُحيط بأبعاد الخلود، إنَّه تعبير لا يمكن فهم بعضه إلاَّ بنسبته إلي ضدّه! ...

ولا شكّ أنَّ ممارسة الخلود ستخلق قيمها ومقاييسها، كذلك لا يُوجد في الجنة أو النار شرّ ولا خير .. لأنَّ الشر والخير هو بما يعود عليك أي بنتيجة العمل، وهذه غير متاحة في عالم الخلود، فلا شيء يضرّك ولا تستطيع الإضرار بأحد فكيف يكون الفعل شريرًا ؟!!!. وبالتالي فلا خير وإنّما هناك لذيذ وألذ....

٢- كل المحرّمات في هذه الأرض تسقط في الأخرة، فقد وعدنا بالخمر وإنْ كانت أفضل من خمر هذه الأرض فهي لا تسبب صداعًا ولا عطشًا .. وحور العين بلا عدد، ولا أظن أنَّ هناك سببا مثل اختلاط الأنساب أو الأمراض أو الفاحشة ... إلخ يُبرّر تحريم التمتّع بهنّ على نحو يختلف عما في دار الفناء هذه كذلك نظنّ أنَّ هذا التمتّع ليس بقاصر على المؤمنين من الرجال وحدهم! كذلك فإنَّ وعد

الرحمن " فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ " (سورة الأنبياء١٠٢) " نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ " (سورة فصلت٣١) " يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (سورة الزخرف٧١)

هذا الإطلاق الإلهي لا يجوز أنْ يُحدّ بمزاج أو أخلاقيّات فرد في هذه الدنيا، ولا حتّي جماعة.. وإليك بعض ما نظنّه من الغرائب ولكنّه منطقيّ للغاية مع فكرة الجنّة أو الخلود بلا حساب ولا عقاب، ولا أسباب ولا قوانين مما تحكم حياتنا الفانية:

قال رسول الله: إنَّ الرجل من أهل الجنّة يولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة أخرجه ابن ماجة والترمذي وقال حسن غريب (إحياء علوم الدين للغزالى ج ٤ ص٥٤٢ الغزالي).

وقال سعيد بن المسيب " ليس أحد من أهل الجنّة إلاّ في يده ثلاثة أسورة .. سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضّة " (ص ٥٤٣ الإحياء).

وقال الغزالي في إحياء علوم الدين: " إيّاك أنْ تنكر شيئًا من عجائب يوم القيامة؛ لمخالفته قياس ما في الدنيا ".

وقال في وصف الجنة:

فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم؛ جالسين علي منابر الياقوت الأحمر فى خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض: فيها بسط من العبقرى الأخضر؛ متكئين علي الأرائك منصوبة علىٰ أطراف أنهر مطردة بالخمر والعسل؛ محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان؛ إذا اختالت إحداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان، شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس، ويطوف عليهم، خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون؛ يشربون من أنهارها لبنًا وخمرًا وعسلاً في أنهار أراضيها من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان في كفّ خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في إشراقها ولكن من أين للشمس حلاوة مثلا حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه.

والغـزالي هـو القائـل فـي الإحيـاء إنَّ الشـرّ فـي الصـبيان أكثـر فلـو مـال إلـي امـرأة أمكنـه الوصـول إلـي اسـتباحتها بالنكـاح. (الـزواج) والنظـر إلـي وجـه الصبي حـرام بـل كـل مـا يتـأثر قلبـه بجمـال صـورة الأمـرد بحيث يـدرك التفرقـة بينـه وبـين الملتحـي لـم يحـل لـه النظـر إليـه فـإن قلـت كـل ذي حـس يـدرك التفرقـة بـين الجميـل والقبـيح لا محالـة؛ ولـم تـزل وجـوه الصـبيان مكشـوفة! فـأقول لسـت أعـني التفرقـة بـين شـجرة خضـراء وأخـري يابسـة وبـين مـاء صـاف ومـاء كـدر وبـين شـجرة عـليها أزهارهـا وأنوارهـا وشـجرة تسـاقطت أوراقهـا: فإنـه يميـل إلـي إحـداهما بعـينه وطبعـه ولكـن مـيلاً خاليًـا عـن الشـهوة، ولأجـل ذلـك لا يشـتهي ملامسـة الأزهـار والأنـوار وتقبيلهـا ولا تقبيـل المـاء الصـافي، وكـذلك الشـيبة الحسـنة قـد تميـل العـين إليهـا وتـدرك التفرقـة بينهـا وبـين الوجـه القبـيح، ولكنهـا تفرقـة لا شـهوة فيهـا ويُعـرف ذلـك بميـل الـنفس إلـي القـرب والملامسـة فمهمـا وجـد ذلـك الميـل فـي قلبـه وأدرك تفرقـة بـين الوجـه الجميـل وبـين النبـات الحسـن والأثـواب المنقشـة والسـقوف المذهبة.

فهـل يـا تـري يـري الغـزالي أنَّ اسـتمتاع أهـل الجنّـة بحسـن هـذا الغـلام الـذي أبـدع فـي وصـف جمـال أصـداغة وأحداقـه هـو مـن نـوع استمتاعـهم بالشجـر والماء والثـوب المنقـوش..إلخ؟...

وكـان الغـزالي قـد أورد فـي بدايـة هـذا الحـديث خبـرًا عـن منصـور بـن اسـماعيل قـال رأيـت عـبد الله البـزار فـي النـوم فقلـت مـا فعـل الله بـك؟ قـال أوقفـي يـن يديـه فغـفر كـل ذنـب أقـررت بـه إلا ذنبًـا واحـدًا فـإنني اسـتحييت أنْ أقـر بـه فـأوقفي فـي العـرق حتـى سـقط لحـم وجهـي فقلـت مـا كـان ذلـك الـذنب ؟ قال نظـرت إلي غـلام جمـيل فاستحسنته...

ومـا دامـه النظـر لهـذا الجمـال فـي وجـوه الغـلمان لابـدّ أن يُثيـر الشـهوة لمـن ابتلـى بـذلك وهـو ذنـب يسـتحق أنْ يـذيب لحـم وجـه المـؤمن العابـد كمـا قـال فلمـاذا يُنعـم عـلي المرضـي عـنهم بغـلمان يفـوق جمـالهم كـل جمـال اسـتهواه في الدنيا؟!.

لمـاذا الـنصّ عـلي أنهـم غـلمان وولـدان .. وإذا كانـت الغايـة هـي الخدمـة الحسـنة والمنظـر الجميـل .. فلمـاذا لـم يكونـوا ملائكـة؟ وهـل أجمـل أو أبهـي مـن الملائكـة؟ وهـل أقـدر عـلي الإبـداع فـي الخدمـة مـن مـلاك؟ وهـل مـن تكـريم أكبـر مـن أن تخـدم ملائكـة ذلـك الـذي خلـق مـن مـاء مهـين وصلصـال وطـين؟ لـيس للغـلمان مـن صـفة يتميّـزون بهـا عـلي الملائكـة فـي الخدمـة والجمـال والتكـريم إلاّ أنَّ الملائكـة كائنـات غـير جنسـيّة مـثلهم مثـل الـورد والأشـجار والبسـط المبثوثـة .. مـن هنـا نذهـب للقـول بـأنَّ لهـؤلاء الغـلمان مهـمّة خاصة استلزمت إنسـانيتهم...

وعـن أبـي هريـرة قـال رسـول الله: " مـن سـرَّه أنْ يسـقيه الله عـز وجـل الخمـر فـي الآخـرة فليتركهـا فـي الـدنيا ومـن سـرّه أن يكسـوه الله الحرير فـي الآخـرة فليتركـه فـي الـدنيا ". أخرجـه الطبرانـي فـي الأوسـط بإسـناد حسـن وللنسـائي بإسـناد صـحيح: " مـن لـبس الحريـر فـي الـدنيا لـم يلبسـه فـي الاخرة؛ ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ".

فـالحرير والخمـر محرّمـان فـي الـدنيا مباحـان بـل ونعـمة ينعـم الله بهـا فـي الآخـرة عـلي مـن يلتـزم حكمـه ونهيـه فـي الـدنيا ولا تسـأل لمـاذا تكـون محرّمـة فـي الـدنيا مباحـة فـي الآخـرة، فكمـا قـال الغـزالي فـي إحيـاء عـلوم الدين: إياك أن تذكر شيئًا من عجائب القيامة لمخالفته قياس الدنيا.

وقـد طلـب الإعـرابي مـن رسـول الله أنْ يضـمن لـه الإبـل فـي الجنّـة لأنَّـه يحبّهـا فقـال: يـاعبـد الله إنْ دخلـت الجنـة فلـك فيهـا مـا اشـتهت نفسـك ولـذت عـيناك. أخرجـه الترمـذيّ مـن حـديث بريـدة. فلمـاذا نضـع فيتـو عـلي اشـتهاء معـين ونقـول أنَّـه محظـور فـي الجنّـة والله يقـول : " لَكُـمْ فِيهَـا مَـا تَشْـتَهِي أَنفُسُكُمْ " (سورة فصلت ٣١).

بل لقد وجدت حديثًا عجيبًا نقلـه الغـزالى عن علـي بـن أبـي طالب رضـي الله عـنه، أخرجـه الترمـذي قـال رسـول الله – ص -: " إنَّ فـي الجنـة سـوقًا مـا فيهـا بيـع ولا شـراء إلا الصـور مـن الرجـال والنسـاء فـإذا اشـتهي الرجـل صورة دخل فيها "!

وهـو حـديث عـجيب معـناه أنَّ الرجـل أو المـرأة كلاهمـا يسـتطيع أنْ يغـيّر صـورته أو صـورتها، إلـي نفـس النـوع ولكـن أجمـل وأبهـي، وأيضًـا أنَّ الرجـل الـذي يشـتهي أن يكـون إمـرأة أو يحـسّ بأحاسـيس المـرأة، يسـتطيع إنْ كـان مـن أهـل الجنـة تحقيـق رغـبته بزيـارة هـذه السـوق، والعـكس صـحيح للمـرأة .. فهنيئًـا للصـابرين والصـابرات المتعـففين فـي هـذه الـدنيا والمتعففات.

ولا أسـتطيع أنْ أبتعـد عـن سـوق الرحمـة هـذه مـن غـير أن أعـرج عـلي روايـة أوردهـا الغـزالى نفسـه وكـأنَّ فـي خـاطره هـو أيضًـا حـديث السوق هذه .. قـال الإمـام الغـزالي: " روي عـن عـبد الوهـاب بـن عـبد الحميـد الثقفـى؛ قـال رأيـت ثلاثـة رجـال وامـرأة يحملـون جنـازة فقلـت للمـرأة مـن كـان هـذا ؟ قالـت ابنـي .. قلـت ولـم يكـن لكـم جيـران ؟ قالـت بلـي ولكـن صغّـروا أمـره! قلـت لمـاذا ؟ قالـت لأنَّـه كـان مخنثًـا .. قـال فـرحمتها وذهبـت بهـا إلـي منزلـي وأعـطيتها دراهـم. قـال فرأيـت تلـك الليلـة كأنـه أتـاني كأنـه القمـر ليلـة البـدر وعـليه ثيـاب بـيض؟ فجعـل يتشـكرني فقلـت مـن أنـت ؟ فقـال المخنـث الـذي دفنتمـوني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس إياي (الغزالي ج ٤من الإحياء).

لعلّ الغـزالى قد تـرك مخنثـه هـذا يرتـع فـي سـوق الصـور يـدخل فيمـا شـاء مـن صـور الرجـال والنسـاء ولا يسـمع لغـوًا ولا تأثيمًـا لمـا يتقلـب فيـه بمـا غفـر الله لـه ورحم.!!!!!!!!!!!!!

وأيّـة محاولـة لانكـار تفسـيرنا لطبيعـة هـؤلاء الغـلمان سـتنتهي بصـاحبها إلـي إنكـار الطـابع الحسـي لجنتنـا واقتبـاس التصـور المسـيحي عـن جنّـة روحيّـة لا أجسـاد فيهـا ولا اشـتهاء ولا متـع حسّـيّة. وهـذا مـا سـقط فيـه المنهـزمون أمـام الحملـة التبشـيريّة التـي ركّـزت عـلي نقـد *وصـف جنّتنـا باتهام رخيص هو أنها جنّة شهوانيّة حسيّة نأكل فيها*

نمارس الجنس كأن هذا عيب أو لا يليق!! ومع اتفاقنا بأنَّ قدرة الله لا يحدّها مستحيل ولا يحدّدها تصوّر المخلوق الفاني إلاَّ أننا أمام نصوص صريحة تؤكّد أنَّ الجزاء سيكون بصورة ما مِنْ نفس العمل فسنُعوّض في الآخرة عمّا حُرِمْنا منه أو ما تعَففنا عنه أو ما أحسنّا شكر نعمته ولامجال لأيّ خجل أو استخزاء من ناحية المطالب الحسّية للجسد كما يفعل صرعى الحضارة الغربيّة فليس في الجسد عيب ولا قباحة ولا في تلبية احتياجاته وشهواته المشروعة في هذه الدنيا ولا في التطلع لنعمة الجسد بلا حدّ في الآخرة.

وأقدم هنا مثالاً لمن أفزعه تفسير الغلمان فاضطر إلي إلغاء كل المتع الحسّيّة في الجنّة وتبنّي التصوّر المسيحيّ عن متع الروح وهو " مولانا محمد علي "(اسمه هكذا مولانا .. ج) مؤلف كتاب " الدين الإسلاميّ في الأصول والعقائد " اقتبسه من الأصل الإنجليزي إلي العربية محمد سعيد أحمد بك - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١ قال:

" كل هذه أسماء أشياء في الدنيا وليس منها في الجنة إلاّ الأسماء وإنما وردت لتصوّر لنا النعيم الذي يلقاه الإنسان في الآخرة أمّا حقيقتها فهي مما لا يعلمه إنسان لقصور حواسه عن إدراكها. وإنّما جاءت أوصاف الجنّة علي سبيل المثال؛ وكل شيء في الآخرة يختلف عنه في الدنيا حتي الزمان والمكان فإنهما يختلفان عن زماننا ومكاننا. فقد جاء أنَّ الجنّة عرضها كعرض السموات والأرض ويقربنا هذا من قول من قال إنَّ الجنّة والنار حالتان وليستا بمكانَين ..

" ومثل ذلك ما جاء عن اقتران الرجال بالنساء في الجنة؛ وقد فهم بعض الناس خطأ أنَّ لهذا الاقتران معني جنسيّ (!؟ ج) وقد جاء في الراغب أنَّ قوله تعالى:

" زوجناهم بحور " أي قرناهم بهن ولم يقل زوجناهم حورًا كما يقال زوجته امرأة تنبيهًا إلي أنَّ ذلك لا يكون علي حسب المتعارف بيننا من أمر الزواج. وأنَّ في الصلة الجنسيّة بين الرجل والمرأة في هذه الحياة الدنيا استجابة لداعي الطبيعة واستعمار الأرض وحفظ النوع .. وليس هذا هو المقصود في الآخرة حيث لا

ضرورة لذلك هناك!! (ألغي اللذة الجنسيّة وهي التي قال ابن القيّم أنَّها وحدها التي ستبقي في الآخرة ولكن ابن القيّم لم يكن يدافع منهزمًا أمام المبشرين ج). وعلي ذلك فاقتران الرجال بالنساء في الجنّة له معني آخر يختلف عن المعني المتعارف بيننا .. ولنعرض للحور العين لنبيّن إذا كان المراد بهن أزواج أهل الجنّة أم غيرهن فقد جاء في القرآن بعد الإشارة إلي الحور العين آيات متصلة بها وهي قوله تعالي: " إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ " (سورة الواقعة٣٨). وقد جاء عن النبي أنه قال: " إنَّ المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصًا .. وعلي ذلك يكون المقصود من الآية أنَّ النساء العجائز في هذه الدنيا ينشأن نشأ آخر يوم القيامة ويصرن أبكارًا.. ولو فسّرنا الحور علي أنَّهن نساء غير نساء الدنيا أنشئن لنعيم الرجل ولذته لكان حقًا علي الله أنْ يُنشيء رجالاً لاستمتاع نساء أهل الجنة حيث أنّهن لا يختلفت في طبائعهن عن الرجال فكان من حقهن أن يحظين بما تحظي به الرجال في الجنّة. (*ومن أخبرك أنَّ الله لا يفعل أم تظن أن غيرتك وعنجهيتك كرجل هي وحدها التي ستبقي علي حالها من أحاسيس الدنيا؟ بل لعلّ ذلك هي الحكمة الإلهية في خلق هذه الكائنات غير الآدمية لكي لا تغير منهن نساء الدنيا ولا يغير منهن رجال الدنيا وإلاّ فقد كان في قدرته سبحانه وتعالي أنْ يخلق ما شاء من النساء فلماذا الحور ونحن لا نعرف بعد لذة الإستمتاع بها جنسيًا؟ أما أنَّ القرآن لم يصرح بحور عين مذكرين فذلك مراعاة لعقول الناس ونفسياتهم وها أنت بعد ١٥ قرنًا ما زلت تستعيذ أنْ تتمتع زوجتك في الجنّة ولو مع كائن غير بشري... فماذا عن عرب الجاهلية؟*).

يقول:

" والحقيقة أن نعيم الجنة لا يُدرك كنهه أحد وأنَّ ما جاء في القرأن عن هذا النعيم ليس فيه أي معني شهواني وأنَّ ما ورد عن الحور إنّما هو يرمز إلي الطهّر تشبيهًا بالبياض ونعيم الروح ".

مولانا تنصر ها هو يتحدث عن زواج كزواج الراهب بالسيدة مريم أو زواج الراهبة بالسيّد المسيح .. !!

ويتابع إلي بيت القصيد فيقول:
" وما قيل عن الحور يقال عن الغلمان: وقيل في تفسير الآية الأولي " غلمان لهم " أنَّ الغلمان هم أولاد المؤمنين في الجنة وعبر عنهم بقوله تعالى: " غلمان لهم - أي أولادهم " مولانا الهندي يعتقد أنَّه أقدر علي التعبير من القرآن .. وإلا لسأل نفسه ولماذا لم يقل القرآن أولادهم أو غلمانهم كما قال هو ؟؟ ج) ويدل علي ذلك ما جاء في آية سابقة لها من أنّ الله تعالي يلحق بالذين آمنوا ذريتهم في الجنة قال تعالي: " والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم " وقد أوردنا رد المفسرين علي هذا القول ج).

" وقد يجوز أنَّ المقصود بالغلمان والولدان أنَّهم من نعيم الجنّة علي أنّهم رمز للطهر ونعيم الروح كما ذكرنا عن الحور ".

علي أيّة حال مولانا اضطر للتسليم بوجهة نظرنا فساوي بين الغلمان وحور العين فهو أولاً تخلّي عن تفسير أولادهم وثانيًا جعلهم للاستمتاع والنعيم مثل حور العين. ومن الناحية النظرية نحن لا نعارض، فكما قلنا كلّ تفسيرات الجنة محدودة بقدرتنا علي التصوّر أو إن شئت بقدرتنا علي الإشتهاء ..

وكما أنَّ المؤمن السوي يستمتع بأنثي اسمها حور عين فكذلك من ابتلي بهوي الغلمان في الدنيا وعفّ وما تخطي حدود الله يمتّعه الله بكائنات مذكّرة اسمها الولدان المخلدون أمّا أنْ يستمتعا روحيًا أو جسديًا فهذه مزاجات شخصية لا نتدخل فيها.

إنَّ اللواط كما شرحنا، وبالذات عشق الغلام الأمرد، في رأي بعض الدراسات، هو مرحلة في حياة الكثيرين، رغم إرادتهم، وقد " تثبت " في ذوق البعض إلي ما بعد مرحلة المراهقة. ويعتقد الأطباء أنّ نسبة من الذكور تولد ولديها ميل قوي نحو الجنس المماثل .. ولكن الإنسان لا يُفترض فيه - من وجهة نظر

الأديان - أن يخضع لشهوته أو حتي لغريزته وإلا فإن كل إنسان تشاجر أو اختصم تمني بحكم الغريزة لو أطبق علي عنق غريمه وقضمه، كما يفعل النمر في البقرة .. وما من رجل لم تحدثه نفسه - ولو مرة - بمضاجعة امرأة جميلة أثارت خياله، وكثيرون يتمنون لو أنهم استطاعوا نقل البنك الأهلي إلي ملكيتهم لولا خوفهم من القانون، فما هو غريزي لا يعني أنّه مشروع أو محتوم. وما ميزة الإنسان علي الحيوان والملائكة إلاّ قدرته في ضبط غرائزه.. .

فالذي كبح شهوته، وصان عفته، وحفظ فرجه، ألا يستحق الجزاء؟! وما الجزاء إلاَّ أنْ ينال في الجنة ما اشتهي وأفضل ؟.. .

فكما أنَّ " حور العين " جزاء من إشتهى الزنا ولم يقربه من خشية الله، فكذلك " الولدان " جزاء من إشتهى وعفّ ..

والله أعلم!! .

أما عن الجانب الحضاري، فقد وضحنا أنّها ظاهرة لا يمكن أنْ توجد ولا يمكن أن يُسمح بها في مرحلة التحدي الحضاري، في مرحلة تحرّر الأمم وبناء حضارتها. فالخصائص والمقاييس المطلوبة في فتيان الفراش، غير خصائص المجاهدين وفتية التحرير والاستشهاد .. ولا أهمّية للأمثلة الشاذة، فنحن نتحدّث عن مقاييس وعلاقات ومفاهيم .. واللواط كفاحشة أو كمسلك حضاري لا يمكن أن يستقيم مع احتياجات ومواصفات حركة تحرير أو بعث .. .

فالعفة مطلوبة، وجزاؤها التحرّر والقوة في الدنيا .. والجنة ونعيمها بحورها وولدانها أو ما شئت مما لا عين رأت ولا أذن سمعت .. في الآخرة .. .

إنْ شاء الله ..

نصّ مذكرة اللجنة المشكلة من مجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

عن الوقائع:

١- بتاريخ ١٩٨٤/٨/١٥ ورد إلي الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة كتاب الأستاذ المستشار رئيس محكمة جنوب القاهرة الإبتدائية المؤرّخ ١٩٨٤/٧/٢٤ مرفقًا به ملف الدعوي رقم ٣٢٢ لسنة ١٩٨٤حصر أمن الدولة العليا - وقد تبيّن من الإطلاع عليها - أنّها مرفوعة من نيابة أمن الدولة العليا ضد السيد / محمد جلال كشك - بطلب إصدار قرار من المحكمة بتأييد أمر المصادرة الصادر من نيابة أمن الدولة العليا للكتاب موضوع الطلب وعنوانه (خواطر مسلم في المسألة الجنسيّة) - تأليف السيد / محمد جلال كشك - والتي صدر فيها قرار تمهيدي من المحكمة بتاريخ ١٩٨٤/٧/٢٢جاء فيه بعد الديباجة:

" حيث أنَّ المحكمة تري قبل إصدار قرارها في شأن تأييد أمر المصادرة أو الإفراج عن الكتاب موضوع الطلب - ندب لجنة من ثلاثة من علماء مجمع البحوث الإسلاميّة لإبداء الرأي في الكتاب موضوع المصادرة علي ضوء الملاحظات التي أبداها مدير عام الإدارة العامة للبحث والتأليف والترجمة والاعتراضات التي أبداها المتهم في مذكرته ردًا علي تلك

الملاحظات ولذلك - قررت المحكمة ندب لجنة من ثلاثة من علماء مجمع البحوث الإسلاميّة ينديهم السيد رئيس المجمع لإبداء الرأي حول الكتاب موضوع المصادرة - وحددت جلسة لنظر الطلب وحتي يرد تقرير اللجنة ".

٢- وبتاريخ غرّة ذي الحجة ١٤٠٤هـ / ٢٧ من أغسطس ١٩٨٤ م أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلاميّة القرار رقم (٥٠٠) لسنة ١٩٨٤- بتشكيل لجنه من السادة :

(١) فضيلة الأستاذ الدكتور / حسين عبد المجيد هاشم - الأمين العام لمجمح البحوث الإسلاميّة.

(٢) السيد الأستاذ المستشار / السيد عبد العزيز هندي – عضو مجمع البحوث الإسلاميّة.

(٣) فضيلة الأستاذ الشيخ / عطية محمد صقر – عضو مجمع البحوث الإسلاميّة.

وباشرت اللجنة العمل المنوط بها بعد أنْ أخطرت الطرفين بخطابات مسجلة علي النحو الثابت بمحضر أعمالها - كما أدّت اليمين القانونية وفقًا للثابت بمحضر جلسة حلف اليمين المؤرخ ١٩٨٤/١٠/١٤ – تطبيقًا للمادة ١٣٩ من قانون الإثبات.

- عن الموضوع :

أولاً: تعريف بالكتاب موضوع الفحص:

١- يقع الكتاب في ١٥٩ صفحة من القطع المتوسط – وعنوانه: " خواطر مسلم في المسألة الجنسية " - بقلم محمد جلال كشك - وجاء في الإهداء:

" قالوا يأتي أحدنا شهوته فيُثاب عليها ؟ قال نعم .. " الحديث - صلوات الله عليه وسلامه.

وأورد المؤلف في خطبة الكتاب أن هذا بحث سيقول القارئ المحب – ما كان أغناه عنه – وسيقول المتربّص: هذا هو الباحث عن حتفه بظلفه – وأن من أراد أن يحاسبه، فليحتكم للقرآن والسنّة والسلوك الإسلامي - وأنه قد إلتزم غاية الجهد في استنباط الأدلة من هذه المصادر الشرعية - وأنَّه ما قصد إلا مرضاة الله، وخدمة المسلمين.

(أضاف المؤلف أنَّه إذا كان من الخطأ النظر للإنسان كظاهرة جنسيّة فقط كما يفعل تجار الجنس وفلاسفة الغرب، فإنَّه لخطأ أكبر أنْ يُنظر للجنس كظاهرة جنسية عارضة أو عيب أو دنس ولا يجوز الاهتمام به - وأنّ هذا ليس من ديننا ولا من حضارتنا - ومع أنَّ ألمسألة الجنسيّة تشغل بال الشباب - فهي من المحرّمات – يحوم حولها الكتاب ولا يقتربون منها - وخاصة الإسلاميين - تاركين لأعداء الإسلام وأعداء حضارتنا الفرصة لينشروا مفاهيمهم - ويزوعوا سمومهم في عقول وقلوب الشباب المسلم الذي لم يعدْ يعيش لا في سلوك إسلامي، ولا في فكر إسلامي.

وأضاف المؤلف - أنّه إذا كانت الآراء التي طرحها في موضوع العادة السريّة، والجنس بغير الجماع والزنا تُعدّ جريئة - إلا أنّ ما طرحه في باب الشذوذ الجنسي يُعتبر جديدًا بالإضافة إلي جزء صغير في موضوع الزنا - وهو القول بأنَّ الرجم ثبت سنّة وليس في القرآن - وأنَّ البحث يتركّز في موضوع الشذوذ الجنسيّ الذي، يقرر المؤلف أنَّه طرحه في إطار المواجهة الحضاريّة الأبديّة بين الشرق والغرب وأنَّ هذه المواجهة هي شغله الشاغل، لأنّه ينظر للإسلام كفلسفة وهويّة وشخصيّة الحضارة الشرقيّة – والكلمة الأخيرة في مواجهة هذه الحضارة مع أوروبا أو الغرب - فمنذ الصراع الفارسي – الإغريقي - بدأ الصراع بين شرق وجنوب البحر الأبيض من ناحية - وغرب وشمال هذا البحر - ثم بدأت الدائرة تتسع، وتمد كل جبهة خطوطها من وراءها ومن حولها .. إلي أنْ جاء الإسلام وانتصر الشرق

علي الغرب سبعة قرون أو ثمانية - ليعود الغرب فيكرّ علي الشرق كرّة ما زلنا نعيش في آثارها.

وأورد المؤلف أنَّه عالج موضوع الشذوذ الجنسيّ في إطار هذه المواجهة لأنّه توصّل إلى رأي يخالفه فيه كثير من الباحثين - وهو أنَّ هذه الظاهرة – عندما تخرج من الإطار الفردي لتصبح " فاحشة " علي مستوي المجتمع - إنّما يحدث ذلك في مرحلة الأفول الحضاري – بعكس مرحلة التحرّر أو النهوض الحضاري حيث تصبح أبشع جريمة - وأنَّه لا يمكن أنْ ينهض مجتمع ويتحرّر وهذه الفاحشة شائعة فيه، كما لا يمكن أنْ تنجو منها حضارة عندما تنتصر وتدخل مرحلة فسق مترفيها.

كما أورد المؤلف أنَّه يرى أنَّ غلمان الجنة أو ولدانها هم لمن عفّ وتطهّر في الدنيا - وأنَّه علي استعداد للمناقشة والمراجعة لمن جاء بأدلة مناقضة - تستند للقرآن والسنة، وأضاف أنَّه لا يزعم أنَّه مجتهد في الإسلام، ولا أنَّ ما أورده هي مفاهيم إسلامية، وإنّما هي خواطر مسلم أو تفكير مسلم بصوت عال - دعوة للتفكير - مذكرات تحضيرية يستعين بها " المجتهد " إن شاء الله في تشريع الأحكام - وأنَّه يُمكن اعتبارها مجرّد أسئلة مطروحة عند أعتاب المجتهدين والأئمة والمنشغلين بالعمل الإسلامي - وأنه. المؤلف - قد بلغ من العمر عتيًا – واشتعل الرأس شيبًا - ويخاف من انحرافات الموالي - ولم يبق ما يخشاه ولا من يرجوه سوى الواحد القهار .. نسأله المغفرة والعفو ..

٢- وقد قسم المؤلف كتابه إلى ستة أقسام :
تكلم في أولها عن اللذة للذة - وتكلم عن النظرة الإسلامية للجنس والنظرة المسيحية - وعن دين الفطرة وتدين أهل الحرفة - وهل الجنس هو ثمرة الخطيئة - وأنَّ إظهار اللذة مسموح به دينيًا - وأنَّه لا قيد فى المتعة الحلال.
ثم تناول في القسم الثاني الموقف من المرأة - مقررًا أننا علمنا أوروبا

احترام المرأة - وأنَّ السيدة مريم هدية المسلمين للعالم المسيحي.

ثم تكلم في القسم الثالث عن الزنا - مقررًا أن فيلسوف الكنيسة يقرّ البغاء - كما تكلم عن تدخل الكنيسة في فراش الزوجية - ثم تكلم عن الزواج في الإسلام - وعن ماوراء الأمراض السريّة - وعن الرجم في الإسلام ولماذا نسخه الله.

وتكلم بعد ذلك عن الجنس من اظاهر - وأنواع الجنس الأخري: جلد عميرة - التفخيذ - المصّ - الوطء في الدبر - الجماع في فترة الحيض.

ثم تكلم عن اللواط والإشتهاء الجنسي لنفس النوع - وهل هو ظاهرة طبيعية أم سلوك دخيل علي النفس البشرية - وعن العلاقة بين تلك الظاهرة وأفول الحضارات - وعن المجتمع المصري الفرعوني وظاهرة اللواط – وأن اللواط من علامات النبل وامتيازات التفوق عند الإغريق والرومان – وعن الحبّ الأفلاطوني – وعن اللواط عند الرومان.

ثم تكلم عن نهضة أوروبا واللواط - وعن الاستجابة الناجحة للتحدّي الإسلامي - وعن تفشي اللواط في الأندلس المسلم - وعن المواجهة الحضارية في اللواط - وعن اللواط في الأدب العربي - وعن أوروبا واللواط.

وتكلم المؤلف في القسم السادس والأخير - عن الولدان المخلدين - وعن القرآن وقصة لوط - وعن النتائج الإجتماعية والحضارية للواط - وأنَّه لا حدّ علي اللواط - ولماذا كان وعده - سبحانه وتعالي - بالولدان المخلدين في الجنة - وأنَّ اللواط من أبشع الخطايا في الإسلام - وأنَّه قد ثبت علميًا - أخيرًا - أنَّه يسبب انتشار مرض خاص يسمى الإيدز - يقضي علي المناعة الطبيعية للجسم مما يتحتّم الموت أمام أي تحدّ داخلي أو خارجي.

وقـرّر المؤلـف أنَّ نظريتـه أن هـذه الظـاهرة تُصـاحب أو تسـبب فقـدان المناعة الحضارية للأمم مما يسهل القضاء عليها.

وأن من حكم شهوته - وصان عفته في الدنيا - فإن جزاءه في الآخرة هو التمتع بالحور العين والولدان المخلدين حسبما تشتهي نفسه منهما.

ثانيًا:

ملاحظات الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر واعتراضات السيد مؤلف الكتاب عليها.

أ - تخلص ملاحظات السيد مدير عام إدارة البحوث على الكتاب موضوع الفحص - في تقريره غير المؤرخ - والمرفق بملف الدعوي - فيما يلي:

١- أنّ المؤلف أورد في الصفحة (٩) من كتابه أنّه توصّل إلى رأي حول غلمان الجنة وولدانها وهو أنَّ الاستمتاع بهم لمن عفّ عنهم وتطهّر في الدنيا.

٢- عدم دقة المؤلف وعدم عنايته في نقل النصوص القرآنية – على التفصيل الذي أورده السيد المدير في تقريره المرفق بأوراق الدعوي - وذلك في الصفحات ١٣،١١٥،١١٤،٧٥- من الكتاب موضوع الفحص.

٣- أن المؤلف حاول في الصفحات ١٢، ١٣ من كتابه جاهدًا إيهام القارىء بأنَّ الكبائر تنحصر في ثلاث نقط هي الإشراك بالله وقتل النفس والزنا - مستندًا إلى بعض النصوص التي جمعت الكبائر الثلاث في آية واحدة - ويقول (المؤلف) أنَّ المسلمين عرفوا هذه الكبائر الثلاث ولكن المحترفين لا يرضيهم هذا فأوصلوا الكبائر إلي سبع وجعلوه حديثًا - ومصدره أبو هريرة - وهو بهذا - فيما يراه السيد المدير - يطعن في الأحاديث الصحيحة دون سند – علي حين أنَّ المؤلف - فيما يراه تقرير المدير - يصدق الخرافات التي يحكيها في كتابه عن عائشة بنت طلحة التي نخرت نخرة أثناء وطء زوجها لها - نفر منها مائة من إبل الصدقة ولم تجتمع حتى اليوم.

وكـذلك الشـأن فـي تسـليم المؤلـف بترهـات وبأكاذيـب يكـذبها الواقـع التـاريخي كما في قصة وساطة أبي بكر رضي الله عنه بين الجارية التي أحبت محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب (ص ٤٦) فسعي حتي أعتقها وزوّجها منه.

٤- كما نسب في ص ٤٦ من المؤلف إلي الخلفاء والفقهاء الإفتاء بأن الرجل إذا شرط مبلغًا من المال أو شيئًا في مقابل وطء المرأة فلا حدّ للزنا ولكنه زواج - فقد أعطاها أجرها وقبلت هي - وأنّ الفكرة أنّ الزواج عرض وقبول من طرفين ليس بينهما مانع شرعي وما عدا ذلك فهو طقوس لا أهمية لها.

٥- وأنّ الزنا الذي يحاربه الإسلام ويركز عليه هو الزنا الذي يتمّ بين شخصين يستحيل زواجهما - وكأن الزنا بغير المتزوجة أمر هيّن يتسامح الإسلام في الإقدام عليه.

٦- وأن المؤلف يري أنَّه إذا كان الاستمتاع بالمرأة الأجنبيّة في ما دون الفرج فإنه لا يوجب الحدّ المقرر لعقوبة الزنا وإنْ اقتضي التعزير - كما رأي المؤلف أنَّه لا يظن أنَّ الشباب يتجاوز هذا الحدّ في خلواته السريعة المختلسة - فما من سبب يحول دون إتمام الزواج ولو فيما بينهما - ويري السيد المدير أنَّ هذا التعليل من المؤلف أشدّ ما يكون بالإغراء علي مزاولة الوطء مع الأجنبيّة.

٧- تعريض المؤلف بكذب نسبة بعض الأحاديث إلي رسول الله – ص - مع ورودها في صحيح البخاري وصحيح مسلم.

٨- وأنَّ المؤلف حاول في الصفحات ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ تقرير أنَّ عقوبة الرجم للزاني المحصّن لم تثبت في الإسلام لورودها في السنّة دون القرآن - مع أنَّ عقوبة الرجم في هذه الحالة ثابتة بالسنّة بالإجماع - والثابت بالسنّة المتواترة كالثابت بالقرآن.

٩- وأنّ كلام المؤلف في ص ٦٠،٦١ يوحي بإباحة العادة السرّية دون قيود أو حدود - وأنَّ المؤلف أورد في كتابه أنه لا يحق للمشرع اليوم أنْ يقضي

بإعدام من يكفر بهود أو صالح أو حتي بمحمد صلوات الله عليهم أجمعين - مطلقًا القول دون تفريق بين كافر أصلي وبين مرتدّ عن الإسلام - وأنَّ هذا منه إباحة للردّة وإسقاط لحقها المقرر شرعًا.

١٠- في ص ١٥٢ يذكر المؤلف أنَّ حدّ الزنا مقترن بالإحصان – وهذا صحيح كما يقرّر السيد المدير - ولكنه باطل إنْ أراد حدّ الجلد - كما يري المؤلف - أنَّ اللوطي لا يمكن أنْ يكتمل فيه شرط الإحصان ولو تزوج زواجًا صحيحًا - وهذا مخالف لما يراه الفقهاء.

ثم انتهي تقرير السيد مدير إدارة البحوث والتأليف والترجمة إلي عدم صلاحية الكتاب للنشر والتداول - وأشار بالتحفظ علي جميع النسخ المطبوعة منه تمهيدًا لاتخاذ الجهات المسئولة الخطوات اللازمة والقانونية نحوها ومصادرتها - ورفع الأزهر إلي فضيلة الدكتور الأمين العام للمجمع للتفضل بالنظر فيها.

١١- كما تقدم السيد / عبد الظاهر عبد الكريم - مدير التفتيش السابق بالأزهر - الذي أعاد فحص الكتاب موضوع الدعوي - بتقرير مؤرخ ١٩٨٤/٥/١٤ ردّد فيه بعض المآخذ التي أوردها تقرير السيد مدير الإدارة – علي النحو الذي سبق تفصيله - ولكنه انتهى في تقريره – المرفق بالملف - أنّه رغم هذه المآخذ فإنَّه لا يوصي بمنع الكتاب عن التداول - ولكنه يوصي بعرض هذه المسائل علي كبار العلماء.

فقد ردّ السيد المؤلّف علي ملاحظات إدارة البحوث بمذكرته (٤ دوسيه) - وتخلص فيما يلي:
١- أن ما أورده في كتابه عن الاستمتاع بالولدان في الجنّة - إنّما هو للذين عفوا وصانوا أنفسهم عن الفاحشة في الدنيا - وأنّ مجال إعمال القوانين إنّما هو في الدنيا لا في الجنة.

وأنه يأمل من عدل الله ورحمته أنْ يجازي من عف وصان نفسه عن الفاحشة في الدنيا - ولا قيد علي إرادة الله وعطاء الرحمن في الآخرة.
وأنه إنما قرر تحريم الإسلام للواطة في الدنيا - حيث مجال القوانين.

٢- وأنه إذا سقط منه سهوُا ونسيانًا بعض الأخطاء المطبعيّة في الآيات القرآنية - فإنّه أمر غير مقصود.
وأضاف السيد المؤلف - أنّه يتعهد لعدالة المحكمة بإضافة صفحات تصويب لهذه الأخطاء المطبعية فى نهاية الكتاب أو أي إجراء تراه لتنبيه القراء لهذا الخطأ، الذي نستغفر الله منه.

٣- أمّا عن محاولة التشكيك في الأحاديث فإنَّه أمر - قرّر السيد المؤلف - أنّه لا يفعله ولم يفعله - مع إجماع الفقهاء علي أنَّ ثمة أحاديث نبوية غير مقطوع بصحتها - وأنَّ الأحاديث المجمع علي صحتها ستة آلاف والمدونة ستمائة ألف.

وأما عن تصديق الخرافات - فإنَّ ما أورده عن أنَّ إبل الصدقة نفرت قد ورد في كتب الأدب العربي - كما وردت فيه قصّة الجارية التي زوجها أبو بكر والتي لم ينفها قول ثابت في تقرير إدارة النشر.

وأما بالنسبة لما ورد في ص ٤١ من الكتاب موضوع الفحص - عن شهود عقد الزواج - فقد ورد عنه في ص ٤٢ قول المؤلف " ويستطيع أي رجل وامرأة أنْ يتزوجا إما بالشهود أو بالإعلان أو بهما معًا - وبالتالي - كما يقول السيد المؤلف - فإنَّه لا محل لاتهامه بإلغاء الشهود أو الإعلان - كما أضاف المؤلف أنَّه خصّص الصفحات من ٤٧ إلي ٤٨ لإثبات ضرر الزنا وتحريمه بشكل عام بين المتزوجين وغير المتزوجين - وأنَّه إنّما قال بأنّه ليس ثمة مبرّر واحد لكي يزني المسلم والمسلمة بلا استثناء - كما أنَّه قال في ص ١٥ و ١٦: وباختصار - إذا كان أبشع الزنا هو الزنا بين المتزوجين - فإنَّ الزنا عمومًا يحمل شرًا خطيرًا.

وأنّ المؤلف إنّما أراد أنْ يقول لكلّ فتي وفتاة - لماذا الزنا والزواج متاح - وأضاف المؤلف أنَّه أورد في صفحة (٥٤) أنّ عقوبة الزنا هي الرجم والجلد الأولي بالسنّة والثانية بالقرآن.

أمّا الحديث عن قوم صالح فلم يكن فيه مجال للكلام عن الردّة حتي يصحّ ما ورد بالتقرير في هذا الخصوص.

وأمّا جريمة اللواط - فقد قرّر السيّد المؤلّف في مذكرته أنَّه قرّر في كتابه أنَّ الإسلام لم يفرض حدًا للواط وتركه للمشرّع الذي وصل في تشديد العقوبة في عهد أبي بكر إلي حدّ الحرق حيًا.

وانتهى السيد المؤلف في مذكرته إلي طلب رفض المصادرة - ورفع التحفظ عن الكتاب موضوع البحث.

ثالثًا: إطار البحث الماثل:

في نطاق المهمة المحددة بالحكم الصادر من المحكمة الموقرة بجلسة ١٩٨٤/٧/٢٢ - ترى اللجنة - بادي الرأي - تبيان ما يلي:

١- تنصّ المادة ص ٤٧ من الدستور علي أنَّ: " حريّة الرأي مكفولة - لكلّ إنسان التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو الكتابة أو التصوير أو غير ذلك من وسائل التعبير في حدود القانون - والنقد الذاتي والنقد البناء ضمان لسلامة أبناء الوطن ".

- كما تنصّ المادة ١٠٢ مكرر(أ) من قانون العقوبات المضافة بالقانون ١١٢ لسنة ١٩٧٥ والمعدّلة بالقانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٠ بأنّه: يعاقب بالحبس وبغرامة لا تقل عن خمسين جنيهًا ولا تجاوز مائتي جنيه - كل من أذاع عمدًا أخبارًا أو بيانات أو إشاعات كاذبة أو مغرضة - أو بث دعايات مثيرة - إذا كان من شأن ذلك تكدير الأمن العام أو إلقاء الرعب بين الناس أو إلحاق الضرر بالمصلحة العامة.

- كما يقضي قانون حماية القيم من العيب الصادر والمنشور بالجريدة الرسمية بتاريخ ١٥ من مايو سنة ١٩٨٠ - في مادته الثالثة / ١ ، ٢ بالمساءلة السياسية علي كل من ارتكب أحد الأفعال الآتية: الدعوي التي تنطوي علي إنكار للشرائع السماويّة أو ما يتنافي مع أحكامها إذا تمّ ذلك بواسطة إحدي الطرق المنصوص عليها في المادة (١٧١) من قانون العقوبات - أو - تحريض النشء والشباب علي الإنحراف عن طريق الدعوة إلي التحلل من القيم الدينية أو الولاء للوطن إذا تمّ ذلك بواسطة إحدي الطرق المنصوص عليها في المادة ١٧١ من قانون العقوبات.

٢- جاء في كتاب فتح القدير ج ٤ص ١٤٩: ومن شبهة العقد ما إذا استأجرها ليزني بها ففعل - لا حدّ عليه ويُعزّر -

وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي ومالك - يُحدّ - لأنَّ عقد الإجارة لا يستباح به البضع - فصار كما لو استأجرها للطبخ ونحوه من الأعمال ثم زني بها فإنَّه يُحدّ اتفاقًا.

أما أبو حنيفة فقد ذهب إلي أنَّه لا يُحدّ في هذه الحالة - لأنَّ المستوفي بالزنا المنفعة وهى المعقود عليه في الإجارة لكنه في حكم العين -.

- وجاء في كتاب مغني المحتاج للشافعية ج ٤ - ص ١٤٦: ويحدّ في وطء مستأجرها للزنا - لإنتفاء الملك والعقد – وعقد الإيجار باطل.

وعن أبي حنيفة أنه لا حدّ لأن الإجارة شبهة - وعورض بأنّها لو كانت شبهة ثبت النسب – ولا يثبت إتفاقًا.

وجاء في المغني لابن قدامة الحنبلي ج ١٠ ص ٩٤ : إذا إستأجر امرأة لعمل شئ فزني بها - أو استأجرها ليزني بها وفعل ذلك - أو زني بامرأة ثم تزوجها أو اشتراها – فعليهما الحدّ - وبه قال أكثر أهل العلم - وقال أبو حنيفة لا حدّ عليها في هذه المواضع.

- وجاء في حاشية الدسوقي علي شرح الدردر للمالكية ج ٤ ص ٣١٣: أو إتيان حرّة أو أمة مستأجرة أجرّت نفسها أو أجرّها وليها أو سيدها لوطء أو غيره - كخدمة - فيُحدّ واطئها المستأجر - ولا يكون الاستئجار شبهة تدرأ عنه الحدّ - ومن هذا يستبين أنَّ من عدا الإمام أبي حنيفة من فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة يرون وجوب الحدّ علي الزاني. في حالة الإستئجار للزنا - دون اعتبار لعقد الإجارة الذي لا يكون شبهة تسقط الحدّ -.

- وقد أخذت اللجنة العليا لتقنين الشريعة الإسلامية بالأزهر - واللجنة العليا لتقنين الشريعة الإسلامية بوزارة العدل - ولجنة العقوبات بمجلس الشعب - بهذا الرأي الأخير - في مشروعات القوانين التي أعدتها - وذلك عملاً بالقول الأقوي حجة - وسدًا لذرائع الفساد في هذه الجريمة التي قد يحتال علي ارتكابها بمثل هذه الحيلة - ومن ثم فإنَّ ما ذهب إليه المؤلف في هذا الخصوص مردود بما ثبت من إجماع الأئمة علي رفضه عدا الإمام أبي حنيفة - وذلك لصحّة الأدلة التي استند إليها باقي الأئمة وقوتها في الإثبات.

٣- أما عن حدّ الزنا بالنسبة للمحصن ذكرًا أم أنثى - فإنَّ أئمة المسلمين قد أجمعوا علي أنَّ حدّه هو الرجم حتى الموت - ويري بعض أهل الظاهر - وهو قول لإسحق وأحمد في إحدي الروايات عنه أنَّ يجلد مائة جلدة ثم يُرجم - ولكن بعض الخوارج يرون أنَّ حدّه الجلد فقط – وأنكروا مشروعية الرجم -.

- والرجم للزاني المحصن ثابت بفعل رسول الله – ص - وقوله - رواه جمع كبير من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي وجابر وأبو سعيد الخدري وغيرهم - ولم يخالف في ذلك إلا طائفة من الخوراج الذين يرون أنَّ حدّ الزنا مائة - للمحصن وغير المحصن علي السواء - وينكرون الرجم لأنهم لا يقبلون الأخبار إذا لم تكن في حد التواتر - وإنكار الخوارج الرجم باطل لأنَّهم أنكروا إجماع الصحابة -.

- واستدلال الخوارج بأنّ الآية: " فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَي الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ " (سورة النساء ٢٥) - جعل الله فيها للنساء نصف حدّ المحصنات من الحرائر - والرجم لا ينتصف فلا يصح أنْ يكون حدًا للمحصنات من الحرائر - وأنَّ قوله تعالي: " الزانية والزاني " يقضي بعمومه وجوب الجلد لكل الزناة وإيجابه علي بعضهم يقتضي تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد - وهو غير جائز في مذهبهم إلا إذا بلغ الخبر حدّ التواتر.

- وأجاب الجمهور علي الأولي بأنَّ المراد من المحصنات في قوله تعالي: " فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَي الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ " - الحرائر - وهي نوعان - ثيبات وأبكارًا - وحدّ النوعين علي التوزيع الرجم وجلد مائة - ولما كان الرجم لاينتصف - كان العذاب مخصوصًا بغير الرجم بالدليل العقلي - وكان الرجم غير مشروع في حق الأرقاء. وعن الثاني - بأنَّ الأحكام كانت تتنزل بحسب تجدد المصالح - فلعل المصلحة التي اقتضت الرجم حدثت بعد نزول هذه الآية - وكفي بالسنّة بيانًا وتفصيلاً - وعن الثالث - بأنَّ تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد عندنا جائز - لأنَّ اللفظ العام في القرآن – وإنْ كان قطعيًا في ثبوته ظنيًا في دلالته فأمكن تخصيصه بالدليل المظنون - وأنَّ الرجم ثبت عن طريق التواتر لا عن طريق الآحاد – فهو علي الأقل متواتر المعني – فهو واجب الإتباع.

وفي محاورة لعمر بن عبد العزيز مع بعض الخوارج سألهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه - عن عدد الركعات ومقادير الزكاة - هل وردت في القرآن - فقالوا: ذلك من فعل رسول الله – ص - وفعل المسلمين - فقال لهم: وهذا أيضًا كذلك.

- يُراجع في تفصيل ذلك:
١- في مذهب الحنفية: كتاب المبسوط للإمام السوخسي ج ٩ ص ٣٦ طبعة سنة ١٣٢٤هـ ؛ وكتاب فتح القدير ج ٤ ص ١٢١ - الطبعة الأولي ؛ وفي مذهب الشافعية -: كتاب حاشية الجمل علي شرح المنهج ج ٥ ص ١٣١ – وكتاب الأم للإمام الشافعي – ج٧ ص ٢٦١ – طبعة مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٦١م؛ وكتاب مغني المحتاج ج٤ ص ١٤٦ ج٧ ص ٤٠١.

٢- وفي مذهب المالكية - كتاب حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للعلامة الدردير ص ٢٧٧،ص ٢٧٨؛ وكتاب بداية المجتهد لابن رشد ج٢ ص ٣٦٠ - طبعة صبيح.
٣- وفي مذهب الحنابلة - كتاب المغني لابن قدامة ج ٧ - ص ١٥٧و ١٥٨ طبعة المنار؛ وكتاب الإقناع للمقدسي ج ٤ ص ٢٥٠ - طبعة المكتبة التجارية الكبرى - هذا - وقد أخذت اللجان المشكلة بالأزهر ووزارة العدل ومجلس الشعب لتقنين الشريعة الإسلامية - برأي الأئمة وطرحت الرأي الذي انفرد به الخوارج في هذا الخصوص - ومن ثم فرأي المؤلف في هذا الكتاب – مردود بما سلف بيانه.

٤- وأمَّا عن اللواط:
لقد رأت اللجنة العليا لتقنين الشريعة الإسلامية بالأزهر في مشروعها - الأخذ برأي مالك والشافعي في المشهور عنه - وأبي يوسف ومحمد - من أن يكون حكم اللواط هو حكم الزنا - مخالفة في ذلك رأي أبي حنيفة الذي يري - بأنَّ اللواط وإنْ كان جريمة - لكنها ليست من الزني – علي حين أخذت اللجنة العليا لتقنين الشريعة الإسلامية بوزارة العدل – في مشروعها - برأي أبي حنيفة في هذا الخصوص - لأنَّ أهل اللغة - فصلوا بين اللواطة والزني - ولكنها لم تشترط فيه الاشتهاء في المزني بها - حسبما ذهب إليه الحنفية - لتعذر الوقوف علي حقيقة معني الإشتهاء - إذ أنَّه أمر نسبيّ يختلف فيه الناس باختلاف ميولهم وأمزجتهم - وذلك أخذًا بالمذاهب الفقهية الأخري عدا مذهب الشافعية ممن لا يشترطون هذا القيد.

وقد سايرت لجنة العقوبات بمجلس الشعب في مشروعها - ما ذهبت إليه لجنة

وزارة العدل - وأخذت برأي الحنفية - ولم تأخذ برأي المالكية والحنابلة وبعض الفقهاء من اعتبار اللواط زنا موجبًا للحدّ - ومن ثم عرّفت المادة / ١١٦ من المشروع الزنا بأنَّه يُقصد به كل وطء بين رجل وإمرأة بالغين في غير زواج صحيح ولا شبهة فيه.

ويرى أبو حنيفة أنه ليس في اللواط حدّ - بل فيه تعزير.

(راجع كتاب ابن عابدين ج٣ ص ١٣٠ - سبيل السلام لابن حجر ج ٤ ص ١٨٨٧ - نيل الأوطار للشوكاني ج ٧ ص ٧، «٩٨، ٩٩).

وحين أخذت لجنة العقوبات بمجلس الشعب في مشروعها برأي أبي حنيفة - للأدلة التي آثرت الأخذ بها - فإنّها أخذت أيضًا بعقوبة الجلد تعزيرًا فنصّت في المادة ١٣٢ من المشروع بتوقيع عقوبة الجلد تعزيرًا ٤٠ جلدة فضلاً عن الحبس - إذا كان اللواط بالرضا، ٨٠ جلدة فضلاً عن العقوبات التعزيرية الأخري – في بعض الحالات المنصوص عليها في هذا المشروع.

رابعًا: رأي اللجنة:

- وعلي ضوء ما سلف - فإنّ اللجنة تضع في اعتبارها - وهي بصدد إبداء رأيها في موضوع المهمة التي ندبتها المحكمة لها. هذه الحقائق الثابتة من الأوراق المطروحة عليها:

١- أنّ تقرير السيد مدير عام إدارة البحوث - قد قال صوابًا بالنسبة لما قرره عن الأخطاء التي وردت في الكتاب موضوع الفحص في النصوص القرآنية - ووجوب تصويبها - وقد صادقه السيد المؤلف علي أنَّ ثمة أخطاء مطبعية وردت في بعض النصوص التي أوردها في كتابه – وأعلن في مرافعته أمام المحكمة وفي مذكرته المقدمة إليها بأنّه يعد المحكمة بمراجعة جميع الآيات التي وردت بالكتاب آية آية - وأنَّه يتعهد لعدالة المحكمة بإضافة صفحات تصويب لهذه الأخطاء المطبعية في نهاية الكتاب أو أي إجراء تراه لتنبيه القراء لهذا الخطأ الذي يستغفر الله منه (ص ٣ من المذكرة).

ومن ثم فإن اللجنة تري بادي الرأي – أن} تعرض علي المحكمة الموقرة - أن تأمر المؤلف بإعداد صفحات في آخر الكتاب - بتصويب هذه الآيات بعد مراجعتها - والإشارة إلي ذلك في أوّل الكتاب قبل تداوله - وذلك إذا أذنت المحكمة الموقرة برفع التحفظ عن الكتاب موضوع البحث ورفضت طلب مصادرته.

٢- أن مؤلف الكتاب قد أفصح في مقدمته عما توخاه منه – وأنه ما قصد منه إلا مرضاة الله وخدمة المسلمين.

كما أوضح أنّ ظاهرة الشذوذ الجنسي عندما تخرج من الإطار الفردي لتصبح " فاحشة " علي مستوي المجتمع إنّما تحدث في مرحلة الأفول الحضاري – بعكس مرحلة التحرر أو النهوض الحضاري - حيث تصبح أبشع جريمة – وأنّه لا يمكن أن ينهض مجتمع ويتحرر - وهذه الفاحشة شائعة فيه - ومن ثم فإن المؤلف يرى أنها ظاهرة انقراض حضاري ص ٧٣ - سلمت منها الحضارة الفرعونية في أيام نهضتها - بدلالة القرآن الكريم حين يقرّر أنّ قوم لوط لم يسبقهم إلي هذه الموبقة أحد من العالمين - وقد سبق المصريون أيام نهضتهم قوم لوط في الوجود الحضاري - كما لم تعرفها الأمّة الإسلاميّة أيام الجهاد الأوّل مع الرسول – ص - ومع الخلفاء الراشدين - وإنما عرفتها الدولة الإغريقية والدولة الرومانية والدولة العربية في المشرق والمغرب أيام أفول شمس الجهاد - والانحلال الحضاري - وأيًّا من كان الشخص الذي يُعزى إليه هذا الانحراف السلوكي لو ثبت عليه - فإنه مسلك يشينه ويستوجب عقابه في الدنيا والآخرة.

وسواء كان العقاب الدنيوي تعزيرًا أو حدًا - فإنَّ ذلك موضوع للجدال الفقهي – علي النحو الذي فصلته اللجنة في تقريرها فيما سلف عن العقوبة - فلا تثريب علي الكتاب موضوع البحث إذا تناول هذه الآراء بالشرح من وجهة نظرة التي لا تعدو أن تكون ترديدًا لبحث موضوع العقاب عن هذه الخطيئة الشائنة

المستقذرة - هل هو الحد كالزنا أو التعزير كما ذهب إلي ذلك بعض الفقهاء طالما أنه لا يدعو إليها أو يقول بعدم العقاب عليها أصلاً - ولا يبدو من جملة ما ورد بالكتاب أنَّ المؤلف قد قصد إلي إستمراء هذه الفاحشة المدمرة للعباد والبلاد علي حد سواء - ما دام مسلمًا.

- أما الاستمتاع بالولدان المخلدين في الجنة لمن عفّ في الدنيا – علي هذا النحو أو ذلك - فإنه رجم بالغيب لا يعلم حقيقته إلا الله - ولا يملك من ينفي أو يثبت - دليلاً حاسمًا في هذا الموضوع يصح التعويل عليه في القول بتأثيم من يخالفه شرعًا وقانونًا – والعلم به لا يزيد من علم الجاهل بما يفيده في دنياه وآخرته - كما وأن الجهل من علم العالم بما يفيد في هذا الخصوص – والجدل فيه عقيم - والخوض فيه غير مجدٍ - وإن كان يحسن النظر في متاع الآخرة علي ضوء ما قرره العليم الخبير - من أنَّ خمرها لا غول فيها ولا تأثيم.

- كما وأنَّ ما جاء بالكتاب موضوع البحث والرد عليه عن الزنا بالمستأجرة - وما إذ كان شبهة دارئة للحد أو أنه يُعتبر زنا موجبًا للحدّ - قد سلف تفصيل آراء أئمة العلماء فيه علي النحو المبيّن في هذا التقرير - فقد رأى أبوحنيفة أنَّ شبهته دارئة للحد ورأى باقي الأئمة والفقهاء والعلماء المحدثين أنَّه ليس كذلك - وهو ما أخذت به جميع اللجان المؤلفة لتقنين الشريعة الإسلاميّة علي النحو الذي سلف بيانه - وإن كانت مناقشة المؤلف للرأي المرجوح لا تثريب عليها.

- وأما عن الاستمتاع بالمرأة الأجنبية في ما دون الفرج - فإنَّ كل ما أورده المؤلف بشأنه أنَّه لا يوجب الحدّ المقرر لعقوبة الزنا - وإن اقتضى التعزير - وهذا الرأي لا يُخالف في شيء رأي جمهور الفقهاء في تعريف الزنا الموجب للحدّ وشروطه - وما أخذت به اللجان المؤلفة لتقنين الشريعة الإسلاميّة في هذا الخصوص علي النحو الذي سلف بيانه في هذا التقرير.

ولا حجة في القول بأن ما أورده الكتاب موضوع الفحص عن باقي

الملاحظات أشبه ما يكون بالإغراء بفعل المحرمات - فإن الأحكام لا تبنى إلا علي الحقائق الثابتة - وليس مجالاً للفروض الظنيّة ولأن يخطيء الحاكم في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة كما هو معروف - فضلاً عن أنَّه يتعيّن درء الحدود بالشبهات - ولأنَّ الأصل هو صلاح الحال.

خامسًا: كلمة أخيرة:

- من منطلق ما أورده السيد المؤلف - في مستهل خطبة كتابه موضوع الفحص ص ٧ - فإننا نقول مع من قال: ما كان أغناه – ولعله إنما أراد أن يعرض أمام الشباب بأسلوب جذاب - ما شاء أنْ يعرضه من آراء – تدعو إلي الحضّ علي الزواج المشروع طالما أنَّ الشرع قد يسّر السبيل إليه - وتحمّل آثار كل عمل قد يقدمون عليه - حتي لا ينحدروا إلى الهوّة التي إنحدر إليها المترفون الفاسقون – فيدمروا تدميرًا.

كما ترى اللجنة أنْ تدعو السيد المؤلف - إلى مراعاة التحرز عند الكلام عن أخبار العلماء والصالحين - والتثبت قبل نسبته بعض ما لا يليق بهم إليهم - والله من وراء القصد وهو الهادي إلي الصراط المستقيم.

سادسًا: النتيجة:

ولما كان قد خلص للجنة من كل ما سلف - وفي نطاقة المهمة التي أسندتها المحكمة الموقرة إليها - عن كتاب " خواطر مسلم في المسألة الجنسية " - بقلم الأستاذ: محمد جلال كشك - موضوع الفحص –

١- أن هذا الكتاب - قد شابته بعض الأخطاء في نقل بعض النصوص القرآنية – علي النحو المبيّن في الفقرة الأولى من البند رابعًا من هذا التقرير - ومن ثم ترى اللجنة - أنْ تعرض علي المحكمة الموقرة - أنْ تأمر المؤلف بإعداد صفحات في آخر الكتاب - بتصويب الآيات القرآنية التي شابتها بعض أخطاء - مع الإشارة في أول الكتاب إلي ذلك - قبل تداوله - وذلك إذا أذنت

المحكمة الموقرة برفع التحفظ عن الكتاب موضوع البحث - ورفضت طلب مصادرته.

٢- ترى اللجنة - أنَّ الكتاب موضوع الفحص - بعد التصويب المشار إليه في البند السابق - لا اعتراض عليه من ناحية رفع التحفظ عنه ورفض طلب مصادرته - مع الإفراج عنه بعد التصويب -

هذا:

والرأى الأعلي للمحكمة الموقرة

والله ولي التوفيق

أعضاء اللجنة

د/ حسين عبد المجيد هاشم.

المستشار/ عبد العزيز هنديز

الشيخ/ عطية صقر.

قرار المحكمة بالإفراج عن الكتاب وإلغاء المصادرة

باسم الشعب
محكمة جنوب القاهرة الابتدائية

بالجلسة المنعقدة علنًا بسراي المحكمة في يوم الإثنين الموافق ١٣ / ٥/ ١٩٨٥ برئاسة السيد الأستاذ / مصطفى جمال الدين - رئيس المحكمة وعضويه السيد الأستاذ / عبد السميع شرف الدين وكيل أول نيابة أمن الدولة العليا وبحضور السيد / أمين كامل أمين السر.
صدر الحتكم الآتي:
في القضية المقامة من نيابة أمن الدولة العليا
ضد
الأستاذ / محمد جلال كشك
المقيدة رقم ٣٢٢ لسنة ١٩٨٤ حصر أمن دولة عليا

المحكمة
بعد سماع المرافعة والإطلاع علي الأوراق
حيث أن وقائع الدعوي تخلص فيما أثبته السيد النقيب / السيد ابراهيم اسماعيل بمباحث أمن الدولة في محضره المؤرخ ٥ / ٧ / ١٩٨٤ الساعة العاشرة صباحًا من أنَّ إدارة البحوث والنشر بالأزهر الشريف أخطرت بأنَّ كتاب " خواطر مسلم في المسألة الجنسية " للكاتب الأستاذ / محمد جلال كشك بالمطبعة الفنية ٣٢ شارع

الشقافية بعابدين غير صالح للنشر والتداول .. لعدم دقة المؤلف في نقل النصوص قرآنية وكتابتها مما يُعد تحريفًا للآيات القرآنية بالإضافة إلي أنَّ المؤلف يطعن في الأحاديث الصحيحة دون سند ويحاول التشكيك فيها بتصديق الخرافات التي يحويها كتابه .. ويردد المؤلف بأنّ عقوبة الزنا لم تذكر في القرآن في حين أنها ثابتة بالسنة وبالإجماع وقد طلبت إدارة البحوث والنشر بالأزهر إتخاذ الإجراءات القانونية لمصادرة الكتاب وتم إخطار المطبعة للتحفظ علي النسخ المطبوعة وعددها خمسة آلاف نسخة .. وقد أقر السيد المستشار المحامي العام لنيابة أمن الدولة الضبط وعرض الأمر علي المحكمة لتأييد أمر الضبط وفقًا للمادة ١٩١ من قانون العقوبات وقد أرفق بالمحضر صورة ضوئية من البيان الصادر من الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة ببعض المآخذ علي كتاب " خواطر مسلم في المسألة الجنسية ".

وحيث أنَّه لدي نظر الدعوي مثل المعروض ضده بمحامٍ عنه طلب الإفراج عن النسخ المطبوعة وقال إنّ الأخطاء في بعض الآيات غير مقصودة ويتعهد بإضافة صفحات تصحيح لها.

وبجلسة ٢٢/ ٧/ ١٩٨٤ قررت المحكمة ندب لجنة ثلاثية من علماء مجمع البحوث الإسلامي وندبهم

السيد رئيس المجمع لإبداء الرأي حول الكتاب موضوع المصادرة، بجلسة ١١ /٣/ ١٩٨٥ مثل السيد وكيل أول نيابة أمن الدولة وقدم التقرير وطلب آجلاً لإعلان المعروض ضده بالتقرير .. وقد انتهى تقرير اللجنة عن هذا الكتاب قد شابته بعض الأخطاء في بعض النصوص القرآنية (علي النحو المبين في البند رابعًا من التقرير) ورأت اللجنة أنْ يُعدّ المؤلف صفحات في آخر الكتاب تصويب الآيات القرآنية التي بها بعض الأخطاء مع الإشارة في أول الكتاب إلي ذلك قبل تداوله في حالة رفع التحفظ عنه ورفض مصادرته .. وتري اللجنة أنَّ الكتاب موضوع الفحص بعد التصويب المشار إليه في البند السابق لا إعتراض عليه من ناحية رفع التحفظ ورفض طلب مصادرته مع الإفراج عنه بعد التصويب

وبجلسة ٢٢/ ٤/ ١٩٨٥ مثل المعروض ضده بمحامٍ معه وطلب أجلاً قصيرًا لتقديم ما يفيد تصحيح الآيات القرآنية علي ضوء ما ورد بالتقرير ..

وبجلسة ٦/ ٥/ ١٩٨٥ قدّم نسختين من الكتاب بعد إجراء التصحيح وقدم مذكرة تعهّد فيها بتصويب جميع النسخ قبل التوزيع .. ثم قررت المحكمة حجز الدعوي ليصدر فيها حكم بجلسة اليوم مع مذكرات لمن يشاء إلي ما قبل الجلسة بيومين .. ولم يقدّم شيء فيها

وحيث أنَّه من المقرر أنَّ حريّة الرأي مكفولة لكلّ إنسان الحق في التعبير عن رأيه ونشره بالقول، أو الكتابة في حدود القانون وبغير إلحاق الضرر بالمصلحة العامة ... لما كان ذلك وكان تقرر اللجنة المشكلة من السادة علماء مجمع البحوث الإسلاميّة قد انتهي إلي أنَّ الكتاب " خواطر مسلم فى المسألة الجنسية " لا اعتراض عليها من رفع التحفظ عنه ورفض طلب مصادرته وذلك بعد تصويب الآيات القرآنية التي شابتها بعض الأخطاء ... ولما كان المعروض ضده المؤلف قد صحّح الآيات القرآنية في النموذج المقدم منه بجلسة ٦/ ٥ / ١٩٨٥ وتعهد بتصحيح جميع النسخ قبل توزيعها علي ضوء ما ورد بالتقرير ولما كان هذا الكتاب موضوع الفحص وما حواه من أفكار لا يتنافي مع أحكام الشريعة ولا يلحق الضرر بالمصلحة العامة ولا يدعو إلي التحلل من القيم الدينية ومن ثم فإنّه تعين الإفراج عن الكتاب وإلغاء أمر الضبط إلي أن يلتزم المعروض ضده بما ورده بتقرير اللجنة المرفق من ضرورة تصويب الآيات القرآنية التي شابتها بعض الأخطاء.

فلهذه الأسباب

قررت المحكمة الإفراج عن كتاب " خواطر مسلم في المسألة الجنسيّة " وبإلغاء أمر الضبط الصادر بتاريخ ٥ / ٧/ ١٩٨٤.

أمين السر.   رئيس المحكمة.

حُرّرت هذه الصورة طبق الأصل من الحكم الصادر في القضية رقم ٣٢٢/ ١٩٨٤ حصر أمن الدولة العليا وسُلمت للطالب بناء علي طلبه بعد سداده الرسم المطلوب بالقسيمة رقم ١٤٣٥٣/٧٢٢٣٣٧ وقيدت بدفتر الصور تحت رقم / صور

تحريرًا في ١٩/ ٦/ ١٩٨٥.